

بحسب معتقد الكنيسة القبطية الارثوذكسية

المجلد الثالث

يشمل القضاء والقدر — العناية الالهية — الانتخاب والرذل — تعميم الكفارة — الآجال — الشرائع الطبيعية والأدبية والطقسية والقضائية — الاختلافات العقدية بين الكنيسة القبطية الارثوذكسية والكنائس البروتستانتية والرومانية واليونانية — ثم فصل فى الكنائس المسيحية عامة ودساتيرها واعترافاتها الرسمية

تأليف

الايغومانوس

ميخائيل مينا

ناظر مدرسة الانبا انطونيوس اللاهوتية [illegible]

(مطبعة الامانة ٥٨ شارع الفجالة بمصر)





بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

المجلد الثالث

يشمل القضاء والقدر — العناية الالهية — الانتخاب والرذل — تعميم الكفارة — الآجال — الشرائع الطبيعية والأدبية والطقسية والقضائية — الاختلافات العقدية بين الكنيسة القبطية الارثوذكسية والكنائس البروتستانتية والرومانية واليونانية ـ ثم فصل فى الكنائس المسيحية عامة ودساتيرها واعترافاتها الرسمية

تأليف

الايغومانوس

ميخائيل مينا

ناظر مدرسة الانبا بولا والرسل اللاهوتية بحلوان

١٩٣٨ م — ١٦٥٤ ش

مطبعة الأمانة ٥٨ شارع الفجالة بمصر



غبطة البابا المعظم الانبا يؤانس التاسع عشر
بطريرك الكرازة المرقسية

اهداء الكتاب

حضرة صاحب الغبطة إمام الأحبار العالى المنار صاحب الكرسى المرقسى الرسولى البابا الانبا يؤانس الكلى الشرف والسامي المقام

مولاى الأعظم

لقد كنت أعتقد يوم شروعى فى تأليف هذا الكتاب أن أكون موفقا حقاً لو واتتنى الظروف فأنجزت منه مجلداً واحداً يحوز ثقة غبطتكم ورضاكم

كما أنه لم يدر بخلدى مطلقاً أن يكون لهذا المؤلف مجلد ثالث يقدم هدية لذى المقام الاسمى ليستمد شرفاً من شرفه ويزداد فخراً بفخره فيجل قدره ويعظم أمره ويزداد رجحانه ويزول نقصانه

وحيث أن ذلك ليس بعزيز على من يحوطه صاحب الكرسي البابوى بعنايته ويشمله برضاه ويزوده بنصائحه ويؤازره بشتى تشجيعاته . لهذا صار فى مقدورى رغم عجزى وضعفى انجاز المجلد الثالث من هذا المؤلف

وإنى يا مولاى أكون سعيدا حقاً لو تنازلتم غبطتكم، وأصدرتم أمركم الكريم بطبعه ونشره أسوة بمجلديه السالفين ليكون متمماً لقواعد ذلك العلم الجليل الذى لأجله أسست يمينكم الميمونة ذلك المعهد العامر وهو لا شك بانتسابه لغبطتكم نال من الشرف أجزله ومن المجد أعظمه وأفخره

أطال الله حياة غبطتكم الغالية وجعل مكافأتكم فى السماء أضعافاً مضاعفة لحسناتكم المتواترة على الدهماء آمين. فآمين م؟

ابنكم الخاضع المطيع .

الايغومانس ميخائيل مينا

أول النسىء سنة ١٦٥٣ — ٦ سبتمبر سنة ١٩٣٧

.

وقد تعطف حضرة صاحب الغبطة والقداسة مولانا المعظم الانبا يؤانس وأمر بتدريس هذا الكتاب فى سائر المدارس القبطية الارثوذكسية ولاسيما المدارس اللاهوتية ثم أصدر طرس البركة الآتى : —



عند الرد المرجو ذكر هذه النمرة

قلم ....

عدد المرفقات ....

القاهرة فى ١٠ أبيب ١٦٥٤ (٢٠ أكتوبر ١٩٣٧)

بابا وبطريرك الكرازة المرقسية

حضرة الابن المبارك القمص ميخائيل مينا

ناظر مدرسة الرهبان اللاهوتية بحلوان

بارككم الرب

بعد منحكم البركات الرسولية وامدادكم بصالح الأدعية الخيرية.

لقد تلقينا كتاب بنوتكم المؤرخ فى ٢٥ توت سنة ١٦٥٤ وبه تستأذنون فى طبع ونشر المجلد الثالث من كتابكم (علم اللاهوت) الجامع شتات المسائل العقدية المتفرقة التى صيرته خزانة للعلم وبحرا للحقائق ومورداً للمتعلمين ومشكاة للمستهدين.

وأنه إظهاراً لرضانا عن هذا العمل المجيد وتقديراً لذلك المجهود العظيم نأذن لبنوتكم بطبع الكتاب ونشره سائلين المولى القدير أن يكلأكم بعين عنايته ورعايته ويمنحكم نعمة كاملة من لدنه تعالى تؤهلكم إلى خدمة كنيستكم المحبوبة بأضعاف مضاعفة من أمثال هذا المؤلف النافع الثمين.

ونعمة الرب تشملكم ولعظمته تعالى الشكر دائما.



بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد آمين

مقدمة

حمداً لمن أضاء بنبراس كتابه عقول الأنام . واستودع بيعته المقدسة أسفار تنزيله بلا إبهام أو ايهام . وابان لمن استكانت لهم عنايته خفايا آرائه . وأزلى أحكامه . وأوضح لهم ما أُبهم فهمه من اسرار معرفته اللاهوتية وآياته السرمدية .

نحمده حمداً يزلفنا الى أخدار كنيسته السمائية . ويحسبنا مع جملة خدامه الذين جاهدوا فى سبيل نصرة كنيسته الأرضية

وبعد فهذا المجلد الثالث لكتابى (علم اللاهوت) ضمنته شطراً من الأبحاث اللاهوتية والعقائد الكنسية وبالله توفيقى . وها هى : —

القضاء والقدر . العناية الالهية . الانتخاب والرذل . تعميم الكفارة . الآجال . الشرائع الطبيعية والادبية

والطقسية والقضائية والاختلافات العقدية بين الكنيسة القبطية والكنائس البروتستانية والرومانية واليونانية — ثم فصل فى الكنائس المسيحية عامة ودساتيرها واعترافاتها الرسمية

وإنى مستمين بقوة ربى واثق بنعمته التى أرشدتنى وأنارت عقلى رغم عجزى وضعفى لاخراج هذا الكتاب للناس باذلا وسعى فى استجماع الادلة الوافية . والبراهين الثاقبة . لتأييد هذه المباحث الخطيرة . والعقائد الصحيحة . من كتابه الثمين . كنز وحيه الصادق الامين . ملبياً ما وصل الىّ من الحاح الكثيرين وبخاصة طلبة المدارس اللاهوتية لتكملة هذه المجموعة راجيا الى الله أن يعصم بها المؤمنين من غواية الملحدين ويجعلها سلاحا قويا فى تمزيق حجب الأضاليل وواسطة فعالة لرد الضالين فى بيداء الاباطيل الى محجة الحق القويم

انه المنان القدير وبالاجابة جدير ؟

٢٤ توت سنة ١٦٥٤ — المؤلف

٤ اكتوبر سنة ١٩٣٧ — الايغومانس ميخائيل مينا

ناظر المدرسة اللاهوتية بحلوان

الكلام

على

القضاء والقدر والعناية الآلهية والانتخاب
والرذل وتعميم الكفارة والآجال

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد

الباب الأول

في

الخمسة المباحث الآتية وهى : (١) القضاء والقدر (٢) العناية (٣) الانتخاب والرذل (٤) تعميم الكفارة (٥) الآجال

المبحث الاول

في

القضاء والقدر

تمهيد

القضاء لغة هو الحكم ، واصطلاحاً هو سبق علم الله

الازلى بالمصير المحتوم (راجع اش ١٣ : ١٩ – ٢٢ وصف ٢ : ١٥ ومت ٢٣ : ٣٨)

القدر لغة هو مبلغ الشىء أى ايجاده على قدر مخصوص وتقدير معين من غير افراط ولا تفريط.

أما أصطلاحاً فلعدم ورود كلمة قدر فى كلام الوحى الالهي رجح علماء الكتاب أنه هو القضاء بعينه أو هو اجراء القضاء بالسلطان والعدل والحكمة والعناية وبذلك تميز عن القدر الوثنى الأعمى الذي لا يعتبر سبباً أو علة ولا ينزع الى غرض أو غاية . بل هو أشبه شىء بآلة ميكانيكية تعمل عملها بلا عقل أو تمييز . وذلك خطأ عظيم . لأن جميع الحوادث الكونية انما هى ناشئة عن سياسة إله فرد . ازلى ابدى : غير محدود . قادر حكيم : قدوس عادل جيد : يختار لاتمام مقاصده أفضل الوسائط وأقدسها.

فهو اله فرد – لأنه لا يحدث فى ملكه ما لا يشاء وفى مشيئته ما لا يكون.

وأزلى أبدى غير محدود — لانه عديم التغير فى مقاصده ثابت فى أحكامه لاحاطته بسائر الظروف والاحوال الزمانية والمكانية فى وقت واحد.

وقادر حكيم — لأنه يسوس مخلوقاته بقوة ثابتة مطلقة لا تصطدم بناموس ولا يحول دون تنفيذها قانون

وقدوس عادل — لانه صالح يكره الشر ولا يقضى به جبراً على أحد ثم يعاقبه عليه

أما كونه جيداً — فلأنه مع انعكاف عبده على الخطاء فهو لا ينفك عن البذل والعطاء.

قال الشيخ الأجل ابن العسال فى كتابه أصول الدين فى حد القضاء ما نصه : —.

« القضاء هو الحكم القاطع والامر الذى لا يراجع فيقال قضى له بكذا أو عليه أو فيه ، ولفظة القدر مأخوذ من التقدير ، والمتداول من لفظتى القضاء والقدر هو انهما يقالان على ما كان ويكون من الحوادث فى عالم الكون لما سبق

فى علم الله تعالى

والقضاء هو الأمر الكلى الواحد السابق فى العلم من الخير والشر ، والغنى والفقر ، وأمثالها

والقدر هو تقدير الموجود من الخير والشر ، والغنى والفقر ، وأمثالها لشخص شخص فى نوعه وحده ومقداره وكيفيته وزمانه ومكانه وأسبابه القريبة والبعيدة

وهاتان اللفظتان (أى القضاء والقدر) ليس هما مترادفتان على ما يظنه كثير من الناس فالقضاء ، هو سابق العلم والامر من الخالق الحكيم . أما القدر فهو تفصيله وتقديره فى المخلوقات بحسب الاحوال والاوقات »

الفصل الأول

فى

المراد بالقضاء والقدر عند المسيحيين

انه لما كانت ادراكات البشر محدودة وعاجزة عن فهم كنه الاشياء وحقائقها لهذا كانت قضية القضاء والقدر من أدق القضايا وأعقدها بل يستحيل ادراك اسرارها على الوجه الاكمل مهما أوتيت العقول البشرية من الذكاء والحكمة لأنها فى كل أبوابها لغز وسر لا يُحل. لا لأنها من المعضلات العسرة فحسب بل لانها من القضايا الخارجة عن دائرة العقل البشرى والتى لا قبل له باختراق حجبها والوقوف على كنهها لكونها متعلقة بالله وحده ثم أغفل الوحى الالهى اظهارها لحكمة يجهلها الانسان وهيهات لما أغفله الوحى أن يدركه عقل مخلوق . وليس أدل على صعوبة هذه القضية وخطورتها من عجز الرسول العظيم بولس عن ادراكها حق

الادراك . لانه بعد أن عالج مبحثا من مباحثها ولم يتوصل لنتيجة حاسمة فيه اكتفى بتعظيم حكمة الخالق البالغة وعلمه الواسع بقوله .

« ياالعمق غنى الله وحكمته وعلمه . ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء » (رو ١١ : ٣٣)

أما هذا المبحث فيتلخص فى أن الله جل شأنه ترك العالم كله قديماً وعقد عهداً مع الامة اليهودية وحدها على يد ابراهيم وموسى نبيته . لكن لما جاء السيد له المجد أبت تلك الامة أن تؤمن به فتحول الانجيل عنها لعدم ايمانها وانحاز الى الشعوب فآمنوا به وصاروا عبدة الله وحلوا محل الأمة اليهودية التى نُبذت ورذلت.

على أنهم (اى الشعوب) سوف يرتد أكثرهم أيضاً عن الايمان وتقبله الامة اليهودية

أما فى آخر الايام فترجع الامم واليهود معاً الى المسيح ويكونون كنيسة واحدة

هـذا هو المبحث الذى لم يدرك فيلسوف المسيحية

العظيم علته وهو ادخال أمة واخراج أخرى بينما كان فى الامكان ادخال الجميع منذ البداية على السواء فى حظيرة الايمان .

فسبحان الحكيم صاحب العلم المطلق الذى لكل أمر عنده سبب معلوم ولسائر مجريات الكون علة صحيحة

ومن ثم تضاربت آراء العلماء والفلاسفة فى هذه القضية ليس علماء الوثنية واليهودية والاسلامية فقط بل علماء المسيحية أيضاً . أولئك الذين كانت هذه القضية ولم تزل موضوع بحثهم وجدلهم فى سائر العصور السالفة بحيث انها لم تكن لتستقر على حال من الاحوال أو رأى من الاراء حتى يقوم من وقت لآخر من ينقض الرأى المستقر عليه ويثير حوله الشبه والشكوك التى كادت تضيع معها الحقوق الالهية وتسلب الامتيازات البشرية

فمنهم من أرتأى أن القضاء موجود ولكنه متغير ومنهم من حصره فى الخليقة الغير العاقلة وأخرج منه العاقلة لئلا تبطل حريتها .. ومنهم من أنكره مرة واحدة لئلا

يبطل اجتهاد الناس . ناهيك بذلك الرأى الوثنى الفاسد الذى لا يعتقد فى الانسان إلا أنه دابة عمياء صماء تديرها القوات الالتزامية والبواعث الاضطرارية بنواميس مقيدة وقوانين ثابتة بلا عقل يدرك أو ارادة تفرض وهكذا من الآراء المتضاربة التى سترى تأييد الصحيح ونقض الفاسد منها فى الفصول الآتية

وإن أشهر من بحثوا فى هذه القضية من علماء النصرانية ولهم فيها آراء معتبرة محترمة فى الكنيسة هم القديسون باسيليوس الكبير وأغريغوريوس وكيرلس وأثناسيوس وفم الذهب واغسطينوس وغيرهم وقد أجمعوا على الرأى الآتى وهو : —

إن القضاء موجود لا محالة بدليل قوله تعالى: « قد قضيت فمن يبطل » (اش ١٤ : ٢٤) غير أن الكائنات الغير العاقلة كالاجرام السماوية تخضع له خضوعاً اضطرارياً . أما الكائنات العاقلة كالانسان والملاك فتخضع له لا بالجبر والقهر والقسر بل بمقتضى العقل ووفق الارادة والسلطة الذاتية

لأنه نتيجة سبق علم الله الأزلى بما سوف تفعله هذه الكائنات لا لأنه تعالى هو السبب الأولى له

فقد قال له المجد للأمة اليهودية على أثر خروجه من هيكلهم لآخر مرة « هوذا بيتكم يترك لكم خراباً » وقد خرب الهيكل بعد أربعين سنة خراباً مريعاً كما قال .

فهذا التنبؤ فى حقيقته إنما هو قضاء بلا محالة ولكنه لم يكن اجبارياً بل كان منشأه الاختيار بدليل قوله تعالى قبل أن يصرح بهذا القضاء « يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا » (مت ٢٣ : ٢٧) فهو أراد وهم لم يريدوا ومن ثم كان قضاؤه عليهم بهذا الخراب منشأه اختيارهم وشهوة أنفسهم . وهكذا قوله تعالى بفم اشعياء النبي : « فانى اعينكم للسيف وتجثون كلكم للذبح لانى دعوت فلم تجيبوا تكلمت فلم تسمعوا بل عملتم الشر فى عينى واخترتم ما لم أسر به » (اش ٦٥ : ١٢) فهذا التعيين كان بيد الله بلا شك ولكن

منشأه كان اختيارهم . فهو عينهم للسيف ولكن ذلك كان نتيجة تركهم اياه . وبما أنهم جنوا للأصنام فيجثون للذبح وهلاكهم من أنفسهم لان الرب دعا فلم يجيبوا وتكلم فلم يسمعوا واختاروا ما لا يسره .

ولقد وافق على هذا الرأى الشيخ الأجلّ ابن العسال معترفا بالقضاء الذى منشأه الاختيار ومنكراً القضاء الذى منشأه القهر والجبر والقسر بقوله : « والنصارى [1] ومن وافقهم فى اعتقادهم فى هذه المسألة (أى القضاء والقدر) من أرباب المذاهب يقسمون القضاء والقدر قسمين أحدهما كلى والآخر جزئى . والجزئى منه ما قالوا إنه بقضاء الله تعالى كسخطه على امرأة لوط . وكضرب مريم بالبرص واشياء أخرى واقعة وتقع فى الوجود . . . » الى أن قال « وقالوا ـ أى النصارى ـ لا يكره قدر منشأه الاختيار » .

وبهذا القول الصريح أثبت هذا العلامة الأجل أن

---

(١) كتاب اصول الدين — الباب الخامس والستون

القضاء الذى منشأه الاختيار حق ولا حرج على من يعتقده . أما القضاء الجبرى فقد رفضه كما نرفضه نحن رفضاً باتاً بقوله « إذا كان الله هو الذى قضى على الكافر بكفره وعلى القاتل بقتله وعلى الزانى بزناه وعلى جميع أرباب المعاصى بعصيانهم ثم يعاقبهم عليها فهذا جور محض وظلم فاحش ونقص فاضح وجهل زائد لو صدر عن واحد من الخلق لما وافقه عليه أحد ولعاقبه ولى الامر لسببه سيما الخالق تعالى الله عن ذلك علواً زائداً »

وقد أيد هذا الرأى أيضاً يوحنا فم الذهب فى شرحه النص القائل : « وهما لم يولدا بعد (أى عيسو ويعقوب) ولا فعلا خيراً أو شراً . . . قيل لها ان الكبير يستعبد للصغير » (رو ٩ : ١١) حيث قال « لقد أثبت الله سبحانه وتعالى أن شرف النسب الكائن حسب الجسد لا يفيد شيئاً وانما المبتغى هو طلب فضيلة النفس التى عرفها جل شأنه قبل الفعل لأنه يقول لم يعملا شيئاً صالحاً أو شريراً ليظهر انتخاب الله الكائن عما يختص بالنية وسابق المعرفة . لأنه

اذا كان أصحاب الافراز البليغ لا يختارون من الاشياء بما تحكم به العامة بل بما يعرفونه جهاراً فأولى كثيراً الاله المحب البشر ، الحكمة التى لا تدرك ولا تحد ، العارف كافة الاشياء جهاراً لكنه من حكمته يبرر الحتم (أى القضاء) الصادق الناجى من الزلل ولذلك انتخب عشاراً ولصاً وزانية ورذل الكهنة والمشائخ والرؤساء »

وقال صاحب منارة الأقداس فى هذا الصدد « أما الله فهو علة جميع الممكنات والأفعال التى يفعلها أبناء البشر فى حريتهم وسلطة ذاتهم . والتى تفعل من المتنفسين والغير المتنفسين والأحياء والغير الأحياء فانما هى من الله عز وجل فهو الفاعل البسيط الذى يفعل كل شيء بواسطة أو بغير واسطة »

وقال العلامة الخورى يوسف الدبس فى مختصر المقالات اللاهوتية الجزء الثانى فى باب الانتخاب ص ١٧٥ « ان الله انتخب البشر أولا الى النعمة ثم قضى لفريق بالمجد ولفريق بالعقاب بناء على معرفته السابقة »

وقال فى ص ١٧٩ « واذا كان هذا الاعداد (أى اعداد النعمة) قد قضى به الله منذ الازل ينتج ضرورة حقيقة جزء القضية الثانية وهو كون الانتخاب مؤكداً وثابتاً كما أن العلم السابق مؤكد وثابت »

وقال أيضاً فى الصحيفة نفسها نقلا عن القديس أغسطينوس « إن كان اعداد النعمة هو الذى يتوصل به الى الحياة الأبدية لزم أن يقضى به الله منذ الأزل »



الفصل الثاني

في

شمول قضاء الله تعالى لسائر مخلوقاته

قال الوحي الالهي : قد حلف رب الجنود قائلا انه كما قصدت يصير وكما نويت يثبت هذا هو القضاء المقضى به على كل الارض وهذه هي اليد الممدودة على كل الامم فان رب الجنود قد قضى فمن يبطل ويده هي الممدودة فمن يردها (اش ١٤ : ٢٤) راجع أيضاً (دا ٧ : ٢٤ — ٢٧)

واستناداً على هذا النبأ الصريح يسوغ لنا أن نقول أن قضاء الله يشمل سائر أعماله سواء أكان من جهة ابداع الخليقة ونظامها . أو من جهة حفظها وسياستها عن طريق العناية التي تجرى إما بلا واسطة أو بوسائط ووسائل متنوعة تعينها مشيئته الصالحة وترتبها حكمته البالغة وتسندها يده القادرة

بحال لا يلحقه تعالى منها نقص ولا يتغير لنظامه ناموس . وإلا نسب كل شيء في الكون الى الاتفاق والاضطرار المعروف بالقدر الاعمى حسب رأى الفلاسفة الوثنيين . ذلك الاعتقاد الذى فوق كونه باطلا بجملته فهو يملأ قلب الانسان وعقله بالمخاوف والاضطرابات التى لا حد لها ثم يتركه وهو في اسوأ حالات الارتباك . بخلاف الاعتقاد بقضاء الله وسلطانه المطلق واجرائه مقاصده تعالى بالحكمة والثبات ذلك الذى فضلا عن أنه حق لاتفاقه ونظامى التوحيد والشرع فهو يريح النفس ويقوى طمأنينتها وثقتها الكاملة بربها الذى يملك ويعمل حسب مسرته فى السماء وعلى الارض (دا ٤ : ٣٥)

فقضاء الله اذن ولا شك يعم سائر مخلوقاته الروحية والبشرية والنباتية والجمادية وسائر الحوادث الكونية على الاطلاق عملا وسماحاً . ولكنه لا يكون بذلك غاصباً لحرية الخلائق العاقلة ولا نازعاً للاسباب ولا للوسائط الثانوية . انما يجرى الى غاية نهايتها مجد الله وخير مخلوقاته . قال تعالى :

« من أجل نفسي من أجل نفسي أفعل » (اش ٤٨ : ١١)

فجل شأنه هو الذى قضى بأبداع سائر الكائنات المتنوعة من العدم على شكلها وهيئتها ونظامها الحالى مزودة بقواها وخصائصها لغايات حسنة سامية منذ خلقتها خلافاً لما زعمه أصحاب مبادىء النشوء الفاسدة الذين يعتقدون فى المخلوقات أنها تكونت إما باخراج جراثيم من جراثيم أخرى حية بوساطة العناية . وإما بتحويلها بنفسها من نباتية الى حيوانية ومن جامدة الى متحركة بالتولد الذاتى . أو بغير ذلك من الآراء الكفرية الفاسدة التى تعتبر لغواً عقلا ونقلا . لأن نشوء حى من لا حى باطل . ونشوء نوع من جنس آخر كحيوان من نبات أو معدن مردود بالاجماع لأن ما قضى به الله فى هذه الكائنات من تمام الحكمة وكمال الابداع لا يقبل تغييراً ولا تحويراً

وتقدس اسمه هو الذى قضى بخلقة الكائنات الروحية وانتخاب البعض وترك البعض الآخر لحريتهم فيما طمحت اليه أنظارهم وهو الذى قضى بأحوال كل انسان مثل ظروف

ولادته ومحل سكنه ومواهبه ونجاحه وفشله وحياته وموته. وكذلك قيام الممالك وسقوطها وعزها وذلها. وأيضاً تكوين أجساد الحيوانات وحفظ حياتها وسد احتياجاتها. كما أن دوران الأفلاك السمائية وتعاقب الفصول ونمو النبات ونزول المطر والبرد والثلج والصواعق والأوبئة ونحوها داخلة ضمن هذه الدائرة عينها مقيدة بشروط وقوانين ثابتة لا تحور.

أما أعمال الناس خيرها وشرها، طيبها وخبيثها، فيده العزيزة الحكيمة متدخلة في سائر دقائقها تدخلا مطلقاً بمعنى أن خيرها يحدث بأمره (اف ٢ : ١٠) وشرها يحدث بسماحه لحصول خير أعظم وهو اتمام غايته المقدسة (اع ٢ : ٣٢ و تك ٥٠ : ٥٠)

ومجمل القول أن كل ما يجري تحت الشمس غير خارج عن دائرة الترتيب والقصد الآلهي. وهو بحكمته تعالى يتسلط على كل أفعال الخليقة وحركات ذوات الحياة والعديمة الحياة ويدبرها بكمال تدبيره ويعني بها عناية خاصة ولا شيء

منها يعد خسيساً أو حقيراً حتى لا يستحق عنايته . قال الكتاب : « حامل كل شيء بكلمة قدرته » (عب ١ : ٣)

فالكائنات العاقلة يسوسها بطريقة موافقة لطبيعتهم وحريتهم . والحيوانات الغير العاقلة يقودها بغرائزها الثابتة والمخلوقات الآلية والغير الآلية يديرها بشرائع ونواميس غير متغيرة .

ولهذا ضل من قال بترفع عظمته تعالى عن مداخلته المقصودة فى أمور الكون الحقيرة . وقد كان أكثر ضلالا منه من اعتقد بالصدفة والاتفاق والحظ والبخت والاضطرار المعروف (بالقدر الاعمى) لأن الأمور الصدفية (اى التى بلا سبب) لا صحة لها مطلقا عند التحقيق . فهى وإن كثرت عند الجاهل وقلت عند العالم إلا أنها معدومة لدى الله الذى لكل شيء عنده سبب صحيح وإن خفى على البشر. قال جل شأنه على فم أشعياء النبى : « أنا الرب وليس آخر مصور النور وخالق الظلمة وصانع السلام وخالق الشر أنا الرب صانع كل هذه » (اش ٤٥:٥) راجع أيضاً (ايوب١٢:

١٤ واع ٢ : ٢٣ ، ٤ : ٢٧) ودونك ايضاح ذلك .

القضاء الالهى يعم سائر الكائنات

اولا (الكائنات الروحية)

قال بولس الرسول مخاطباً تيموثاوس تلميذه : « أنا أناشدك أمام الله والرب يسوع المسيح والملائكة المختارين » (١ تى ٥ : ٢١) . وقال يهوذا الرسول : « والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم الى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام » (يه ١ : ٦)

ومن هذين النصين يستدل على أن الله سبحانه وتعالى قضى منذ الأزل بانتخاب الملائكة المطيعين لأنه سبق فرأى أنهم أهل لذلك . كما أنه قضى برذل الملائكة العصاة منذ الأزل أيضاً لانه سبق فرأى إصرارهم وعنادهم فى ذنبهم . وبما أنه لم يكن لهم من عذر فى خطيئتهم لهذا كانوا عنده غير أهل للعفو والرحمة

ثانياً (الكائنات البشرية مع اختلاف طبقاتها)

وتشمل

(١) أحوال الممالك (٢) أحوال الأفراد (٣) أعمال الناس الصالحة والشريرة

(١) احوال الممالك من حيث قيامها وسقوطها، عزها وذلها

قال دانيال النبي: «وهو يغير الأوقات والأزمنة يعزل ملوكا وينصب ملوكا» (دا ٢ : ٢١) . وقال أيوب: «يذهب بالمشيرين أسرى ويحمق القضاة يحل مناطق الملوك ويشد أحقاءهم بوثاق يلقي هواناً على الشرفاء ويرخي منطقة الاشداء يكثر الأمم ثم يبيدها يوسع للأمم ثم يجليها» (أي ١٢ : ١٧ — ٢٣) . وقال ارميا النبي: «هكذا قال رب الجنود إله اسرائيل انى أنا صنعت الأرض والانسان والحيوان الذى على وجه الأرض بقوتى العظيمة وبذراعى الممدودة وأعطيتها لمن حسن فى عيني والآن قد دفعت كل هذه الاراضى ليد نبوخذناصر ملك بابل عبدى وأعطيته

أيضاً حيوان الحقل ليخدمه ... ويكون أن الامة أو المملكة التي لا تخدم نبوخذناصر ملك بابل والتي لا تجعل عنقها تحت نير ملك بابل انى اعاقب تلك الأمة بالسيف والجوع والوباء يقول الرب حتى افنيها بيده » (ار ٢٧ : ٤ — ٨) وقال جل شأنه لعبده ارميا : « انظر . قد وكلتك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبنى وتغرس » (ار ٣ : ٣٠)

فهذه النصوص الصريحة تثبت ما لله جل شأنه من السلطة العامة على سائر ممالك العالم بحيث يتصرف فيها كيف يشاء . فتغيير أحوال الممالك وانتشارها وانقباضها وطول أيامها وقصرها . ليس ناشئاً عن الصدفة والاتفاق بل عن مشيئة الله الصالحة ومقاصده الحكمة التي يشير اليها الكتاب بقوله : الذى يعمل كل شي حسب رأى مشيئته (اف ١ : ١١) أى الرأى الناشيء من مشيئته تعالى لا من مشيئة غيره سيداً كان أو مسوداً حاكماً أو محكوماً .

لقد كان من حقوق مملكة اسرائيل فى العهد الذى قضى

فيه الله باستقلالها اذا تغلب عليها ملك اجنبي أن تخلع نيره عنها فى أول فرصة (قض ٤، ٥، ٢مل١٨: ٧) ولكن بعد أن قضى جل شأنه بخضوعها لملك بابل كانت كل المساعى التى بذلها يهواقيم ويكنيا وصدقيا للتمرد والعصيان باطلة بل داعية لغضبه وسخطه (راجع ار ٢٧ : ١٢)

ومن ثم اذا رأيت ملوكا يتولون ويرتفعون فقل هو الله العامل . واذا رأيت ملوكا يعزلون ويسقطون فقل هذا هو قضاء التدبير الالهى لأن قول الكتاب ان الله يعمل كل شيء حسب رأى مشيئته هو قول غير مقيد البتة ولنا أن نأخذه بسعة معناه

(٢) احوال الافراد — من حيث حياتهم وموتهم — صحتهم ومرضهم غناهم وفقرهم ـ نجاحهم وفشلهم ـ مواهبهم وحدود مسكنهم

قال أيوب : « الذى بيده نفس كل حى وروح كل البشر » (اى ١٢ : ٩ ، ١٤ : ٥) وقيل فى سفر صموئيل الاول : « الرب يميت ويحيي . يهبط الى الهاوية ويصعد .

الرب يفقر ويغنى . يضع ويرفع . يقيم المسكين من التراب . يرفع الفقير من المزبلة للجلوس مع الشرفاء » (١ صم ٢ : ٦)

قال بولس الرسول : « وصنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض وحتم بالاوقات المعينة وبحدود مسكنهم » (اع ١٧ : ٢٦) وقال دانيال النبي لنبوخذنصر : « وهذا هو قضاء العلى الذى يأتى على سيدى الملك . يطردونك من بين الناس وتكون سكناك مع حيوان البر ويطعمونك العشب كالثيران ويبلونك بندى السماء فتمضى عليك سبعة أزمنة حتى تعلم أن العلى متسلط فى مملكة الناس ويعطيها من يشاء » (دا ٤ : ٢٤ و ٢٥) وقال جل شأنه عن ملك اشور الذى لاعتزازه بعظمته وقوة جيشه اعتقد أن مملكة يهوذا اضحت تحت سيطرته . وأن ملوكها باتوا أسرى أذلاء خاضعين لحكمه . وأنه لا قوة فى الكون تستطيع أن تستخلص أورشليم من قبضة يديه : « لذلك هكذا قال الرب عن ملك اشور . لا يدخل هذه المدينة ولا يرمى هناك سهما ولا يتقدم عليها بترس ولا يقيم عليها

مترسة . فى الطريق الذى جاء فيه يرجع والى هذه المدينة لا يدخل يقول الرب ... وكان فى تلك الليلة أن ملاك الرب خرج وضرب من جيش اشور مئة الف وخمسة وثمانين الفاً . ولما بكروا صباحاً إذا هم جميعاً جثث ميتة» (٢مل١٩: ٣٢ — ٣٥) وقال أشعياء النبي عن كورش الملك : « هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذى أمسكت بيمينه لأدوس أمما وأحقاء ملوك أحل لأفتح أمامه المصراعين والأبواب لا تغلق. أنا اسير قدامك والهضاب أمهد. أكسر مصراعى النحاس ومغاليق الحديد أقصف . وأعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابىء لكى تعرف انى أنا الرب الذى يدعوك باسمك إله اسرائيل » (اش ٤٥ : ١ — ٣)

لقد تنبأ اشعياء النبي عن كورش ودعاه باسمه ذاكراً نجاحه وعظمته قبل مولده بأكثر مل مئة سنة ، وال من اطلع على تاريخ ذلك الرجل علم أنه وهو فى حال صغره كان محفوفاً بأخطار عظمى هيهات أن ينجو منها من كان فى أمنع الحصون وأقوى المعاقل فما بالك بكورش وهو طفل لا حول له

له ولا قوة . ورغم ذلك فقد تخطى تلك العقبات جميعها ولم يصبه ضرر ما .

فلو لم تكن كل ظروف الانسان — حياته وموته — غناه وفقره — نجاحه وفشله . تحت قضاء التدبير الألهى الشامل لسكن ذلك الطفل اللحد وهو بعد فى المهد

وحسبك أن تعرف عن هذا الطفل المشرد أن جده الملك صمم على ذبحه وهدد من وكل اليه أمر تلك الفعلة الشنعاء بالقتل المريع إن هو أهمل شيئاً وأبقى الطفل حياً .

غير أن العناية لاحظت هذا الطفل الضعيف وانقذته من ذلك الهلاك المحقق بطريقة مدهشة لامحل لذكرها هنا . وما فتئت ترافقه العناية فى كل أدوار حياته من حين لآخر حتى ارتقى العرش الذى حاول جده أن ينتزعه منه بكل ما أوتى من قوة واقتدار ثم أضحى ملكاً عظيماً فتح البلاد ودوخ العباد .

ومفاد هذه النصوص والحوادث الواردة فى كتاب الله أنه لا يوجد فى الكون قوة غير قوة الله فهو وحده

الذى يدبر أمور الانسان والكون عامة بمقتضى نواميس طبيعية وروحية نظمها هو بحكمته الفائقة . قال القديس توما اللاهوتى (على وجه العموم يستحيل أن يحدث شىء فى الكون بغير قضاء التدبير الألهى)

فالصحة ليست توفيقاً بل هى لمن يحفظ قوانينها . والمجد ليس اتفاقاً بل لمن يخدم بالأمانة . والغنى ليس صدفة . ولكن لمن يجتهد

نعم إنه أحياناً يحجز عنا جل شأنه الخيرات الجسدية رغم اجتهادنا وذلك إما ليعطينا خيرات روحية أعظم منها . وإما لأسباب يعلمها هو وهى ولا شك فى مصالحنا لأن أفكاره تعالى غير أفكارنا وطرقه غير طرقنا (راجع لو ١٦ : ١٩ و اش ٥٥ : ٨ ـ ١٠ و تث ٢٩ : ٢٩)

(ملاحظة) كلامنا هنا خاص بمن يحصل على غناه بالطرق المحللة . أما الذين يحصلون على غناهم بالطرق المحرمة كالسارق والمشعوذ والزانية . فقد حصلوا عليه لا بتدبير الله وعنايته بل بسماحه كما يسمح بوقوع الشر

قال فم الذهب « فان قيل من أغنى السارق والزانى والمستعمل المال استعمالا رديئاً . قلت ليس هو الله الذى أعطى هؤلاء غناهم لكنه سمح أن يستغنوا . وإن قيل لم لم يمنعهم إذ هم غير مستحقين . قلت لأن زمن الدينونة الذى يجازى فيه كل واحد بحسب استحقاقه لم يأت بعد »

ثانيا أعمال الناس الصالحة والشريرة

ان قضاء الله لا يخص بشموله قيام الممالك وسقوطها فحسب . ولا أحوال جماعات الناس وأفرادهم . بل يشمل أعمالهم الصالحة والشريرة أيضاً (أف ٢ : ١٠ و أع ٢ : ٢٣)

أما عن الأعمال الصالحة فان الانسان اذا أظهر استعداداً واهتماماً بتلك الأعمال فان عناية الله تشمله ونعمته تعضده فينمو عمله ويتم مطلبه وينجح فى مقصده وبذلك يكون كمال عمله الصالح وتمامه وظهور نتائجه من الله تعالى . والى هذا أشار له المجد بقوله : « بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » (يو ١٥ : ٥) وواضح أنه لا يريد بقوله هذا الاعمال

الشريرة لانه سبق فنهى عنها فلم يبقَ قوله يُحمل على شيء من الاعمال إلا من الاعمال الصالحة .

أما كون قضاء الله يعم أعمال الناس الشريرة أيضاً . فمعناه أن تلك الاعمال وان كانت شريرة فهى تحت اذنه وسلطانه . ولا يمكن أن تحدث إلا بسماحه . ولو شاء لقدر أن يمنع حدوثها . واذا سمح بوقوعها فلا تتجاوز الحد الذى عينه لها لانه يكرهها ويبغضها قبل وقوعها وحال وقوعها وبعد وقوعها لانها ضد طبيعته ومشيئته التى هى محبته فلا يسر بها ولا يرتضيها (مز ٥ : ٤) ومن ثم يحولها الى خير وإن ظهر لنا فى كثير من الحوادث عكس ذلك إما لعدم علمنا . وإما لنفور طبعنا . واليك الامثلة على ذلك .

(١) يوسف بن يعقوب : انك اذا نظرت الى هذا الشاب التقى وهو ملقى فى الجب بيد اخوته . والى امرأة سيده وهى ساعية فى هلاكه بواسطة الشيطان . والى نسيان رئيس السقاة اياه حتى يبقى متألماً فى السجن أياماً أخرى وهو يحامى عن زمار الفضيلة ويزود عن حياضها . لظهر لك أن تلك

سلسلة شرور مؤلمة متتابعة ذات أضرار سيئة وعواقب وخيمة تودى حتما بسمعة وحياة صاحبها .

ثم اترك هذه الشرور جانباً وتأمل معى فى تصرفات الله العجيبة لتعرف كيف تتدخل يده القديرة الحكيمة فى شرور الناس فتحولها الى خير عظيم .

ماذا تظن فيما حدث ليوسف بعد تلك التطورات المؤلمة المحزنة . إخالك تعتقد أنها قضت على سمعته وحياته قضاء مبرماً . لا وحقك فشىء من ذلك لم يحدث وانما حدث ما هو أدعى الى العجب والدهشة .

وهل أعجب من أن ترى يوسف الطريد السجين الملوث بأقبح التهم وأقذرها متربعاً فى دست الامارة حاكماً على جميع أرض مصر شاغلا لأكبر منصب بعد الملك فى الدولة ؟

وهذا هو معنى قولنا ان أعمال الناس الشريرة تحت قضاء الله أى أنه يسمح بوقوعها ثم يحولها الى خير عظيم لمن قصد اضرارهم بواسطتها . ولا سيما عبيده الصالحين الذين

لا مرية فى أن ما يسمح جل شأنه بوقوعه عليهم من المصائب وما يأمرهم به من المكاره وينهاهم عنه من الشهوات انما هى طرق يوصلهم بها الى سعادتهم فى العاجل والآجل . أو هى وسائل يستخدمها فى اتمام مقاصد يغلب أن تخفى على البشر وقلما يهتدون الى معرفتها الا اذا لاح لهم شىء من عواقبها .

ولقد أفصح يوسف عن ذلك لأخوته عند ما تجلت له تلك العاقبة الحميدة بقوله : « انتم قصدتم لى شراً ولكن الله قصد به خيراً » (تك ٥٠ : ٢٠، ٤٥ : ٥)

(ب) صلب ربنا يسوع المسيح : ان ذلك العمل من حيث الاهانة والتحقير والموت الشنيع هو بلا شك شر الشرور بل أفظع المآسى والذنوب التى اقترفتها أيدى البشر ، ولكن انظر عمل الله فانه بحكمته السامية حول شر اولئك الاشرار الى ينبوع خير منقطع النظير اذ صيره الواسطة الوحيدة لحياة العالم (يو ٣ : ١٦)

قال الوحى الآلهى : « هذا اخذتموه مسلماً بمشورة الله.

المحتومة وعلمه السابق وبأيدى أثمة صلبتموه وقتلتموه »
(اع ٢ : ٢٣) وبذلك أثبت أن الشر الذى اقترفه أولئك
الاشرار كانت يد الله متدخلة فيه منذ الازل ثم حولته الى
خير عم العالم بأسره

فحقاً ان لله فى أحكامه حكماً تقصر عن ادراكها الألباب.
وانه لا يقضى إلا بما هو خير وإن جهل البشر ذلك

(ج) اسطفانوس والفتية ودانيال وموسى وايوب وداود.

أما الاول فقصد بقتله ملاشاة الكنيسة وتشتيت أعضائها
لكن الله بحكمته السامية حول ذلك الشر الى خير عظيم
للكنيسة حيث آل الى نشر الانجيل فى سائر بقاع الارض
حسب قصد السيد له المجد بعد أن كان محصوراً فى دائرة ضيقة
وهى أورشليم . قال صاحب سفر الاعمال : والذين تشتتوا
(بسبب قتل اسطفانوس) جالوا مبشرين بالكلمة (اع٨:١ـ٤)

أما الفتية ودانيال فقد قصد أعداؤهم هلاكهم حسداً
ليمحوا اسمهم ويخفوا ذكرهم ولكن الله حول ذلك لخيرهم وخير
امتهم حيث ولاهم الملك ولايات واسعة ورقاهم الى درجات

أسمى وأرفع من التى كانوا فيها فتمجد اسمهم وذاع صيتهم
(دا ٣ : ٣٠ ، ٦ : ٢٦)

أما ما سمح به جل شانه مع موسى وايوب وداود فهو وان كان فى الظاهر محنا وابتلاء الا انه فى الباطن كان طرقا خفية أوصلهم بها الى غاية كمالهم وسعادتهم

(د) بولس وسيلا فى سجن فيلبى (اع ١٦ : ٢١)

لقد ضرب هذان الرسولان البريئان ضربا مبرحا ووضعت أيديهما فى المقطرة «١» ثم طرحا فى غيابة السجون بغير ذنب أو جريرة . وذلك بلا شك شر عظيم ولكن الله حوله الى خير أعظم . والحق أنه كان خيراً لم يعادله خير على الاطلاق فى هذه الحياة

لقد اضطجع ذلك السجان فى مرقده وهو وثنى يجهل

---

(١) المقطرة آلة تعذيب وضبط . وهى خشبة صلبة ثقيلة فيها خروق لضبط أعضاء المسجونين . وغلب أن تكون خروقها خمسة . واحد لضبط الرأس . واثنان لليدين . واثنان للرجلين . وكل من خرقى الرجلين بعيد عن الآخر الى حد ينشىء ألما شديداً للمسجون

المسيح وطريق الخلاص عرضة لغضب الله والهلاك الأبدى.
ثم استيقظ فى نصف الليل خائفاً يؤنبه ضميره وقد عزم الانتحار هرباً من الاخطار المحيطة به ولـكنه لم يطلع النهار الا وهو مسيحى مستريح الضمير يعرف طريق الخلاص وقد شرع فى السير فيه هو وأهل بيته (اع ١٦ : ١١ ـ ٣٥).

ومما ذكرناه يستدل على أن قضاء الله يحيط بكل أمر خيراً كان أم شراً . ولا يكون بذلك موصلا الخير عن جبر مطلق ولا خالقاً للشر الذى هو ضده انما يحوله الى غايات حسنة كما ظهر لنا من الحوادث السالفة . لأن الله يجرى قضاءه على ثلاث طرق وهى العمل والسماح والتسلط . فالعمل كما فى الخلق والسماح كما فى الخطيئة . والتسلط كما فى تحويل الشر الى خير .

أما اذا قيل لنا فلماذا يسمح الله بالشر ولمَ لم يتمم مقاصده بوسائط أخرى متخالفة ؟ قلنا ان ذلك لا سبيل لنا لمعرفته . وإنما نحن نعلم أن الشر بعد فساد طبيعة الانسان أصبح أمراً لا بد منه فى العالم . لأنه لولا قبح الرذيلة

لما تبين حسن الفضيلة . ولولا الشر لما عرفنا معنى الخير ولولا الهوان لما شعرنا بقيمة المجد وهكذا قل عن الراحة بعد التعب والشبع بعد الجوع لأن الأمور تتبين من أضدادها

واننا لو نظرنا الى حقيقة الواقع لوجدنا أن ما نحسبه شراً فى العالم ليس هو شراً على اطلاقه . اذ أن ما كان ضاراً لواحد من وجه فهو نافع لغيره أو له نفسه من وجه آخر . فالقتل مثلا فى أصله شر الا أنه فى بعض الأحيان يكون خيراً واصلاحاً بل علة رفع غضب الله وجلب مرضاته تعالى (انظر عد ٢٥ : ١٠) ومن ثم قال بعضهم ان الشر لا وجود له فى طبيعته . وانما هو شرعى فقط . بمعنى أن طبيعة الخير موجودة فى أصل الأفعال . أما طبيعة الشر فعدم . غير أن الأفعال متى فعلت على غير الناموس دعيت شراً .

ثالثا (الكائنات الحيوانية)

ليس من شك فى أن قضاء الله يشمل الكائنات الحيوانية شموله للكائنات البشرية بدليل قوله تعالى :

« انظروا الى طيور السماء أنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن وابوكم السماوى يقوتها » (مت ٦ : ٢٦) وقال أيضا : « أليس عصفوران يباعان بفلس . وواحد منها لا يسقط على الارض بدون أبيكم » (مت ١٠ : ٢٩) وقال صاحب المزمور : « هناك دبابات بلا عدد وصغار حيوان مع كبار كلها اياك تترجى لترزقها قوتها فى حينه تعطيها فتلتقط تفتح يدك فتشبع خبزاً تحجب وجهك فترتاع » (مز ١٠٤ : ٢٧) وقال أيضاً : « تجعل ظلمة فيصير ليل يدب كل حيوان الوعر الاشبال تزمجر لتخطف ولتلتمس من الله طعامها تشرق الشمس فتجتمع والى مآويها تربض » (مز ١٠٤ : ٢٠) وقال بولس الرسول : «اذ هو يعطى الجميع حياة ونفساً وكل شىء (اع ١٧ : ٢٥ ، اى ٣٨ : ٤١)

ويؤخذ من هذه النصوص أن قضاء الله يشمل الكائنات الحيوانية شمولا كاملا لأنه هو الذى يمنحها الحياة ويحفظها على الدوام ويهبها كل مقوماتها ويعتنى بكل نفس من أنفاسها

رابعاً (الكائنات المادية)

وتشمل

دوران الأفلاك . وتعاقب الفصول . ونزول الأمطار . ونمو النبات وغير ذلك

ان قضاء الله كما أنه يشمل الكائنات الروحية والبشرية والحيوانية هكذا يشمل الكائنات المادية أيضاً . قال تعالى على فم عاموس النبي : « وأنا أيضاً منعت عنكم المطر اذ بقى ثلاثة أشهر للحصاد وأمطرت على مدينة واحدة وعلى مدينة أخرى لم أمطر . أمطر على ضيعة واحدة والضيعة التى لم يمطر عليها جفت » (عا ٤ : ٧) وقال أيوب : « الآمر الشمس فلا تشرق ويختم على النجوم » (اى ٩ : ٧)

وقال صاحب المزمور : « المنبت عشباً للبهائم وخضرة لخدمة الانسان لاخراج خبز من الأرض . صنع القمر للمواقيت الشمس تعرف مغربها » (مز ١٠٤ : ١٤—١٩)

وقال : « الكاسى السموات سحباً المهيء الأرض مطراً المنبت الجبال عشباً . الذى يعطى الثلج كالصوف ويذرى الصقيع كالرماد يلقى جمده كفتات » (مز ١٤٧ : ٨ — ١٧) وقال أيضاً : « النار والبرد الثلج والضباب والريح الصانعة كلمته » (مز ١٤٨ : ٨) وقال له المجد : « فانه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين » (مت ٥ : ٤٥) وقال أيضاً : « فان كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم ويطرح غداً فى التنور يلبسه الله هكذا أفليس بالحرى جداً يلبسكم أنتم يا قليلى الايمان » (مت ٦ : ٣١)

ومن هذه النصوص يتضح أن المادة بأنواعها كالاجرام الفلكية والامطار والنباتات والرياح والزوابع والبروق والزلازل والانواء وكل عناصر الطبيعة وظواهرها تحت أمره تعالى وخاضعة لسلطانه فيقودها بحكمته ويسوسها بعنايته فلا نخف منها اذن بل نؤمن بأنها مرسلة منه تعالى لاجراء مقاصده الصالحة (والله محبة)

غير أنه وان كان كل ما فى الكون هو خاضع للقضاء

الالهى وأن كل الحوادث على الاطلاق حتى التى نظن أنها بالصدفة أو بدون تعيين منه هى داخلة فى قصده تعالى (أم ١٦ : ٣٣ ، خر ١٢ : ٣٩ ، تك ٤٥ : ٨) وأنه قضى بالوسائط كما قضى بالغايات المقصودة (٢ تس ٢ : ١١ ، أع ٢٧ : ٢٣ ، ٢٤ ، ٣١) إلا أنه يجب أن نبين ما سبق فقلناه وهو أن هنالك فرقاً بين خضوع الكائنات العاقلة كالملاك والانسان لحكم القضاء الالهى وخضوع الكائنات الغير العاقلة كالحيوانات والنباتات والأفلاك والأمطار وأمثالها

فالأولى تخضع لحكم القضاء بمقتضى العقل ووفق الارادة الحرة . أما الثانية فتخضع خضوعاً اضطرارياً تحت نواميس وقوانين مقررة ثابتة رتبها الله لها منذ تكوينها كالنار فى التسخين والماء فى التبريد . اذ لا يمكن أن تفعل غير ذلك اضطراراً لأنها فاقدة الجزء الاختيارى كما أنها عديمة الادراك

على أن هذه الأخيرة وان كانت خاضعة لنواميس ثابتة وشرائع غير متغيرة إلا أن البارى تعالى له أن يغير

تلك النواميس فيوقفها أو يلغيها أو أن يعمل بها أو بدونها . وذلك يسهل علينا فهم الحوادث الآتية وهى : —

(١) كسوف الشمس فى يوم صلب ربنا له المجد فى وسط الشهر مع مخالفته للنظام الهيئوى [١] (مت ٢٧:٤٥)

(٢) وقوف الشمس على يد يشوع بن نون يوماً كاملا (يش ١٠: ١٢) مع أن وقوف الشمس يؤثر فى كل الكون الفلكى لأن جميع الاجرام السماوية متعلقة بعضها ببعض بقوة الجاذبية ومتفقة فى سيرها فاذا وقف واحد وقف الكل .

(٣) تجمد المياة ووقوفها كسور عن يمين بنى اسرائيل ويسارهم حين اجتيازهم البحر الاحمر (خر ١٤ : ٢١)

(٤) امتناع النار عن حرق الفتية حين طرحهم فى أتون النار المتقدة (دا ٣ : ٢٧)

---

(١) هذه الحوادث داخلة فى باب المعجزات غير أن الله لا يصنع المعجزات الا عند الحاجة اليها لا لمجرد أن يحمل الناس على الاعجاب .

(٥) تكلم اتان بلعام العراف (عد ٢٢ : ٢٢)

وهكذا من أمثال هذه الحوادث التي خولفت فيها النواميس الثابتة وتغيرت . لأن الله الغير المحدود في قدرته يجرى كل ما شاء بحسب مسرته . وما نسميها بالنواميس الطبيعية ليست بقيود ربط بها نفسه فمنعته عن اختياره المطلق انما هي أمثال الحبال في يده تعالى يطولها أو يقصرها كما يقتضيه اجراء مقاصده .

الخلاصة

لقد تبين مما قدمناه أن قضاء الله يشمل سائر الكائنات السمائية والأرضية ، العاقلة والغير العاقلة ، الحية والجامدة وفوق ذلك فهو مستقل ومطلق واختياري وازلي

فمستقل — لأنه ليس لله شريك أو مشير (رو ١١ : ٣٤)

ومطلق — لأن الله ليس مقيداً بشيء في سائر تصرفاته وأعماله وأحكامه (دا ٤ : ٣٥)

واختيـارى — لأن مصدره مشيئة الله دون سواها (اف ١ : ١١)

وازلى — لأن كل الحوادث التى حدثت فى الماضى والتى سوف تحدث فى المستقبل هى لدى عقل الله منذ الأزل وأنه قضى فى الأزل ما حدث منذ بداية الزمن حتى الآن وما سوف يحدث الى الأبد (اع ١٥ : ١٨)



الفصل الثالث

فى

عدم تغيير قضاء الله سبحانه وتعالى

لما كان الله جلّ شأنه ذا كمال غير متناه فى معرفته وحكمته وقدرته وصدقه وأمانته فمن ثم لم يكن هنالك ما يحمله على تغيير مقاصده الالهية . لأن تغيير المقاصد إما أن ينشأ عن نقص فى الحكمة ، أو عن نقص فى القوة ، أو عن نقص فى الصدق والأمانة . والله جلّ شأنه كامل فى هذه الصفات كمالاً غير متناه ٍ

فكمال حكمته وعلمه وقدرته يمكنه من الاحاطة بسائر الأزمنه والظروف والأحوال ويجعل كل تغيير فى القضاء لا موضع له لأنه لا يغلط فى أحكامه فيضطر لتغييرها وأصلاحها ، وكمال قدرته يقدره دائماً على اتمام مقاصده

وتنفيذها لأنه لا شيء عسير لديه. وكمال صدقه وأمانته يمنعان عنه عدم اتمام ما عينه وتغيير ما وعد به. لانه يرى النهاية منذ البداية وأقسام الزمان لا تأثير لها بساكن الأبد. قال الكتاب: « معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله » (أع ١٥ : ١٨) ولقد أثبت الوحى الالهى عدم تغيير قضاء الله بقوله: « الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران » (يع ١ : ١٧) « ليس الله انساناً فيكذب ولا ابن آدم فيندم هل يقول ولا يفعل أو يتكلم ولا يفى » (عد ٢٣ : ١٩) وأيضاً « نصيح اسرائيل لا يكذب ولا يندم لأنه ليس انساناً فيندم » (١ صم ١٥ : ٢٩) « أما مؤامرة الرب فالى الأبد تثبت أفكار قلبه الى دور فدور » (مز ٣٣ : ١١) « قد حلف رب الجنود قائلا إنه كما قصدت يصير وكما نويت يثبت » (اش ١٤ : ٢٤) « اذكروا الاوليات منذ القديم لأنى أنا الله وليس آخر الاله وليس مثلى مخبر منذ البدء بالأخير ومنذ القديم بما لا يفعل قائلا رأيى يقوم وأفعل كل مسرتى » (اش ٤٦ : ٩) « قضيت فأفعله » (اش ٤٦ : ١١)

ولا يُرد ذلك باطالة الله حياة حزقيا خمس عشرة سنة بعد ما أخبره أنه سيموت (اش ٣٨ : ١) لأن الله سبحانه وتعالى رسم منذ الأزل أن يزيد على عمر حزقيا خمس عشرة سنة علاوة على عمره المحدود بشرط أن يتذلل أمامه ويتضرع . وقد حدث أن حزقيا الملك تذلل وتضرع بدموع مرة غزيرة فأعطى له الله ما تقرر له من الزيادة منذ الأزل. فلا الرسوم تغيرت ولا النبى انخدع . لأنه حاشا لقضاء الله الذى هو قصده الأزلى المقدس الحكيم المطلق أن تشوبه شائبة التغير والتحول .

قال القديس توما اللاهوتى : « إن قضاء التدبير الالهى ليس يعروه تبديل او تغيير لكونه مبرماً بالعقل الأزلى »

أما ما جاء عنه سبحانه وتعالى فى بعض آيات الكتاب أنه « ندم » (ار ١٨ : ٧ ـ ١١ و يون ٣ : ١٠) فلا يدل على تغيير قضائه وأحكامه لأن الذى يتغير فى الواقع ليس قضاء الله وانما الانسان الذى يضع نفسه تارة تحت عمل العدالة وطوراً تحت عمل الرحمة الذى يعبر الكتاب عنه بالندم دائماً.

قال أحد علماء الكتاب « اذا اخطأنا حرمنا من الخير الذى وعدنا الله به . واذا تبنا ترك الرب الشر الذى توعدنا به . ومن ثم نرى الله تارة معنا وطوراً علينا . والكتاب يعبر عن عواطف الله نحونا بلغتنا كما يعبر الانسان للانسان أخيه ليفهم . وهذا هو معنى قول الكتاب « الله ندم » فالله لا يغير قوله ولا يتغير . أما الانسان فهو الذى يغير قوله ويتغير . وانما أختير هذا التعبير مراعاة لفهم البشر ومبالغة فى المعنى فقط »

(راجع المجلد الأول من كتابنا علم اللاهوت صفحة ١٨٤)



الفصل الرابع

فى

الاعتراضات على القضاء الذى منشأه الاختيار والرد عليها

(١) يقولون ان تعليم القضاء ينافى اجتهاد المكلفين لأنه اذا كان القضاء سبق فلا فائدة فى الأعمال . وان ما قضاه الله لا بد من وقوعه فتوسط العمل لا فائدة منه

الرد: ان القضاء السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه بل يوجب الجد والاجتهاد . فان الانسان ينال ما قضى له بالسبب الموصل اليه . فاذا اتى بالسبب أوصله الى القضاء الذى سبق له (اغ ٢٧ : ٢٤) فمن قضى له بالعلم فلا يناله الا بالاجتهاد والحرص على التعليم . ومن قضى له أن يستغل أرضه فلا يحصل على غلتها الا بالبذر وفعل أسباب الزرع .

وكذلك من قُضى له بالخلاص فلا يمكنه أن يحصل عليه الا بالتوبه والايمان . واليك حادثة وردت فى كلام الوحى الالهى تؤيد نظريتنا هذه وهى : —

انه لما كان بولس مسافراً الى ايطاليا ظهر له ملاك الله فى الليلة التى أشرفت فيها سفينته على الغرق وقال له : لا تخف يا بولس ينبغى لك أن تقف أمام قيصر وهوذا قد وهبك الله جميع المسافرين معك (اع ٢٧ : ٢٤)

ثم أنه جاء عن بولس فى نفس هذه الحادثة أنه لما رأى النوتية يتأهبون للهرب قال للقائد : إن لم يبق هولاء فى السفينة فانتم لا تقدرون أن تنجوا (اع ٢٧ : ٣١)

وقد يظهر للمطلع على هذين القوانين لأول وهلة أن هنالك منافاة بينهما . غير أن تلك الشبهة تزول متى علمنا أن قصد الله نجاة اولئك المسافرين يشمل أيضا الوسائل اليها ومن جملتها منع الملاحين من الهرب

فاذا فرضنا ترك الوسائل وجب أن نفرض بطلان القصد لارتباط كل منهما بالآخر . وكذلك مقاصد الله

فى خلاص الانسان فانه يشتمل على استعمال الوسائط المرتبطة بها وهى الايمان والسيرة الصالحة . فمن يعذر نفسه عن اهمال الايمان بقوله اذا كان الله قضى بخلاصى خلصت لا محالة اجتهدت أم لم أجتهد . فعليه أن يتأمل فى هذه الحادثة وحينئذ يظهر له بطلان رأيه

وبجمل القول أن من يعطل العمل اتكالاً على القضاء السابق فذلك بمنزلة من عطل الأكل والشرب اتكالاً على ما قضى له بالحياة فهو ميت لا محالة . لأن سائر الأمور مرتبطة بأسبابها الموصلة لها

(٢) يقولون حيث أنه فى سبق علم الله أن أحد عبيده من أهل الضلالة فهو الذى أراد له ذلك طبعاً . وتعيين نصيب الانسان فى الحياة بحكم الهى لا طاقة له بدفعه . وانما كان يليق بالله وهو يريد خير عبده أن يهديه لقدرته على الهداية .

الرد : نعم لا شك أن الله يعرف حال الانسان قبل وبعد خلقته كما أنه فى استطاعته هدايته أيضاً . ولكن لو هدى من ليس أهلاً للهدى لوضع الهدى فى غير محله

وعند من لا يستحقه . والله حكيم يضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها . ومنع الخير عمن لا يستحقه ليس ناشئاً من عدم ميل الله لخير عبده وانما هو ناشيء عن علمه السابق في ذلك العبد أنه لا يصلح للهدى ولا يليق به «لأن الكوشي لا يغير جلده»

أما سبق علم الله فليس هو سبباً سابقاً الى كون شيء مما هو كائن. فالطبيب الماهر قد يتقدم فيعلم من أمر المريض أيسلم من مرضه أو يموت . غير أن علمه بسلامته أو موته ليس هو سبباً سابقاً الى سلامة ذلك المريض أو موته . ومن ثم لا يصح أن نبني العلم على الارادة . لأن العلم شيء والارادة شيء آخر . فالارادة أو المشيئة تقضي وتعين الحوادث . أما العلم فيرى تلك الحوادث محققة الوقوع .

فقولنا ان الله علم أن يهوذا ابن(١) الهلاك ليس معناه أنه

---

(١) كلمة ابن اذا اضيفت الى ثواب أو عقاب كانت بمعنى مستحق أو أهل

هو الذى أراد هلاكه إذ ليس كل ما علمه أراده . فهو تعالى يعلم أن له قدرة على الظلم ولكن علمه به ليس موجبا لفعله .

قال العلامة ابن المكين « لو كان علم الله سبحانه هى ارادته وأن المفهوم من حقيقة علمه تعالى هو المفهوم من ارادته ، وأننا اذا قلنا أن البارى عالم نستغنى عن قولنا مريد كان هذا الاعتراض حقيقيا . ولكن نقول أن المفهوم من قولنا أن البارى عالم هو غير المفهوم من قولنا مريد . وذلك لأن الفرق بين هذين المفهومين ظاهر وهو اذا قلنا أنه مريد انما نعنى به سبحانه قد يشاء فيظهر اخراج الشىء من من العدم الى الوجود وقد لا يشاء ولا يريد اظهار ذلك فله أن يفعل وله أن لا يفعل . وإنما اذا قلنا أنه عالم فلا نعنى بذلك أن له أن يعلم وله أن لا يعلم لكنه عالم دائمًا فلا يمكن أن يكون عالمًا فى وقت وغير عالم فى وقت آخر . وهذا هو الفرق بين القضيتين أعنى عالم ومريد . فهو عالم دائمًا ومريد فى وقت وغير مريد فى وقت آخر)

(٢) يقولون حيث أن قضاء الله يعم كل شىء فى الوجود

فاذن جلّ شأنه مسؤول عن وجود الشر والخطيئة فى العالم

الرد : نعم أن دخول الخطيئة فى العالم سر لا يدرك وأن الله تقدس اسمه هو الذى سمح بدخولها بلا شك لمقاصد سامية مجهولة لدى البشر إلا أن جرم وجودها لا يُنسب اليه تعالى بل يُنسب للانسان الذى ارتكبها بحرية إرادته التى لم تُسلب منه والله اتّخذ الخطيئة فرصة لاظهار قداسته.

قال الوحى الالهى : « لا يقل أحد إذا جُرب انى أجرَّب من قبل الله لان الله غير مُجرب بالشرور وهو لا يجرب أحداً ولكن كل واحد يُجرَّب إذا انجذب وانخدع من شهوته » (يع ١ : ١٣) وقال أيضاً : « وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله فى معرفتهم أسلمهم الله الى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق » (رو ١ : ٢٩)

(٤) يقولون حيث أن أعمال الناس الشريرة داخلة فى قضاء الله فهم ليسوا بمسؤولين عنها لأنه ليس فى وسعهم مقاومة قضائه تعالى

الرد : انقضاء الله السابق ومسؤولية الناس عن أعمالهم

الشريرة لا يصطدمان. لأنه وان كان قضى منذ الازل بتسليم المسيح مثلا فذلك لا يُخلى المسلم من المسؤولية . لأن الله سبق فعرف أميال ذلك المسلم الرديئة فاستخدمها فى اتمام مقاصده الأزلية . وقد أثبت الكتاب أن قضاء الله ومسؤولية الانسان يجتمعان فى أمر واحد بدون مناقضة بقوله : «وابن الانسان ماض كما هو محتوم ولكن ويل لذلك الانسان الذى يسلمه » (لو٢٢:٢٢) راجع أيضاً (اع٤:٢٧).

(٥) يقولون كيف يصح الحكم على فعل انسان كيهوذا بأنه أثم وقد أتم نبوات الكتاب المبنية على قضاء الله وعلمه السابق

الرد : أن كل ما فعله من هو مماثل ليهوذا يعد فعله باختياره ولذلك كان مسؤولاً عما فعل لأن قضاء الله لم يسلب حريته أى لم يجبره على الفعل ولم يغره به . وأنه لو رفع قضاء الله وسبق علمه المسؤولية عن يهوذا وأمثاله ومنع وقوع عقابهم لكان ذلك مانعاً وقوع اثابة البار على بره لان قضاء الله يتناول جميع أفعال الناس من خير وشر

الفصل الخامس

في

فساد الرأى القائل بالقضاء والقدر الجبرى

لقد أوضحت فيما سبق أن قضاء الله يشمل سائر مخلوقاته الروحية والبشرية الآليه والغير الآليه حتى لا نثبت في ملكه تعالى ما لا يشاء وفي مشيئته ما لا يكون . ولكى نجعل كل شيء راجعاً الى مشيئته ومنقطعاً عن مشيئة سواه استناداً على نص الكتاب القائل : « لان منه وبه وله كل الاشياء » (رو١١ : ٣٦)

غير أن ذلك لا يلتبس علينا بالقول المشهور « ان كل شيء من خير وشر من الله مقدور » لأنه وان كان قضاؤه تعالى يعم كل مخلوقاته إلا أنه في الوقت ذاته خلق الانسان عاقلا حراً مختاراً متصرفاً بالارادة والمشيئة مسؤولا عما يفعل

أما كون الانسان فاعلا مختاراً مريداً فما اتفقت عليه الانبياء والرسل والكتب المقدسة ودل عليه العقل والفطرة وشهدت به الموجودات ناطقها وصامتها . وسترى ذلك واضحاً جلياً فى الفصل التالى

ولعمرى أنه لقد ضل من اعتقد أن الله حتم ضرورة فى سابق علمه الازلى أعمال الناس الصالحة والشريرة أى خلق الشرير وقوداً لجهنم جبراً . وأقام الصالح وارثاً للجنة عفواً . لأن من اعتقد ذلك فقد صير الله تقدس أسمه علة الشرور ومريدها . وحاشا للبارى أن يكون سبباً أولياً للزانى والقاتل والسارق لأن المريد لشىء ما . فقد ارتضاه واذا ارتضاه فهو سببه وفاعله . وهل يليق بذى الجود المطلق والحكمة البالغة والعدل الكامل أن يريد شيئاً لعبده ثم يعاقبه . عليه إن ذلك ليأباه العقل السليم ولا يستسيغه المنطق الصحيح لا لمضادته عدل الله فحسب بل وعدل البشر أيضاً

هذا فضلاً عن أن من اعتقد بالقضاء الجبرى فقد أثبت عدم معصية الخلق للخالق فيما يعصون لأنهم وان

عصوا أمره فقد أطاعوا ارادته ومطيع الارادة غير ملوم . بل لا يستحقون ذماً ولا عقوبة لأن المجبور المكره على الفعل معذور

قال صاحب منارة الاقداس (لو كان الله قدّر على الأشرار أن يكونوا أشراراً وعلى الصالحين أن يكونوا صالحين وفي الآخرة يشقى أولئك ويسعد هولاء في حين أن هولاء وأولئك مكملون لارادته فينتج أنه تعالى غير عادل في معاملته)

وقال (لو كان الله عزّ وجلّ قدّر على القاتل أن يقتل واذا قتل يعذبه في نار جهنم فقد نتج أن الله يشجب من يفعل هواه ويكمل رضاه وذلك محال)

وقال أيضاً (اذا كان الصالحون يفعلون الصالحات بالقدر والطالحون يفعلون السيئات بالقدر أيضاً فلمَ هولاء يمدحون وأولئك يذمون لأنه ليس بارادتهم يفعلون ما هم فاعلون)

ولم يقتصر هذا الاعتقاد الفاسد على هذه النتائج السيئة

فقط بل هنالك نتيجة أسوأ وأشر مما ذكرنا وهي أنه اذا كان الانسان مجبوراً ومقسوراً على فعله فيكون ارسال الانبياء والرسل للاصلاح عبثاً وبلا فائدة . وكلام الله الذي وضع للهداية والارشاد لغواً وباطلاً . لأن من كان رجوعه مقضياً به سوف يرجع وعظ أو لم يوعظ . ومن كان ضلاله محتماً ضل سواء وعظ أو لم يوعظ . وبذلك يصير نظام الله الذي أجراه في العالم من وضع كتب آلهية وارسال أنبياء ومنذرين خالياً من كل سداد وحكمة . تعالى ذو الحكمة المطلقة عن ذلك وتمجد

قال العلامة ابن المكين في هذا الصدد (ان الذين يعتقدون أن الخير والشر مقدران من الله يعتقدون أن الله علة الشرور ابتداء ويلزم من ذلك أن ارسال الانبياء عبثاً ولا فائدة منه لان الله يعلم المطيع الصالح قبل ارسال النبي اليه أنه مطيع صالح ومن أهل الطاعة . فقول النبي له وأمره بالصلاح لا فائدة منه ولا يجدي نفعاً . لانه لو قال له لا تعمل صالحاً لا يمكنه أن لا يعمل صالحاً لان

الخروج عن المقدور غير مستطاع . ولأن المقدور لا بد من وقوعه حتماً . وكذلك قوله للصالح يجرى على هذا القياس . وجزاء الشرير على شره وكذلك الصالح على صلاحه ليس من فعل الحكيم العادل لأنه سبحانه أمر الشرير أن يكون شريراً وجعله عليه حتماً مقضياً ثم يعاقبه على ما قضى به عليه فهذا بعيد عن عدل العادل بل من الممتنع . لذلك يكون ارسال الرسل والانبياء لا فائدة منه لأن الداعى للناس الى ما حتمه الله وقدره عليهم قد كلف نفسه وأتعبها فيما ليس له فائدة لان الغاية المطلوبة بدعواه حاصلة من غير دعواه)

الخلاصة

إن الجبر وهو الاكراه والقهر ليس هو من شأن الخالق جل شأنه بل من شأن المخلوق وذلك للاسباب الآتية : —

(١) لأن المخلوق قد يجبر غيره اجباراً يكون به ظالماً متعدياً عليه والله تعالى أعدل من ذلك فانه لا يظلم احداً من خلقه بل مشيئته نافذة فيهم بالعدل والاحسان

(٢) لأن المخلوق يجبر غيره لحاجته الى ما جبره عليه ولانتفاعه بذلك وهذا لأنه فقير بالذات وأما الله تعالى فهو الغنى بذاته الذى كل ما سواه محتاج اليه وليس به حاجة الى أحد .

(٣) لأن المخلوق يجبر غيره لنقصه فيجبره ليحصل له الكمال بما أجبره عليه . والله تعالى له الكمال المطلق من جميع الوجوه وكماله من لوازم ذاته لم يستفده من خلقه بل هو الذى أعطاهم من الكمال ما يليق بهم . فالمخلوق يجبر غيره ليتكمل والله تعالى منزه عن كل نقص فكماله المقدس ينفى الجبر .



الفصل السادس

فى

حرية الانسان وهى المعروفة بالسلطة الذاتية
أو الجزء الاختيارى (١)

الحرية هى أن يُستطاع انشاء الفعل أو عدم انشائه . أو هى قوة الفاعل فى أن يختار أمراً على غيره .

أما الشيء الحرّ أو الاختيارى فهو ما يصدر عن الارادة موجهة ذاتها اليه مع قدرتها على تركه . ومن ثم كان قولنا إن الانسان خُلق حراً أو أنه ذو مشيئة حرة معناه أنه حر فيما يفعله لادراك غايته فلا يعمل عمله مضطراً .

---

(١) لفظ الاختيار مشتق من الخير المخالف للشر ولما كان الأصل فى الحى أنه يريد ما ينفعه وما هو خير سميت الارادة اختياراً .

ويُستدل على حرية الانسان (١) من الاجماع (٢) من وضع الشرائع والقوانين (٣) من الشعور الباطنى (٤) من شهادة الوحى الالهى

(١) الاجماع — لقد أجمع الكل على أن الانسان يستطيع أن يفعل ما يستحق عليه الثواب أو العقاب وذلك يستلزم بالضرورة الحرية من الاضطرار . فلو لم يكن الانسان حراً لما كان فى امكانه انشاء الفعل أو تركه ولامتنع أن يُجزى على فعله بثواب أو عقاب ولما استحق فعله مدحاً أو ذماً ولكان الله تعالى غير عادل لو أجرى معه من ذلك شيئاً . لأن المدح والذم والثواب والعقاب لا تترتب إلاّ على الأفعال الارادية .

(٢) من وضع الشرائع والقوانين : ولو لم يكن الانسان حراً لكان وضع الشرائع والقوانين الآلهية والوضعية لغواً وبلا فائدة ولكان التحضيض والوعد والوعيد باطلاً ولا يجدى نفعاً .

(٣) من الشعور الباطنى : كل انسان يشعر أنه حر

فى أفكاره وأقواله وأفعاله فله أن يقبل هـذا الفكر أو يرفضه . وأن يفعل ذلك الفعـل أو يتركه . كما أنه فى وسعه أن يستشير غيره قبل الاقدام على عمله فما رآه موافقاً للصواب والعقل أنجزه وما رآه غير موافق نبذه . ولا يستطيع أحد أن يضطره على شىء من ذلك سوى ارادته .

وليس من يرتاب فى أن الشعور الباطنى منزه عن الغلط

أجل لقد قال بعضهم ان الله أوجد فى الانسان قوة ما تابعة للفعل فيظن معها أنه هو الفاعل لذلك الفعل بارادته بينما عناية الله هى الفاعلة له . غير أن هذا الرأى لا يصح الركون اليه والاخذ به لأنه خلو من الدليل القاطع

(٤) من شهادة الوحى الالهى : —

قال ربنا له المجد : يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها . كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخهـا تحت جناحيهـا ولم تريدوا (مت ٢٣ : ٣٧).

وبهذا التصريح ايّدجل شأنه وجود الارادة الشرطية

فى الله التى لا تـكمل دائماً — اذ قال اردت ولم تريدوا — كما أنه أيّد بالتبعيـة حرية الانسـان التامة والمسؤولية الملقاة على عاتقه فانتفى بهذا التصريح الرأى القائل ان الانسان غير مخير بل مسير وانه لا يعمل الخير أو الشر إلا كآلة صماء

وقال لذلك الرجل الذى سأله عن طريق الحياة : ان اردت ان تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء وتعال اتبعنى (مت ١٩ : ١٦) وبهذا القول دل دلالة صريحة على حرية الانسـان المطلقة لأنه له المجـد لو لم يعلم تحقيق وجود الاستطاعة للطبيعة الانسانية لكان قوله (ان اردت) أمراً بالممتنع على تقدير أن ذلك الشخص قُدّر عليه غير ما أراده منه — ورب المجد منزه عن طرق الظلم والاعتساف

وقال أيضاً لليهود : ولا تريدون أن تأتوا الىّ لتكون لكم حياة (يو ٥ : ٤٠) وبهذا أبان أن للبشر الاختيار المعتوق إذ أنهم لم يريدوا أن يأتوا اليه لنوال الخلاص مع أنه هو كان يريد ذلك . فالمانع للناس من نوال الخلاص لا قضاء الله ولا محدودية الفداء بل فساد ارادتهم الحرة

وقال بولس الرسول : الله يريد أن جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون (١ تى ٢ : ٤) وبهذا أثبت أن الله يريد أن يخلص الجميع وأن يقبل الكل الى معرفة الانجيل الذى هو الطريق الى الخلاص . أما الذين يهلكون ولا يقبلون الى الايمان فمن انفسهم وارادتهم وعدم توبتهم وذلك صريح فى أن الانسان حر يفعل ما يريد . فاذا أراد خلاص نفسه خلصت . واذا شاء هلاكها هلكت

قال القديس امبرسيوس (ان كان الله القدير يريد أن يخلص الناس كلهم فلماذا لم تنفذ ارادته إنما ذلك لأن فى الآية شرطاً مقدراً منوياً . نعم أنه يريد أن يخلص الجميع ولكن بحيث يقبلون اليه تعالى ويتقربون منه سبحانه لأنه لا يريد خلاص من لا يريد بل يريد خلاص الناس إذا هم أرادوا)

قال بطرس الرسول : وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع الى التوبة (٢ بط ٣ : ٩) ويؤخذ من هذا النص أن الله لا يشاء أن يهلك أحد البتة بل يريد أن يتوب

كل خاطىء ويخلص . ومن ثم يعد الوسائط اللازمة لخلاص الجميع ولا يمنع نعمته عمن يطلبها ولا يسوق أحداً الى الخطيئة جبراً . وفى ذلك دليل واضح على حرية الانسان المطلقة .

قال يشوع لبنى اسرائيل : فاختاروا لأنفسكم اليوم من تعبدون (يش ٢٤ : ١٥) وبذلك أثبت أن الله أعطى الانسان قوة الاختيار . وهذه القوة هى من أفضل المواهب وأجلها . فلم يعامل الانسان كالبهائم التى جعلها تحت سلطان الانسان ولم يعامله كعبد يجبره على حفظ وصاياه بل عامله كانسان حر يحفظ وصاياه ويخدمه بارادته خدمة عقلية روحية .

قال جل شأنه لقايين عند ما عزم على قتل أخيه هابيل: لماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك (١) إن أحسنت أفلا رفع (٢) وان لم تحسن فعند الباب خطيئة رابضة واليك

---

(١) أى وجم واطرق لشدة الحزن

(٢) رفع الرأس كناية عن الرضى

اشتياقها وأنت تسود عليها (تك ٤ : ٥) وبهذا النطق الالهى أوضح جل شأنه لقايين أن الخطيئة راغبة فى افتراسه وأنه هو قادر على أن يغلبها ويدفعها عن نفسه اذا شاء كما يفعل السيد بالعبد .

وحيث أن الخطيئة لا تسود على الانسان اذا لم يشأ سيادتها عليه وأنه قادر أن يغلبها ويسود عليها فهو اذن فى منتهى الحرية وكمال السلطة الذاتية

وقال على فم موسى النبى مخاطباً بنى اسرائيل : انظر قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير والموت والشر (تث ٣٠: ١٥ و ١١ : ٢٦) وقال بفم أشعياء النبى : ان شئتم وسمعتم تأكلون خير الارض وان أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف لأن فم الرب تكلم (اش ١ : ١٩) وقال بفم حزقيال النبى : انى لا أسر بموت الشرير بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا . واذا قلت للشرير موتاً تموت فان رجع عن خطيئته وعمل بالعدل والحق فانه حياة يحيا لا يموت كل خطيئته التى أخطأ بها لا تذكر عليه . عند رجوع البار عن بره

وعند عمله اثماً فانه يموت به وعند رجوع الشرير عن شره وعند عمله بالعدل والحق فانه يحيا بهما (حز ٣٣ : ١١ — ٢٠)

وقال بفم أرميا النبي (١) : تارة أتكلم على أمة وعلى مملكة بالقلع والهدم والاهلاك فترجع تلك الأمة التي تكلمت عليها عن شرورها فأندم عن الشر الذى قصدت أن أصنعه بها (ار ١٨ : ٧) راجع أيضاً (مت ١١ : ٢٨ و ١٦ : ٢٤ و ١٨ : ١٤ و ١٩ : ١٧)

ومن هذه النصوص الصريحة يتضح أن الانسان ذو حرية كاملة وارادة مطلقة وله أن يفعل بهذه السلطة المفوضة له من الله تعالى فى اجتلاب الفضائل ودفع الرذائل

نعم أن بولس الرسول أثبت أن الانسان عبد مبيع

---

(١) هذا النص من النصوص التي تشمل شرطاً مقدراً وهو اذا مضت أمة فى شرها وضمت نفسها تحت يد العدالة فوقع عليها القصاص وأهلكها

أما اذا ندمت وثابت الى رشدها وضعت نفسها تحت يد الرحمة فنجت وغفر الله ذنبها

تحت الخطيئة وأنه يفعل الاثم على رغمه اطاعة لمولاه هذا . وانه طالما اجتهد أن يتخلص من سلطته فكان اجتهاده باطلا غير أن أقوال الرسول هذه لا تؤخذ دليلا على عدم حرية الانسان ولا ترفع عنه المسؤولية فيما يفعله لانه لم يقصد بها سوى بيان قوة الطبيعة البشرية الفاسدة وعظمة الجهاد بين القداسة والخطيئة فى قلب المؤمن واستحالة أن يغلب الخير الشر بواسطة العقل والضمير والناموس وانما بنعمة المسيح المجانية (انظر رو ٧ : ١٤)

الخلاصة

ان القضاء حق وشموله لمجريات وظواهر الأرض والسماء قاطبة حق. والحرية حق لا تخالف الطبيعة البشرية. وأن الله جل شأنه ليس هو علة الشرور والفواحش . ولا خلق الانسان مجبراً فى أفعاله بل قابلا عاقلاً مختاراً متصرفاً بالارادة والمشيئة . غير أنه تعالى يتصرف مع الانسان بكيفية يحول بها كل أعماله الى وسائط لاتمام مقاصده

الالهية بدون معارضة لحريته ولخواص طبيعته بحيث يبقى فاعلاً حراً مختاراً اختياراً لا ينشىء فيه قوة تدفعه عن أقوى الأميال فيه من جهة ولا تسلب لديه حرية القضاء المطلق من جهة أخرى

نعم أن القضاء الالهى مع حرية الارادة الانسانية أمر لا يستطيع أحد فى الارض كشفه ولن يستطيع حتى المنتهى. إلا أن عجزنا عن التوفيق بين قضاء الله وحرية الانسان لا يستلزم منه بطلان أحد الامرين بل يثبت أن عقل الانسان قاصر عن ادراك أسرار الله . ولا عجب فى ذلك فان أسراراً أخرى كثيرة غير هذه فى جميع الاديان غير مدركة ومع ذلك فكل أهل دين يسلمون بهذه الأسرار ويعتقدون أنها حقائق لا ريب فيها معتمدين فى التسليم بها على ما جاء فى كتبهم

وحيث أن مسألة حرية الانسان وقضاء الله لا تند عن هذه المسائل فيجب التسليم بها وان لم ندركها اعتماداً على ما جاء عنها فى كتاب الله ؟

الفصل السابع

فى

شرح النصوص الكتابية التى ظاهرها القضاء الجبرى

(١) قال الله تعالى : انى أرحم من أرحم وأترأف على من اترأف (رو ٩ : ١٥)

قد يتوهم الذين ينظرون الى هذا النص نظراً سطحياً أن الله جل شأنه يرحم بعض مخلوقاته ويقسو على بعضهم بلا علة كافية . غير أن ذلك ليس المقصود من هذا النص الذى لو عرفنا علة وضعه الصحيحة لسهل علينا فهمه وادراكه .

أما تلك العلة فهى حادثة العجل الذى عبده بنو اسرائيل وعلى أثرها هلك بعضهم ونجا البعض الآخر . وتنزيهاً لله من الجور فى معاملته الشعب بتلك المعاملة التى بسببها فاز برحمته

تعالى فريق منهم دون الآخر . قال لعبده موسى بما انك انت لست بعارف من هم المستحقون الرحمة والذين لا يستحقونها لان ذلك يستدعى كشف القلوب والضمائر وانتم لكم المعلنات والظواهر فدعنى انا أن أرحم من يستحق الرحمة واقاص من يستحق القصاص لأن ذلك من حقوقى التى لا يشاركنى فيها آخر . ومن ثم أتى بولس الرسول بهذا النص ليبرهن به على أن رحمة الله لواحد من الناس دون الثانى انما هى بلا شك مبنية على علل صحيحة عند الخالق وإن جهلها المخلوق . فمن الجسارة والاثم اذن أن ينكر المخلوق هذا الحق على خالقه . فهو له أن يرحم من يرحم ويترأف على من يترأف

(٢) أليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة وآخر للهوان (رو٩ : ١١)

قد يتخذ البعض من هذا النص دليلا على أن الله سبحانه وتعالى يخلق الناس خطاة ثم يعاقبهم وحاشا لله أن يعمل عملا يضاد عدله تعالى ويقف فى طريق حرية الانسان.

قال يوحنا فم الذهب فى شرحه لهذه الآية (ان الرسول لم يتكلم فى معنى الخلقة ولا اغتصاب الحرية بل فى معنى السلطان والسيادة فى التدبير واختلاف الأمور. وإلا كان الله علة الخير والشر دون أن يكون للانسان دخل فى أسبابهما وذلك خطأ عظيم . وكيفما افترضنا فهذا القول لا ينقض السلطة الذاتية بل يبين ما يجب على الانسان من الخضوع لله . لأن مطالبة الله بالاصلاح لا تكون أقل من معارضة الطين للخزاف . والانسان محظور عليه لا أن يعترض أو يطلب فقط بل أن لا يلفظ لفظاً ولا يفتكر فكراً وانما يشابه الطين الخالى من النفس التابع ليد الخزاف فيدور معه كيفما وجهه. وكما أن الخزاف قد يصنع من الكتلة الواحدة ما يشاء وليس من يقاومه هكذا الله فأنه يعذب البعض ويكرم البعض الآخر وليس للانسان أن يبحث أو يفتش عن علة ذلك بل يخضع له ساجداً لأنه تعالى لا يفعل شيئاً عبثاً ولا كيفما اتفق بل هناك علة كافية لذلك ولو جهل الانسان الحكمة المكتومة).

وقد يسهل علينا فهم هـذا النص جلياً إذا عرفنا أن الخزاف فى الواقع ليس هو علة اهانة الاناء الذى يقصـده الرسول هنا . وانمـا الاهانة لحقت الاناء عن طريق سوء استعماله بعد صنعه .

فاللبنة مثلا يخرجها الصانع صالحة لكل ما يراد منها . وللبانى اختيار فى أن يستعملها إما فى أفخر المبانى وأشرفها أو فى أخسها وأقذرها. هكذا الذين صاروا خطاة مرفوضين من الله انما كان ذلك لعلة سوء استعمالهم لحريتهم لا لأن الله قصد بهم ذلك

(٣) لأنه وهما (أى يعقوب وعيسو) لم يولدا بعد ولا فعلا خيراً أو شراً قيل لها إن الكبير يستعبد للصغير (رو ٩ : ١١)

لاريب أن الله سبحانه وتعالى اختار يعقوب قبل أن يفعل خيراً ورفض عيسو قبل أن يفعل شراً وليس من ظلم فى ذلك لأن من يعرف النفس ويختبرها له أن يختارها أو يرفضها قبل تكوينها. ومن ثم فالتفاضل الذى حدث بين

يعقوب وعيسو لم يكن سببه عدم عدل الله وانما كان سببه فضيلة الواحد ورذيلة الآخر التى كان لا بد من ظهورها فى مستقبل حياة كل منهما لأن المستقبل مكشوف لدى الله تعالى كالحاضر . وإن لم تكن هذه علة التفضيل فهنالك علة أخرى كافية عند الله وإن لم يكشفها للبشر لأنه تقدس اسمه منزه عن العمل اتفاقاً ؟



المبحث الثانى

فى

العناية الآلهية

لقد حدّ اللاهوتيون العناية الالهية بأنها طريقة يرتب بها الله الأشياء لاتمام غايته بكيفية تفوق الادراك . فهى اذن تشمل أمرين: ترتيب الأشياء للغاية المطلوبة، واتمام ذلك بالوسائط المناسبة . فالأول خاص بالعقل الالهى والثانى بالارادة

والعناية الآلهية داخلة فى دائرة القضاء لأنها تحيط بحفظ كل المخلوقات وسياستها

أما كيفية حفظ الله سائر المخلوقات فهى من الأسرار المكتومة عن البشر التى لا يستطاع ادراك كنهها لأنه ليس فى مقدور المحدود أن يدرك مقاصد الغير المحدود

على أنه من المحقق أن تلك العناية تحيط بسائر

الأشياء حتى الدنئية منها كالزهور والأعشاب وشعور الرؤوس . أى أنها لا تلاحظ الكليات فقط بل تلاحظ دقائق الجزئيات أيضاً (مت ١٠ : ٢٩) قال فم الذهب (ان عناية الله لا تنحصر فى السماء والارض ولا فى الانسان والملاك بل تتناول أحشاء أصغر الحيوانات وأخسها وأدق ريش الطير وزهر العشب وورقة الشجرة بحيث لا يغفل التوفيق بين أجزائها)

فيعتنى تبارك اسمه بما نظنه لا يستحق العناية من أمرنا . والذى نراه لا طائل تحته هو عنده ذو شأن عظيم . وان قوله له المجد : « شعور رؤوسكم جميعها محصاة » (مت ١٠ : ٢٩) أبلغ دليل على عنايته الكاملة الشاملة لسائر مخلوقاته . وكما أنه يمتنع وجود شىء غير مخلوق منه تعالى كذلك يمتنع وجود شىء غير مندرج تحت تدبير عنايته .

أما الصدفة والاتفاق فلا نصيب لهما فى مجريات حوادث الكون على الاطلاق . وأننا لو افترضنا على طريقة

غير صحيحة . أن الصدفة فى مقدورها أن تفعل كل شيء فأنهـا بلا محالة تعجز تمام العجز عن تسخير قوات الطبيعة الغير العاقلة فى خدمة الانسان بمنتهى الدقة والترتيب كل هذه الحقب الطويلة دون أن يلحقها تقصير أو يطرأ عليها أقل خلل أو تغيير

فحقاً أنه لولا حكمة الخالق الفائقـة وقدرته الـكاملة وعلمه الواسع وسلطانه المطلق وعنايته الشاملة لأختل نظام الـكائنات واعتراها التشويش والانحلال ورجعت حالاً الى العدم كما كانت . قال القديس اغسطينوس (من لا يصدق بالعناية الآلهية فهو ملحد — لانه لا اتفاق فى العالم ، بل ما نسميه اتفاقاً أو حظاً أو صدفة هو عينه تدبير الله)

أما سياسـة الله للـكون فهى سياسـة عامة حكيمة مقدسة فعاله . فعامة لأنها تشمل كل المخلوقات وأعمالهم . وحكيمة لأنها تناسب طبائعهم الحية والجامدة . ومقدسة لأنها ذات مقاصد صالحة مفيدة . وفعالة لأنه لا يمكن مقاومتها حيث تجرى على كيفية بها يحوّل جل شأنه كل

أعمـال مخلوقاته لاتمام مقاصـده فى الوقت المعين بدون معارضة لحريتهم وخواص طبيعتهم.

غير أن الله تقدس اسمه لا يعتنى دائماً بجميع الاشياء بلا واسطة بل يعتنى بـكثير منها بواسطة العلل الثانوية لا لنقص فى قوته السامية لأنه غنى عن كل مخلوقاته فى مقاصده وأعماله . بل لمزيد جودته ومحبته للبشر . ومن ثم لم يعلن لـكرنيليوس طريق الخلاص رأساً بل استحسن أن يستخدم انساناً فى ذلك حباً منه فى اكرام الناس ببث بشرى الخلاص (اع ١٠ : ٥) وكيفما اعتنى بواسطة أو بغير واسطة فانه يدرك غايته العامة التى هى مجده تعالى أى كماله فى القدرة والحـكمة والجودة

ولقد أثبت الوحى الالهى عناية الله وسياسته الشاملة للـكون بنصوص عديدة واضحة صريحة بقوله : « منه وبه وله كل الاشياء » (رو ١١ : ٣٦) اذاً ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذى يرحم (رو ٩ : ١٦) وحتم بالأوقات المعينة وبحـدود مسكنهم (اع ١٧ : ٢٦) أليس عصفوران

يباعان بفلس . وواحد منها لا يسقط على الارض بدون ابيكم وأما انتم فحتى شعور رؤوسكم محصاة (مت ١٠ : ٢٩ و لو ٢١ : ١٨ و اع ٢٧ : ٣٤) لانه ينجيك من فخ الصياد. ومن الوباء الخطر بخوافيه يظللك وتحت أجنحته تحتمى . لا تخشى من خوف الليل ولا من سهم يطير فى النهار . يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك على الايدى يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك (مز ٩١ : ٢ — ١٢) هو يفعل كل ما يشاء فى جند السماء وسكان الارض ولا يوجد من يمنع يده أو يقول له ماذا تفعل (دا ٤ : ٣٥) كل ما شاء الرب صنع فى السموات وعلى الارض وفى البحار وكل اللجج (مز ١٣٥ : ٦) مصور النور وخالق الظلمة صانع السلام وخالق الشر (اش ٤٥ : ٧)

ومن هذه الآيات البينات يتبين أن عناية الله شاملة كل الكائنات كبيرها وصغيرها جليلها وحقيرها بحال لا تحتاج معها الى برهان لأن كل مجرياتها براهين وأدلة حية . قال القديس اكليمنضوص الاسكندرى (انه لا يستحق

و يبخاً بل عقاباً من يطلب أن يبرهن له على وجود العناية»

(الاعتراضات على العناية الآلهية والرد عليها)

مما لا جدال فيه أن العناية الالهية لا اعتراض عليها — غير أن ما يدعو البعض الى الاعتراض هو لحكمهم على مجريات الكون بحسب ظاهرها . فلو أنعموا النظر فيها وأحكموا الرأى للمسوا خطأ تلك الاعتراضات وبطلانها كما يظهر مما يلى : —

أما أشهر تلك الاعتراضات فهى : —

(١) قول الكتاب : ألعل الله تهمه الثيران (١ كو ٩ : ٩) .

الرد : ان المقصود بهذا القول ليس اخراج الثيران عن التدبير الالهى ولا نفى عناية الله بمخلوقاته بل اثبات أن عنايته تعالى بالانسان أدق وأعظم من عنايته بغيره من الجماد والحيوان

(٢) وجود الاشياء الضارة

الرد : ان الأشياء الضارة لا تنفى وجود العناية الالهية مطلقاً . لأنها وأن أضرت من جهة نفعت من جهة أخرى. ومن ثم كان لا بد منها فى نظام العالم . لا سيما وانه من اعمال عناية الله العجيبة المدهشة هى أنه يجعل الاشياء الضارة والنافعة وسيلة الى اتمام مقاصده الخيرية . واليك مثالا لذلك

لما مات ابن ارملة صرفة حزن ايليا واغتم وعدّ هذه الحادثة وحادثة القحط من شر النوازل التى لحقت به وتلك الأرملة بقوله لله تعالى : أيها الرب الهى أأيضاً الى الارملة التى انا نازل عندها قد اسأت باماتتك ابنها (١ مل ١٧ : ٢٠) معتبراً القحط الضرر الأول والثانى موت ابنها . ولكن ظهر من نتيجة الأمر أن ما ظننه ضرراً كان خيراً لتلك الارملة . لأنه لولا الجوع لما عرفت رجل الله ولولا موت ابنها لما رأت تلك المعجزة التى حملتها على الاعتقاد بأن اله ايليا هو الاله الحقيقى وحده . وهكذا قل عن الوحوش والهوام والحشرات وأمثالها التى لا يُظن فى وجودها إلا

الضرر، والواقع أن لها منافع جمة وإن خفيت على كثير من البشر .

(٣) البلايا والتجارب

الرد : ان البلايا والتجارب لا تتعارض والعناية الالهية لأن الغرض منها تهذيب الصالح وعقاب الشرير فكانت آية محبة الله الابوية للأول، وعلامة عدم رضاه على الثانى، وذلك من مستلزمات الحياة . بل هو من أقوى الأدلة على عناية الله بمخلوقاته . لأن البلايا والتجارب فى الواقع ليست هى إلا علاجات وأدوية ناجعة لكبح جماح النفس والجسد . وترياق الهى يقى من سموم الأهواء والشهوات الفاسدة . وبلسم فائق الجلال يشفى جراحات النفس وكلومها . فالله بمنزلة الطبيب والتجربة المرسلة من قبله بمنزلة الطب . وذلك للنفع لا للضرر، وللخلاص لا للهلاك . أما الراحة والرغد فكثيراً ما يكونان وسيلة الى التعب والضيق ومن ثم عندما استراح الاسرائيليون من الأعداء نسوا الرب

المهم الذى أحسن اليهم فأدى بهم ذلك الى أسوأ الأحوال وشرها .

(٤) عدم المساواة

الرد : ان عدم المساواة ضرورى لقيام نظام الكون بل هو البرهان الصادق على وجود عناية الله بمخلوقاته . لأنه لو تساوى الناس لوقف دولاب العمل وتعطل النظام وحل بالعالم الخراب والدمار . وحباً فى قيام الكون ونظامه وضع الله كل واحد فى منزلة ورتب كل انسان فى وظيفة كما اقتضت حكمته السامية . ومن ثم لا يسوغ لأرباب المنازل المنحطة والوظائف الدنيئة أن يشتكوا من صنع الله ويعدوه ظلماً وغبناً . وحسبهم الجسد ونظامه المحكم فهو كفيل بتقديم الدليل المقنع على هذا النظام العادل . اذ لو كان كل الجسد عيناً فأين السمع . ولو كان الكل سمعاً فأين الشم . هكذا لو كان العالم كله علماء ومتعلمون فأين التلاميذ والمتعلمون . واذا كان كله سادة وحاكمون فأين المسودون والمحكومون . اذن عدم المساواة فى العالم لازم لقيامه

وانتظامه . وبالتالى هو البرهان الملموس على عناية الله به وتدبيره .

(٥) الخطيئة

يعتقد البعض أن الله علة الخطيئة فى العالم وذلك لا يتفق ووجود العناية الآلهية . ويثبتون رأيهم هذا وهو أن الله علة الخطيئة بما يأتى : —

(١) ان الخطيئة فعل موجود صدر وجوده من الموجود الأول وهو الله جل شأنه (٢) لأن الوحى الالهى يسند فعل الخطية له تعالى بقوله : أسلمهم الله الى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق (رو ١ : ٢٨ وعا ٣ : ٦ واش ٤٥ : ٧)

الرد : (١) أما كون الخطية فعل موجود فذلك حق . وكون كل موجود علته الله ليس فيه من شك . غير أن الله تعالى لم يكن العلة المباشرة للخطية . لأن الخطية فى الواقع لم تكن سوى نتيجة الحرية . فالحرية اذن هى علة الخطية وليس الله . ومن ثم لا يليق أن تسند اليه على أنه علتها كما

لو خرج خادمك من لدنك لما له من الحرية ونزل فى اليم ليستحم فغرق فلا يسند هذا الفعل اليك على أنك علته لمنحك اياه حريته .

(٢) أما قول الكتاب : أسلمهم الله لذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق . فمعناه أنه لم يمنعهم عن ارتكاب الفظائع وهذا لا يلزم منه البتة أنه تعالى قادهم الى الاثم أو أجازه لهم . لأن اسلامه اياهم لذلك لم يكن إلا عقاباً لهم على رفضهم الحق .

أجل ان الله جل شأنه سمح بوجود الخطية فى العالم لغايات لائقة بحكمته ليس فى متناول العقل البشرى ادراكها . غير أنه وان كنا لا نستطيع ادراك هذه الغايات السامية الا أننا نعلم أن العناية الالهية لا تسوق الانسان الى الخطيئة ولا تحرضه على ارتكابها بل هو يرتكبها بمحض ارادته وكامل حريته ومن ثم ليس له أن يعترض على عناية الله من هذه الوجهة .

والخلاصة : ان عناية الله وتدبيره يتبينان من اتقانه

الـكون ونظامه . كما أنك لو دخلت بيتاً متقناً لحـكمت بمجرد اتقانه أن له متقناً . أما البلايا والتجارب وعدم المساواة وأمثالهـا فليست ناقضـة للعناية بل مؤيدة لهـا وحسبنا ما ذكرناه عنها ؟



المبحث الثالث

فى

الانتخاب والرذل

تمهيد : الانتخاب أو الاختيار لغة : هو الانتقاء والاصطفاء فيقال انتخب الله رجلا أى انتقاه واصطفاه من بين الناس . وعكسه الرذل .

أما اصطلاحاً : فهو اصطفاء الله عبده من الخطاة الهالكين منذ الازل أى قبل وجود العالم ليكون وارثاً المدينة الثابتة أورشليم السمائية بيت الله الذى لم يبن بالأيدى ليستريح هنالك معه ومع جملة قديسيه الى أبد الآبدين

وقد حدّ القديس توما اللاهوتى الانتخاب بقوله : (ان الانتخاب هو اعداد البعض الى الخلاص الأبدى الموجود فى العقل الالهى)

أما القديس اغسطينوس فقد حده بقوله (انه علم الله

السابق واعداد احساناته التى بها ينجو بتأكيد كل من ينجو)

ومن هذه التعاريف يتضح أن الانتخاب شامل لأمرين فعل العقل وفعل الارادة بما أنه جزء العناية وعمل الرحمة .

على أن الانتخاب وان كان خاصاً بالبشر ومتعلقاً بنوع أخص بخلاصهم فهو يشمل الملائكة أيضاً (راجع يو ١٥ : ١٦ و ١ تى ٥ : ٢١)

أما نظرية الانتخاب والرذل فهى من النظريات العسرة الفهم التى لا يستطيع كائن من كان أن يفهمها ويدرك عللها حق الادراك . لا بل أنه من التطفل المعيب محاولة تطبيق أسرارها على عقولنا القاصرة لأنها من الاسرار التى استأثرت بها حكمة الله السامية . (وما أبعد أحكام الله عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء)

غير أنه بالرغم من سموها عن الادراك وخروجها من دائرة العقل البشرى فقد بحثها علماء اللاهوت على ضوء الوحى الالهى وارتأوا فيها رأيين هما اللذان نراهما فيما يلى

الفصل الأول

في

الرأيين المختصين بالانتخاب والرذل

الرأى الاول : وهو رأى القديسين باسيليوس الكبير واغريغوريوس واثناسيوس وفم الذهب وامبرسيوس : —

ان اختيار الانسان ورذله انما هو مؤسس على علمه تعالى السابق بأخلاق ذلك الانسان وفضيلته وثباته وحسن استعماله النعمة الممنوحة له مجاناً . أى أن انتخاب الناس وتركهم مبنى على ما سبق فرآه جل شأنه أولا فى أشخاصهم من الأحوال وما عرفه فى أطوارهم من الثبات من حيث توبتهم وايمانهم وثباتهم فى القداسة حتى النهاية (١) بدليل

(١) الثبات فى القداسة حتى النهايه هو اخص العلامات الدالة على انتخاب المنتخبين

قوله تعالى لأرميا النبي قبلما صورتك فى البطن عرفتك (ار ١ : ٤) وقول بولس الرسول : لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم (رو ٨ : ٢٩ و ١ بط ١ : ١)

وعلم الله كما هو واضح لا يغش ولا يخدع لأنه يمكنه أن يرى الاشياء مفعولة منذ الأزل كما نراها نحن بحال فعلها أو بعده . اذ ليس ماضٍ ومستقبل بالنظر لكماله تعالى بل كل شيء أمام عينيه حاضر على حد قول الوحى الآلهى : معلومة عند الرب منذ الازل جميع أعماله (اع ١٥ : ١٧)

وكما أنه من المستحيل أن لا يكون قد مشى من أراه ماشياً هكذا من المستحيل أن لا يخلص من يراه الله خالصاً أو أن يضل من يراه الله غير ضال وإلا كان علمه تعالى محدوداً ولأزداد على الدوام علماً . وذلك باطل بالبداهة .

فاذن معرفة الله السالفة بحال الانسان هى أساس اختياره قبل انشاء العالم لاعتبار أنه فاعل أدبي مختار مسؤول عما يعمله . غير أنه وان كانت معرفة الله السالفة بحال الانسان هى أساس اختياره ولكن لا يفوتنا أن الله تعالى

هو الذى يفتتح أمر خلاصنا أولا ويختمه أخيراً . فيفتتحه بمنح النعمة الأولى أى نعمة الايمان التى هى أساس بنيان خلاصنا واهباً ايانا هذه النعمة مجاناً بغير استحقاقنا السابق ثم يكمله بمنحه ايانا نعمة الثبات بفضل خصوصى بسيط خلواً من استحقاقنا السابق ولكن فيما بين هاتين النعمتين من الزمن المتوسط لا بد من الاجتهاد (١) ولذلك يحرضنا جل شأنه دائماً على الاجتهاد والاحتراس على انفسنا . وهذا هو معنى قول بولس الرسول فى خطابه الى أهل فيلبى حيث يضرع لاجلهم قائلا : « واثقاً بهذا عينه أن الذى أبتدأ فيكم عملا صالحاً يكمل الى يوم يسوع المسيح » (فى ١ : ٦) أى أن ذاك الذى ابتدأ خلاصكم بنعمة الايمان هو يكمله بواسطة نعمة الثبات فى البر الى يوم موتكم حيث يحاسبكم الرب يسوع المسيح على كل أفعالكم

---

(١) لابد للانتخاب الكامل من أمرين النعمة من جانب الله ومساعدتها من جانب الانسان

الرأى الثانى : وهو رأى القديس اغسطينوس (١) .

ان قضاء الله من جهة اختيار الانسان وتركه مبنى على مجرد مسرة الله وارادته المستقله المطلقة لأسباب مجهولة عند البشر ومعلومة عنده تعالى . أى أنه جل شانه ليس مقيداً بشرط لقضائه الأزلى فى الخلاص بل يفعل ذلك بحسب قصده ورأى مشيئته (اف ١ : ٤) وان ما يُرى فى المختارين من صلاح فنتيجة الاختيار لا الاختيار نتيجته .

وهذان هما الرأيان المعول عليهما فى الانتخاب والرذل غير أن الأول هو الرى الصائب وهو الذى تأخذ به كنيستنا وسائر الكنائس الرسولية . أما الرأى الثانى فهو السائد فى الكنائس البروتستانية حيث جاء عنه فى كتاب علم اللاهوت البروتستانتى ص ٣٠٠ ما يأتى (ان الذين من البشر قد تعينوا للحياة انتخبهم الله قبل تأسيس العالم حسب قصده الازلى العديم التغير ومشورة مشيئته السرية وحسن

(١) لم يرفض القديس اغسطينوس الرأى الاول بل قبله ودافع عنه .

ارادتها أى انتخبهم بالمسيح للمجد الابدى من قبل مجرد نعمته ومحبته بدون أن يرى سابقاً ايماناً أو أعمالا صالحة أو استمراراً أو شيئاً آخر فى المخلوق تعد شروطاً أو أسباباً حركته الى ذلك . وكل ذلك لحمد نعمته المجيدة . أما من جهة سائر البشر فقد شاء الله حسب رأى مشيئته الذى لا يفحص ، الذى بموجبه يرحم أو يمنع الرحمة لأجل مجد سلطانه المطلق على خلائقه أن يفوتهم وأن يعينهم للاهانة والسخط لاجل خطيئتهم ولحمد عدله المجيد)



الفصل الثانى

فى

البراهين الدالة على تأييد الرأى الاول وهو أن مصدر اختيار الناس ورذلهم هو سابق علم الله بأشخاصهم

قال بولس الرسول : لان هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله الذى يريد أن جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون (١ تى ٢ : ٣)

وقال : لانه قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس (تى ٢ : ١١) وقال حزقيال النبى : هل مسرة أسر بموت الشرير يقول السيد الرب إلا برجوعه عن طرقه فيحيا (حز ١٨ : ٢٣) وقال له المجد : لانه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية (يو ٣ : ١٦)

وقال بطرس الرسول : لكنه يتأنى علينا وهو لا يشأ أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع الى التوبة (٢ بط ٣ : ٩).

وحيث أنه ثابت من هذه النصوص أن الله لا يشاء أن يهلك أحد البتة ولا يمنع نعمته عمن يطلبها ولا يسوق احداً الى الخطيئة قسراً بل يعد الوسائط اللازمة لخلاص الجميع ويريد أن يتوب كل خاطئ ويخلص فاذن لا شيء يحمله تعالى على اختيار هذا ورذل ذاك إلا سابق علمه بأن الأول يصلح للاختيار ويليق به بينما الآخر لا يصلح له ولا يستحقه

أما اذا كان الاختيار والرذل مبنيين على مسرة الله فقط حسب الرأى الثانى فينتج من ذلك : —

أولا — ان الله جل شأنه محابٍ اذ يرحم واحداً من مخلوقاته ويترك الثانى بلا رحمة

ثانياً — يكون مخالفاً لعدله أن يُقاصص انسان قصد هو رذله وتركه

ثالثاً — يكون مخالفاً لحرية الانسان التامة والمسؤولية الملقاة على عاتقه

رابعاً — يكون مناقضاً لأمر السيد له المجد القاضى بكرازة جميع الناس وتبشيرهم بالانجيل (مت ٢٨ : ١٩)

وحاشا لله ذى العدل والرحمة والجود والمحبة أن يعامل بنى الانسان بهذه المعاملة بينما الجميع فى نظره تعالى سواء .؟



الفصل الثالث

فى

الأدلة التى يؤيد بها أصحاب الرأى الثانى رأيهم وهو أن الانتخاب مصدره مسرة الله فقط مع تفنيدها

لقد يستند أصحاب الرأى الثانى على بعض النصوص الكتابية التى لو أخذت على ظاهرها لأثبتت رأيهم وهى

(١) قول ربنا له المجد : أحمدك أيها الآب رب السماء والارض لانك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للاطفال نعم أيها الآب لان هكذا صارت المسرة أمامك (مت ١١ : ٢٥)

(٢) قول بطرس الرسول : الذين يعثرون غير طائعين الكلمة الامر الذى جعلوا له (١ بط ٢ : ٧)

(٣) قول صاحب الاعمال : وآمن جميع الذين كانوا معينين للحياة الابدية (اع ١٣ : ٤٨)

(٤) قول يهوذا الرسول : اناس قد كتبوا منذ القديم لهذه الدينونة (يه ١ : ٤)

(٥) قول السيد له المجد : اضع نفسى عن خرافى . . . ولم أرسل إلا الى خراف بيت اسرائيل الضالة (يو ١٠ : ١٥ ومت ١٥ : ٢٤)

(٦) وقوله أيضاً : لست أسأل من أجل العالم بل من أجل الذين اعطيتنى (يو ١٧ : ٩)

هذه هى أشهر النصوص التى يؤيد بها أصحاب هذ الرأى رأيهم . ودونك شرحها والغرض الصحيح منها

(١) فالنص الأول لا يدل على أن مصدر الاختيار والرذل هو مسرة الله وارادته فقط . بل يدل على أن الله سمح بأن كبرياء اولئك الناس وهم الكتبة والفريسيون وعمام الاختيارى يخفيان عنهم الحق ويكتمانه

(٢) والنص الثانى لا يؤخذ منه أن الله هو الذى عين

بعض الناس للهلاك وبعضهم للخلاص . بل يثبت أنه تعالى لما نظر منذ البدء إصرار اولئك الناس على خطاياهم وعنادهم فى ضلالهم لهـذا تركهم لا يطيعون جزاء لهم بما اشتهته أنفسهم . لأنه وان كان سبحانه لا يشاء هلاك أحد غير أن تركه اياهم لا يطيعون انما هو لفسادهم واستمساكهم بحبال الأثم والضلال .

(٣) والنص الثالث يقرر فى صراحة تامة بأن الذين رفضوا الايمان كان رفضهم اياه اختياراً بعد أن عُرض عليهم والانسان مطلق الحرية يفعل ما يشاء فله أن يقبل الايمان أو يرفضه . وليس أدل على ذلك من أن الذين قيل عنهم فى هذا النص انهم معينون للحياة الأبدية لم يحصلوا على هذا التعيين إلا باستعمالهم الوسائط المؤدية لذلك وهى الايمان الذى عُرض عليهم كما عُرض على غيرهم. فهؤلاء قبلوه فخلصوا واولئك رفضوه فهلكوا . وكان ذلك بمحض ارادة الجميع

(٤) والنص الرابع يدل على أن الله تقدس اسمه عندما رأى بعلمه المطلق مفاسد أولئك الناس وغواياتهم وعصيانهم

سبق فكتبهم للهلاك . فتلك الكتابة لم تكن علة لعدم ايمانهم وخطيتهم بل معلولة لها .

(٥) والنص الخامس لا يدل على فعل المسيح له المجد بل على فعل الناس . فالمسيح أتى ليفتدى الجنس البشرى عامة وقدم ذاته كفارة عن خطايا كل العالم واستحق للجميع النعم الضرورية التى اذا وافقها الناس يستطيعون أن يفوزوا بالخلاص الأبدى . غير أن فريقاً منهم يوافقها وفريقاً يخالفها . فمن وافقها الى المنتهى خلص بالفعل ومن خالفها هلك الى الأبد . فاذن ان كان الكلام على نية المسيح وفعله فقد وضع نفسه عن الجميع ، وان كان الكلام على النتيجة الواقعية فقد يقال إنه مات عن المختارين فقط لنظره سابقاً أنهم يكونون أمناء على النعم التى سوف يمنحهم اياها

(٦) أما النص السادس فيدل على أن السيد له المجد لم يصلِّ عن اولئك الهالكين لا لأنه لم يمت لأجلهم بل لمعرفته السابقة بهلاكهم

فهذا هو شرح الآيات السالفة والقصد الصحيح من

وضعها . غير أنه وان كان اختيار الناس ورذلهم هو بحسب علم الله السابق بإيمانهم وثباتهم فى القداسة حتى النهاية إلا أن الخلاص ليس هو من استحقاقهم بل من استحقاق المسيح له المجد . فهو بنعمته رسم منذ الأزل أن يتخذنا أولاداً له ووارثين للملكوته ليس عن استحقاق فينا بل بمجرد محبته لنا ومؤازرة نعمته المجانية لضعفاتنا . ومن ثم قال بولس الرسول : « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركة روحية فى السماويات فى المسيح كما اختارنا قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة اذ سبق فعيننا للتبنى بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته » (اف ١ : ٣)



الفصل الرابع

فى

طريق الوصول الى الانتخاب

ان انتخاب القديسين هو أشبه شيء بسلسلة سرية مركبة من حلقات مختلفة منتظم بعضها ببعض خلواً من انفصال . فهذه السلسلة من قِبل الله هى تتابع وسائط ونِعم مُعدة ومهيأة منه تعالى منذ الأزل ليوصل بها منتخبيه الى اكليل العدل المهيأ لهم . ومن قِبلنا هى تتابع أفعال صالحة يلى بعضها بعضاً وبواسطتها نستحق هذا الاكليل . وكل فعل من هذه الأفعال هو كجزء من أجزاء الثبات الذى به نخلص . ولكن قد يوجد فعل واحد من هذه الأفعال الصالحة أى الفعل النهائى الذى به تنتهى كل الأفعال هو الذى يكون قائماً به الثبات الأخير . فهذا الفعل ليس هو

بذاته اعظم كمالا واستحقاقاً من الأفعال المتقدمة ولكن لأنه هو الفعل الاخير الذى يكلل كل الأفعال ويكمل سعادتنا . فلذلك نفتقر لأفتعاله الى نعمة خصوصية يتوج بها الله تعالى حسناته بتكليله استحقاقنا

أو بعبارة أوضح ان الله تعالى اذ يشاهد الانسان محترساً غاية الاحتراس فى أن يثبت فى نعمته وأنه لأجل ذلك يميت نفسه ويقهر شهواته الغير المستقيمة ويقاوم التجارب بكل جهده فيميل تعالى نحوه منعطفاً لجودته الغير المتناهية ويرتضى بهذا الاجتهاد والاحتراس الصادر من عبده فى حفظ الامانة الواجبة عليه وحينئذ يهبه نعمه الخصوصية ولا سيما نعمة الثبات فى البر الى النفس الاخير لكونها ضرورية جداً ولا بد منها للخلاص

قال أحد علماء اللاهوت ان هذه النعمة أى نعمة الثبات (١) نفوق استحقاقنا بل تفوق استحقاقات القديسين كافة (٢) انه غير ممكن أن يتحقق أحد تحققاً كاملاً خلواً من الهام خصوصى أنه يثبت فى هذه النعمة الى النفس

الاخير . ولذلك كل القديسين ما داموا لابسين هذا الجسد الضعيف كانوا يقطعون حياتهم بجزيل الخوف والفزع العظيم ناسبين لأنفسهم قول بولس الرسول : لا تستكبر بل خف لأنه ان كان الله لم يشفق على الاغصان الطبيعية فلعله لا يشفق عليك أيضاً فهوذا لطف الله وصرامته . أما الصرامة فعلى الذين سقطوا وأما اللطف فلك ان ثبت فى اللطف والا فانت أيضاً تقطع (رو ١١ : ٢٠ — ٢١) أى وان كنت متأسساً فى حقيقة الايمان وان كان ايمانك حياً بالمحبة الالهية فمع ذلك لا تطمع متجبراً بل خف وأفزع أمام الرب متذللاً مفتكراً أنه ممكن جداً أن تفقد الثبات فى البر وان فقدته فبلا شك تهلك كغير المؤمنين

وليس أدل على ذلك من أن بولس الرسول القديس العظيم الذى جاهد على اسم المسيح جهاداً فوق مقدور البشر وأرشد أناساً بلا عدد فهداهم الى طريق البر والخلاص كان خائفاً من أن يخسر النعمة فيرذل ويكون نصيبه بين الهالكين بقوله : « بل اقمع جسدى واستعبده حتى بعد ما

كرزت للآخرين لا أصير انا نفسي مرفوضاً» (١ كو ٩: ٢٧)
ولا عجب في ذلك فبطرس الرسول رفيق المسيح سقط .
والذى كان أول معترف أن المسيح ابن الله صار أول منكر
له . والذى سمى بالصخرة ظهر في وقت التجربة أنه قصبة
مرضوضة . ولولا صلاة المسيح لأجله لما بقي له شيء من
الايمان (لو ٢٢ : ٣٢)

الخلاصة

حيث أن الانتخاب مؤسس على علم الله السابق بأخلاق
الانسان وفضيلته وثباته وحسن استعماله النعمة الصادرة له
عن رحمة الله لا لغرضٍ ولا لعوضٍ بل لمجرد الفضل
والنعمة أى النفع والاحسان

وحيث أن الثبات فى نعمة الانتخاب ليس مضموناً
لأحد من الناس كائناً من كان كما سبق البيان . لهذا وجب
علينا استعمال الوسائط التى تجعلنا أهلاً للحصول على نعمة
الثبات فى الفضيلة حتى النهاية . وأن أخص تلك الوسائط

هى الصلاة . لاننا اذا استعملنا هذه الواسطة أى أن ثبتنا فى طلب هـذه النعمة كما هو واجب ملتمسين اياها كل أيام حياتنا باسم السيد المسيح بالحرارة والخشوع والاتـكال العظيم عليه فلا ريب فى اننا ننالها ونظفر بها

قال القديس اغسطينوس (ان الله تعالى يمنح نعماً للناس وان لم يسألوها كنعمة العماد للاطفال . والبعض من النعم لا يمنحها إلا لمن يطلبها كنعمة الثبات فى البر الى النفس الاخير الصادرة عن رحمة الرب التى تتبعنا بهذه النعمة اللاحقة . ومن ثم كان يتلو دائماً هذه الصلاة — يا رب كمل ما ابتدأته لئلا تنكسر سفينة حياتى عند الميناء)



المبحث الرابع

فى

الكفارة

تمهيد : الكفارة لغة : ما يُكفر أى يُغطى به الاثم

واصطلاحاً : هى الترضية العظمى ذات القيمة الغير المحدودة التى قدمها ربنا يسوع المسيح للعدل والشريعة باحتماله عن البشرية جمعاء القصاص الذى استحقته عن خطاياها فأُعلنت بها محبة الله ونعمته ومصالحته للعالم كما أنها وفقت بين عدله ورحمته بأعطائها الشريعة حقوقها والخطية عقابها . لأنه تعالى لو عاقب الاثيم على أثمه لكان أعطى العدل حقوقه وداس حقوق الرحمة . ولو كان سامحه بلا كفارة لكان أعطى الرحمة حقوقها وداس حقوق العدل

أما تبريره الخطاة بهذه الكفارة فمعظم للعدل والرحمة معاً وموفق بينهما . فاذن الكفارة التى صنعها المسيح بدمه

هى ركن التبرير الأوحد الذى لا يمكن الحصول عليه بدونها بشرط الايمان بالمسيح . لانه هو الوسيلة الوحيدة التى عينها الله للحصول على تلك الكفارة . ومن ثم قال الكتاب : وليس بأحد غيره الخلاص لأنه ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص (اع ٤ : ١٢) متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالايمان بدمه لاظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بامهال الله (رو ٣ : ٢٤) لكن الكل من الله الذى صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة (٢ كو ٥ : ١٨) الله الذى هو غنى فى الرحمة من أجل محبته الكثيرة التى أحبنا بها ونحن أموات بالخطايا احيانا مع المسيح . بالنعمة انتم مخلصون (اف ٢ : ٤)

(راجع أيضاً رو ٨ : ٣٢ و يو ١٥ : ١٣ و عب ٢ : ١٧ و ١ بط ٣ : ١٨)

الفصل الأول

في

اعتقاد الكنيسة في الكفارة

لقد اعتقد القديسون اثناسيوس وكيرلس وباسيليوس وفم الذهب في الكفارة أنه قُصد بتقديمها أن تكون للجميع مختارين ومرذولين أي أنها تعم العالم أجمع

واعتقد القديس اغسطينوس أن القصد الخصوصي في تقديم الكفارة انما هو للمختارين فقط . وان الله عين بعضاً للتوبة والخلاص وترك الآخرين لحريتهم ليهلكوا . وان عدد كل من الفريقين معين ثابت لا يتغير بتغيير الظروف فلا يمكن للمختار أولا أن يسقط لدرك الترك ولا للمتروك أن يصعد لدرج الاختيار

هذان هما الرأيان المشهوران في الكفارة . غير أن الرأى

الاول القائل بتعميمها هو الرأى الأحق والأصدق ويجب الاخذ به .

الفصل الثانى

فى

الأدلة على ترجيح الرأى القائل بتعميم الكفارة

حيث أن السيد المسيح له المجد ولد وتألم عن جميع الناس وإن كانوا مرذولين . ثم أعد الوسائط الضرورية لخلاص الكل وبعث الرسل الى عامة الشعوب والقبائل وقدم تعليمه ونعمته للجميع مجاناً فمن ثم يرجح الرأى الاول ترجيحاً كاملا بل يجب الأخذ به والتعويل عليه دون غيره لان هذه الكفارة قد وفت وكفت لتطهير خطايا العالم كله

من ماضية وآتية لا بل هى زائدة لأنها ذات قوة عديمة. التناهى

غير أنه لما كان الخلاص لا يناط بارادة المسيح وحدها بل بارادة الناس أيضاً فمن ثم لا يخلص الجميع بل يخلص البعض ويهلك البعض الآخر على أن من يهلك فهلاكه من نفسه لا لأنه لم تعدّ له كفّارة

قال له المجد مخاطباً الآب : اذ اعطيته سلطاناً على كل جسد ليعطى حياة أبدية لكل من اعطيته (يو ١٧ : ٢). وبهذا اثبت أن له (أى المسيح) سلطاناً على الكل ليهب لهم الحياة الابدية لأنه مات لأجل الجميع ودعا الجميع اليه وهو يخلص كل من آمن به . أما من رفض وسائط النعمة المعروضة عليه فلا يلومن إلا نفسه لأنه استهان بعطية الله التى يقصر اللسان عن التعبير عنها

وقال أيضاً : لانه لم يرسل الله ابنه الى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم (يو ٣ : ١٧) أى أن المسيح مات من

قبله لأجل الجميع وأراد أن يخلص الجميع فمن لم يخلص فالذنب ذنبه

هذا وان عدم تعميم الكفارة فوق كونه لا يتفق وعدل الله فانه يخالف النصوص الالهية التى تنص على تعميمها كما أنه يخالف أمر المسيح بالتبشير بالانجيل فى العالم كله القائل : اذهبوا وتلمذوا جميع الامم (مت ٢٨ : ١٩)

أما النصوص التى يخالفها عدم تعميم الكفارة لشدة وضوح التعميم فيها اكثر من سواها فهى : —

(١) فاذاً كما بخطية واحد صار الحكم الى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة الى جميع الناس لتبرير الخطاة لأنه كما بمعصية الانسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضاً باطاعة الواحد سيجعل الكثيرون ابراراً (رو ٥ : ١٨)

(٢) الله يريد أن جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون (١ تى ٢ : ٤)

(٣) اذ نحن نحسب هذا أنه اذا كان واحد قد مات

لأجل الجميع كى يعيش الأحياء بعد لا لأنفسهم بل للذى مات لاجلهم وقام (٢ كو ٥ : ١٤)

(٤) يسوع نراه مكللاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت لكى يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد (عب ٢ : ٩)

(٥) الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شىء (رو ٨ : ٣٢)

ومفاد النص الأول كما أن خطية آدم شملت جميع الناس وكانت ذات قدرة على جلب الدينونة العامة هكذا كفارة المسيح العظمى شملت جميع الناس أيضاً وكانت ذات قدرة على التبرير العام

أما النصوص التالية فأثبتت فى جلاء ووضوح أن كل ما عمله المسيح من وسائط الخلاص فقد عممه وأباحه للجميع ، ومن يهلك يكون هلاكه بذنبه لا من قبل المسيح . نعم أنه له المجد يمنح المنتخبين حياة الأبد بأكثر

فاعلية إلا أن المرذولين أيضاً لا تعوزهم النعمة الكافية لخلاصهم لو شاءوا السعى معها .

قال بولس وبرنابا لليهود : كان يجب أن تكلموا انتم أولاً بكلمة الله ولكن اذ دفعتموها عنكم وحكمتم انكم غير مستحقين للحياة الأبدية هوذا نتوجه الى الأمم (اع ١٣ : ٤١) .

الخلاصة

حيث أن ربنا له المجد لم ينف أحداً عن الخلاص بل دعا الجميع قائلا : (تعالوا الىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الاحمال وانا اريحكم) ثم بعث رسله الى عامة الشعوب والقبائل وقدم تعليمه ونعمته للجميع مجاناً فاذن الكفارة عامة وليست خاصة .

تذييل

فى

وصف يوم الكفارة فى العهد القديم

بما أن الكفارة فى العهد القديم كانت رمزاً واشارة الى كفارة العهد الجديد التى صنعها ربنا يسوع المسيح فاتماماً للفائدة نصفها كما وردت فى سفر اللاويين مع شرح وبيان الأمور الغامضة فيها.

كانت الأمة اليهودية حسب أمر الله تعالى تحتفل بعيد الكفارة مرة كل سنة فى العاشر من شهر تشرين وهو السابع من سنتهم الدينية (لا ٢٣ : ٢٧).

وكان يحتم على كل يهودى ما عدا المرضى والشيوخ والاولاد أن يطوى سحابة ذلك اليوم صائماً صياماً مدققاً من المساء الى المساء (لا ٢٣ : ٢٣) فيعتزل الطعام والشراب وغسل الرأس ودهنه والعلاقات الزوجية وإلا عوقب بالموت

اذا خالف . ومن ثم فرضت الكنيسة على أبنائها صوم يوم جمعة الصلبوت لأنه هو يوم الكفارة الحقيقى الذى كان ذلك اليوم رمزاً له

أما رئيس الأحبار الذى يقوم بخدمة الكفارة فكان يعتزل امرأته سبعة أيام قبل يوم الكفارة ويقيم مدة تلك الأيام بمخدع فى الهيكل لئلا يمس شيئاً دنساً أو ما يمنعه من القيام بواجباته الحبرية . وكان يقضى الليلة التى قبل يوم الكفارة ساهراً فى قراءة الأسفار المقدسة خوفاً من أن يتدنس بشىء من الأحلام اذا نام . واذا رآه الكهنة الذين حوله مائلا الى النوم نبهوه وأيقظوه .

وكان اذا طلع النهار غسل كل جسمه بالماء النقى ولبس قميصاً من كتان وتنطق بمنطقة من كتان وعقد على رأسه التاج الحبرى ثم أخذ بأعظم ما فى (اللتورجية (١)) العبرانية من الجلال والعظمة وذلك بأن يبتدىء بالخدمة اليومية

---

(١) ليتورجية أى خدمة

العادية أولاً ثم يأخذ فى خدمة الكفارة بعد أن يكون أقسم أمام أعضاء مجلس السنهدريم على أن لا يترك شيئاً من الرسوم المكتوبة والمتواترة فى ذلك العمل لأنه لم يكن يُؤذن لغيره من الكهنة والشعب أن يكون حاضراً معه وقت القيام بخدمة الكفارة . وذلك رمز على أن الكفارة الحقيقية يقوم بها ربنا له المجد وحده دون أن يشترك معه ملاك أو انسان (لا ١٦ : ١٧)

أما الذبائح التى كانت تقدم فى يوم الكفارة فهى : —

أولاً — (عن الكاهن) — كبش لمحرقة . وثور ابن بقر لذبيحة خطيئة

ثانياً — (عن الشعب) — كبش لمحرقة . وتيسان من المعز أحدهما لذبيحة خطيئة والآخر لعزازيل .

وكانت ذبيحتا الخطيئة أى الثور والتيس يُحرقان خارج المدينة لحماً وعظماً وجلداً وفرثاً .

أما الاحراق خارج المدينة فكان يشار به الى أربعة أمور (١) ان الخطيئة مكروهة لدى الله كرهاً شديداً

لدرجة صارت معها ذبيحتها لا تستحق أن تقدم على مذبح الله (٢) ليعلم الجميع أن جزاء الخطيئة هو الحرق فلو لم تُحرق تلك الذبيحة لحرق مقدمها عوضاً عنها (٣) اخراجها عن الهيكل وابتعادها عن المدينة يدلان على ازالة الخطيئة عن الخاطىء وابتعادها عنه (٤) اشارة الى أن ذبيحة الخطيئة الحقيقية وهو ربنا يسوع المسيح سوف يُقدم على الصليب خارج مدينة أورشليم .

وبعد أن يقدم رئيس الاحبار الثور عن خطيئته يلقي قرعة على التيسين . وكانت القرعة تُلقى بلوحين من الذهب مكتوب على أحدهما (للرب) وعلى الآخر (لعزازيل)

أما معنى عزازيل فقد اختلف فيه العلماء . فمنهم من قال إن معناه (الشيطان المعزول أو المنفى) ومنهم من قال إنه (عزة الله) ومنهم من قال انه (التيس المرسل) ومنهم من قال انه (حامل خطايا غيره) وربما كان هذا المعنى هو الأرجح .

وقد كان على رئيس الأحبار أن يضع يديه على رأس

هذا التيس ويقر بجميع ذنوب بنى اسرائيل وجهالاتهم .

وهـذا الرسم كان (أولاً) عبارة عن احتمال سيدنا يسوع المسيح خطايا البشر (ثانياً) كان رمزاً لطبيعتى ربنا له المجـد المتحدتين . فالتيس المذبوح كان رسماً لطبيعتـه البشرية التى أقتبل بها الآلام والموت والتيس المُطلَق كان اشارة الى طبيعته الالهية الغير القابلة الموت والآلام . وكما أن هذين التيسين المقدمين معاً كانا ذبيحة واحدة هكذا سيدنا يسوع المسيح الاله المتأنس قرّب نفسه ذبيحة واحدة بذبح الناسوت وسفك جملة دمه وبقاء اللاهوت الغير القابل الموت والآلام الذى ارتضى أن يحمل كل خطايا العـالم ويلبس صورة الانسـان الخاطىء ليستطيع أن يفى بها عن الانسان الخاطىء بكمال الوفاء .

أما طريقة ارسال هذا التيس الى البرية فهى : —

كان الـكاهن المكلف بأرساله يقوده الى القفر حيث صخرة كبيرة تدعى (زُك) تبعد نحو اثنتى عشر ميلاً عن أورشليم . وبين تلك الصخرة والمدينة المقدسـة عشرة

أكواخ أو خيام . بين كل مكان والآخر مسافة ميل . وكان فى كل كوخ انسان يرافق قائد التيس من كوخه الى الكوخ الآخر الى صخرة (زك) التى متى وصل اليها طرح منها الى الحضيض أو تُرك حياً .

وقد كان على رئيس الكهنة أيضاً فى يوم الكفارة المذكور أن يدخل قدس الأقداس ثلاث مرات .

ففى المرة الأولى يدخل بمجمرة البخور ويبقى هنالك حتى يمتلىء المكان بدخان البخور ويحيط بالغطاء والكروبين ثم يترك قدس الأقداس ويخرج ووجهه نحو المكان المقدس

وفى المرة الثانية يأخذ دم العجل ويرجع الى قدس الأقداس حيث وقف أولاً وينضح بأصبعه من ذلك الدم سبع مرات ويخرج منه على أسلوب خروجه فى المرة الأولى .

ثم يعود مرة ثالثة ومعه دم التيس فيرش منه على الغطاء والتابوت كما فعل بدم العجل وبذلك يكفر عن آثامه وآثام الاسرائيليين مدة السنة

ولقد قلت فى بداية كلامى أن يوم الكفارة هذا كان يشير الى يوم صلب ربنا يسوع المسيح غير أن الفرق بين كفارة رئيس أحبار العهد القديم ورئيس أحبار العهد الجديد هو . أن رئيس أحبار العهد القديم كان يدخل قدس الأقداس بدم العجول والتيوس فى كل سنة لأجل الاستغفار والكفارة عن ذنبه وذنوب شعبه . وأما المسيح رئيس أحبار العهد الجديد فصنع هذه الكفارة بدم نفسه مرة واحدة مدى الدهر وقد أحرز بواسطتها الخلاص الأبدى والفداء التام لجميع العالم فى كل الأجيال والاحقاب

(راجع لاويين ١٦ : ١ — ٣٤)



المبحث الخامس

فى

الأجل

تمهيد : مما لا جدال فيه أن هذا المبحث من المباحث الخطيرة التى يهتم بها السواد الاعظم من الناس اهتماماً فائقاً ويتهافتون على معرفة كنهها والصائب من آرائها تهافتاً عظيماً ومن ثم أرى لزاماً علىّ أن أتكلم عنه بما قد يفى بالحاجة فأقول .



الفصل الأول

في

آراء العلماء في أجل الانسان

لقد بحث العلماء واللاهوتيون في هذا الموضوع بحثاً مستفيضاً وارتأوا فيه آراء شتى متباينة أشهرها أربعة وهي :

(١) أن لكل انسان أجلاً محدوداً لا يزيد ولا ينقص

(٢) ان الأجل محدود ولكن الله له أن يزيده أو ينقصه بحسب مشيئته وحكمته

(٣) ان الأجل ليس محدوداً ولا مقدراً بل كان انسان يموت في الوقت الذي يراه الله مناسباً له . فاذا رأى جلّ شأنه بحكمته المطلقة أن حياة ذلك الانسان أفضل من موته أبقاه واذا رأى أن موته افضل من حياته أماته . أو بعبارة أخرى أن الأجل وان كان غير محدود ولا مقدر إلاّ أن

الانسان لا يموت فى غير وقته ولا بدون أمر الله ولا معرفته

(٤) أما الرأى الرابع فاسدّها وأقربها للصواب وهو :ـ

ان الله جل شأنه بمقتضى حكمته ورأى مشورته عين فى كل حقبة من الزمن عمراً متساوياً لأفراد الناس على السواء . فمن آدم الى نوح ارتفع عمر الانسان الى ٩٦٩ سنة (تك ٥ : ٢٧) ومن نوح الى موسى هبط الى ١٢٠ سنة (تث ٣٤ : ٧) ومن موسى الى داود انتهى الى ٨٠ سنة (مز ٩٠ : ١٠) وذلك بخلاف الشاذ والنادر فى هذه الحقب المتباينة .

فمن سلمَ من الآفات التى تعرض له عاش حتى يصل الى نهاية الأجل المعين فى زمانه . أما من عرض له ما أتلف حياته ورأى الله موته أفضل من بقائه سمح بموته قبل أن يتم أجله وإلا أبقاه حياً

ولنا على ذلك مثل يقرب فهمنا لهذه الحقيقة وهو — أننا اذا أخذنا كمية من الحنطة أو احدى البذور الأخرى والقيناها فى الأرض فانها تطلع وتنمو معاً . واذا سلمت

جميعها من الآفات بقيت فى الحقل حتى نضجت واستحصدت . أما ما أكله الدود منها فى طليعة عمره ، وما قرضه الحيوان فى منتصف أيامه ، وما قطعه الانسان وأكله فريكاً فقد فنى وزال من الوجود قبل أن يتم الزمن المحدد لحصاده، ولو أنه نجا من الطوارىء السالفة لأتم عمره المحدود حتى حصد إسوة بغيره .

هكذا حال الانسان فأن من أصابه شيء من الطوارىء والآفات المهلكة مات قبل نهاية أجله . ومن نجا منها بقى حتى يستوفى كل أيام حياته . قال صاحب الأمثال : مخافة الرب تزيد الأيام أما سنو الاشرار فتقصر (ام ١٠ : ٢٧) وقال أيوب : قبل يومه يُتوفى وسعفه لا يخضر (اى ١٥ : ٣٢) وقال صاحب المزمور: رجال الدماء والغش لا ينصفون أيامهم (مز ٥٥ : ٢٣)

الفصل الثانى

فى

الأدلة على موت الانسان قبل نهاية أجله

لقد وردت فى كتاب الله نصوص واضحة صريحة تثبت أن الانسان قد يموت قبل نهاية أجله . ومن تلك النصوص قوله تعالى : أكرم أباك وأمك لكى تطول حياتك على الأرض التى يعطيك الرب الهك (خر ٢٠ : ١٢)

وقول موسى النبى لشعب اسرائيل : « من هو الرجل الذى بنى بيتاً جديداً ولم يدشنه . ليذهب ويرجع الى بيته لئلا يموت فى الحرب فيدشنه رجل آخر . ومن هو الرجل الذى غرس كرماً ولم يبتكره . ليذهب ويرجع الى بيته لئلا يموت فى الحرب فيبتكره رجل آخر . ومن هو الرجل الذى خطب امرأة ولم يأخذها . ليذهب ويرجع الى بيته لئلا يموت فى الحرب فيأخذها رجل آخر » (تث ٢٠ : ٥ — ٧)

وقوله لهم : « اذا بنيت بيتاً جديداً فاعمل حائطاً لسطحك لئلا تجلب دماً على بيتك اذا سقط عنه ساقط » (تث ٢٢ : ٨)

وقوله أيضاً : « اذا فتح انسان بئراً أو حفر انسان بئراً ولم يغطها فوقع فيها ثور أو حمار فصاحب البئر يعوّض ويرد فضة لصاحبه والميت يكون له » (خر ٢١ : ٢٣) راجع أيضاً (تث ١١ : ٢١ و ٤ : ٢٠ و ٦ : ٢ و أم ٢ : ٢ و ٤ : ١٠ و ٩ : ١١ و اف ٦ : ٢)

ويؤخذ من النص الأول أن من أكرم أباه وأمه طالت حياته على الأرض . ومن أهانهما وازدرى بهما نقصت حياته وانصرمت . فلو كان العمر محدوداً لما انتفع الابن باكرام والديه ولا أنضر باهانتهما من حيث إطالة الحياة وقصرها لأنه لا يموت إلا فى وقته المحدود

ويؤخذ من النص الثانى أن من خرج الى الحرب ترجح هلاكه وموته ومن تخلف عنها ولبث فى داره بقى حياً . لأن من عادة الانسان أن يكون قلبه أعلق بما أحرزه .

جديداً أو بما كان على وشك احرازه وأشد خوفاً عليه أن يفقده كالبيت الجديد والزوجة المخطوبة . فكان من المحتمل أن مثل هذا الانسان يبعثه تعلقه ببيته وزوجه على الجبن والخوف الشديد ويقلل من جرأته على المحاربة فيتعرض للموت أكثر من سواه . ومن ثم أعفى من الحرب فأمن خطر الموت . فلو كان العمر محدوداً لما كان هنالك فائدة من وجوده فى بيته ولا ضرر من ذهابه الى ساحة الحرب لأنه لا يموت إلا اذا فرغ أجله

ويؤخذ من النص الثالث أن من طلع على سطح بلا حاجز تعرض للسقوط والموت . أما من كان على سطح ذى حاجز فقد نجا من كليهما أى السقوط والموت . فلو كان العمر محدوداً لما كان هناك فائدة من وجود الحاجز ولا ضرر فى عدمه . لأن عدمه لا يعرض الانسان للموت ولا وجوده يقيه منه اذ لا يموت إلا فى وقته

ويؤخذ من النص الرابع أن البئر اذا كانت مفتوحة سقط فيها الثور أو الحمار ومات . أما اذا كانت مغطاة فقد

نجا كلاهما من السقوط والموت . وذلك صريح فى أن العمر غير محدود وإلاّ لو كان محدوداً لظلم صاحب البئر ظلماً بيناً . لأن الثور أو الحمار الذى سقط فمات لا بدّ من موته سواء أكانت البئر مفتوحة أم مغطاة لأن موته لم تكن علته فتح البئر وعدم تغطيتها بل لأن حياته المحدودة انتهت وإلا لما مات . ومن ثم كان التعويض عنه ظلماً لا مبرر له

وقد أيدت الكنيسة هذا الرأى وصادقت عليه حيث جاء فى احدى الطلبات التى تتلى على الأطفال المتوفين اثناء الصلاة عليهم ما نصه (عبدك فلان الذى لم يكمل حياته على الارض) وبدهى أن الكنيسة قد استقت هذه الحقيقة من قول الله جل شأنه لبنى اسرائيل : « واكمل عدد ايامك » (خر ٢٣ : ٢٦) وهو قول صريح فى أن ليس كل من مات انتهى أجله ؟

الفصل الثالث

فى

المراد باطالة عمر الانسان

لقد قلت فى الفصل الأول ان أسدّ الآراء وأقربها للصواب فى أجل الانسان هو (أن الله عين فى كل حقبة من الزمن عمراً متساوياً لأفراد الناس على السواء) بيد أن الله جل شأنه وعد أكثر من مرة فى كتابه الالهى باطالة عمر الانسان بقوله « اكرم أباك وأمك لكى تطول حياتك على الارض » وهذا الوعد على ما يظهر لا يتفق وذلك الرأى بل يتفق مع الرأى القائل أن الأجل ليس محدوداً ولا مقدراً بل كل انسان يموت فى الوقت الذى يراه الله مناسباً له . على أن من تأمل ملياً وجد أن لا تناقض بينهما أى بين الرأى القائل بتساوى الأجل ووعد الله بالزيادة . لأن الله

جل شأنه لم يقصد باطالة العمر اضافة زيادة على الحد العام للعمر وإنما قصد به امتداد الأجل الى زمن أبعد مما كان لذلك الانسان أن يحياه . فعوضاً أن يموت ويكون باقياً من الحد العام للعمر وقت ما . فان الله يهبه تلك البقية أو بعضها. وهذه البقية لم تخرج عن الحد العام للعمر وإنما صيرت الأجل المزيد أطول مما كان عليه أولا . فالخمس عشرة سنة التى زيدت لحزقيا الملك لم تتجاوز بعمره عن الحد العام للعمر وانما صيرته أطول مما كان اثبت له أولا .

وليس أدل على ذلك من أنه رغم تلك الزيادة فان عمره لم يصل الى الحد العام حيث أنه عندما أنبأه اشعياء بموته كان عمره ٥٤ سنة مع أن الحد العام للعمر وقتئذ كان ثمانين سنة (مز ٩٠ : ١٠) على أنه لو تخطى العمر العام فان ذلك لا يتحدى الرأى القائل بمساواة العمر فى كل حقبة من الحقب وإنما يعتبر من الشاذ النادر الذى لا يستقيم معه القياس . وهذا هو المراد باطالة العمر.

الفصل الرابع

فى

عناية الله بحياة الانسان

انه وان كانت حياة الانسان قد يقف فى سبيل اعامها
مما يعرض لها من الأخطار المحيطة بها إلا ان ذلك لا يحملنا
على الجزع والخوف من انقراضها فى غير أوانها . بل يجب
أن نثق فى عناية الله الحافظة لحياتنا ثقة كاملة اعتماداً على
ما جاء عنها فى الوحى الالهى حيث قيل : « لأنه ينجيك من
فخ الصياد ومن الوبأ الخطر. بخوافيه يظللك وتحت اجنحته
تحتمى . ترس ومجن حقه . لا تخشى من خوف الليل ولا من
سهم يطير فى النهار . ولا من وبأ يسلك فى الدجى ولا من
هلاك يفسد فى الظهيرة . يسقط عن جانبيك الف وربوات
عن يمينك ... لا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك .
لانه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك .

على الأيدى يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك . على الأسد والصل تطأ . الشبل والثعبان تدوس لانه تعلق بى أنجيه . أرفعه لانه عرف اسمى . يدعونى فأستجيب له . معه أنا فى الضيق . انقذه وامجده . من طول الايام اشبعه وأريه خلاصى (مز ٩١ : ٣ — ١٦)

ذلك قول حق لا مرية فيه ولا شك . فقد طُرح موسى ويونان فى البحر ونجا كلاهما . وأُلقى دانيال فى جب الأسود ولم يُصبه ضرر ما . ودُفع الفتية وقوداً لأتون النار وخرجوا سالمين .

هذا عدا ما يحدث فى العالم يومياً من الحوادث المدهشة التى تقام دليلاً محسوساً على عناية الله الكاملة وحمايته الشاملة لحياة الانسان . ناهيك بذلك التعبير البليغ الذى نفى به ربنا له المجد كل خوف الخطر من جهة حياة الانسان بقوله : « أليس عصفوران يباعان بفلس . وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون أبيكم وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة » (مت ١٠ : ٣٠) وهو تعبير ليس

فى لغات البشر ما يدل على عناية الله وحمايته لحياة الانسان أبلغ منه : فان شعور الرأس قليلة القيمة حتى لم يهتم أحد قط باحصائها لكن عناية الله شاملة الى هـذا الحد حتى أنه أحصاها. واذا كانت شعور رؤوسنا محصاة فصحتنا وحياتنا بلا ريب أعظم من ذلك بما لا يقاس .

هذا فضلاً عن أن الآفات العاملة على قرض حياة الانسان وقطعها تحت سلطان الله وله أن يمنعها عمن يشاء . قال جل شأنه فى هذا الصدد : « فرضاً ما مما وضعته على المصريين لا أضع عليك فانى أنا الرب شافيك » (خر ١٥ : ٢٦ ، ٢٣ : ٢٥ ، مز ١٠٣ : ٣ ، أر ١٧ : ١٤)



الفصل الخامس

فى

واجبات الانسان من نحو حياته

لقد أثبتنا فى الفصل السابق عناية الله وحمايته الكاملة لحياة الانسان . وبما أنه تعالى خلق الانسان عاقلا حكيماً عالماً خبيراً بما قد ينفعه أو يضره ثم جعله فوق ذلك هو الحارس والمهيمن على حياته لذلك وجب عليه أن تكون عنايته بحياته والمحافظة عليها بكل وسيلة ممكنة فى أقصى حدود العناية وإلا عرّضها لما لا تحمد عاقبته

نعم أن ما أوردناه من النصوص الالهية عن عنايته تعالى بحياة الانسان جدير بالثقة والاطمئنان إلا أن ذلك لا يحمل الانسان على الاهمال فى القيام بواجباته ولا يُخليه من المسؤولية اذا ما هو قصر فى شىء منها .

قال له المجد رداً على الشيطان الذى طلب اليه أن يلقى ذاته فى خطر لا لزوم للدخول فيه وهو طرحُ نفسه الى أسفل الجبـل « لا تجرب الرب الهك » (مت ٥ : ٧) وبذلك أوضح أن للانسان حقاً أن ينتظر حماية الله فى كل خطر اعتراه بأمره تعالى فقط . أما من عرّض نفسه للاخطار باختياره أو لم يقم بواجب العناية بنفسه تخلى الله عنه وتركه وشأنه فانصرم حبل حياته وكان هو الملوم دون غيره ؟

تذييل

(١) حيث أنه ثبت مما تقدم أن حياتنا على الدوام معلقة على الارادة الالهية وذلك لأن عدد شهورنا وأيامنا ليس هو فى يدنا لكى نستطيع أن نزيد عليها شيئاً بل فى يده تعالى وهو يستطيع أن ينقصها أو يزيدها فمن ثم يجب علينا أن نتكل على حسن عنايته الشاملة أكثر مما نتكل على الأطباء والأدوية لأنه فى يده وحده سلطان الحياة والموت . وأن نحترس غاية الاحتراس من أن نخالفه بخطيئة من الخطايا التى لأجلها نلزمه تعالى أن ينقص أيام حياتنا هذه المحبوبة لدينا بهذا المقدار

(٢) حيث أننا نعلم أن خلاصنا الأبدى متعلق بساعة موتنا لأننا فى تلك الساعة نقتبل من الديان العادل القضية الجازمة إما بالخلاص الأبدى وإما بالهلاك الأبدى .

وحيث أننا لا نعرف عدد أيامنا ولا نعرف أيضاً أى يوم يكون آخر حياتنا فيجب علينا أن نكون

مستعدين على الدوام لئلا يفاجئنا ذلك اليوم بغتة . لأن الله بحكمته الفائقة أخفى عنا معرفة يوم موتنا ليلزمنا بحسن التصرف والالتصاق بالقداسة كل أيام حياتنا . ولنكون مستعدين دائماً لتوقعنا مجيئه ساعة فساعة . لأننا لو حصلنا على معرفة اليوم الذى نموت فيه لكنا لا محالة نتقاعد عن أفعال التوبة ومباشرة الأعمال الصالحة ونؤجلها الى السنة الأخيرة . ومن السنة الأخيرة الى الشهر الأخير . ومن الشهر الأخير الى الجمعة الأخيرة . الى اليوم الأخير ومنه الى الساعة الأخيرة . وعلى ذلك تضيع فرصة التوبة من أيدينا لأن وقت الموت ليس هو وقتاً ملائماً لأفعال التوبة ولا لمباشرة الأعمال الصالحة . ومن ثم حثنا ربنا له المجد على الاحتراس الكامل والاستعداد الدائم بقوله : « كونوا أنتم اذاً مستعدين لانه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الانسان» (لو ١٢ : ٤٠) ؟

الكلام

على

الشرائع الطبيعية والأدبية والطقسية والقضائية

باسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد

الباب الثاني

في

الشرائع وفيه أربعة مباحث وهي : — (١) الشريعة الطبيعية (٢) الشريعة الأدبية (٣) الشريعة الطقسية (٤) الشريعة القضائية

تمهيد : الشريعة ترتيب عقلي عائد الى صالح عمومي مرسوم ممن يعنى بأمر جماعة ومذاع بينهم أي معلوم لديهم

وتطلق الشريعة على الوصية غالباً . كما دعيت شريعة موسى (وصايا) . غير أن الشريعة قد تُميز عن الوصية بأنها تُفرض على جماعة من شخص ذي سلطة عامة لصالح

عمومى . بخلاف الوصية فأنها لا تستلزم ذلك بل قد يصح أن تُفرض أيضاً من شخص خصوصى على أفراد خصوصيين لأجل خيرهم الخصوصى

والمشرّع المطلق السلطة هو الله سبحانه وتعالى ومنه يستمد جميع المشرّعين سلطتهم (ام ٨ : ١٥)

والشرائع نوعان آلهية وبشرية . والبشرية قسمان مدنية وكنسية . فالمدنية تُفرض من الولاة العالميين . أما الكنسية فتفرض ممن لهم ولاية على الكنيسة كالبطريرك والسنودس (المجمع المقدس)

وبما أننا لا نتوخى سوى البحث فى الشرائع الآلهية فى هذا الباب لذلك يكون بحثنا قاصراً على هذا النوع دون سواه بعد أن نعلم أن هذا النوع لم يُعطَ للانسان دفعة واحدة . بل منه ما قد أُعطى له منذ خلقتـه . ومنه ما قد أُعطى له بعد خلقته بزمن بعيد على التوالى بالنظر الى مقتضى حاله . كما أنه منه ما هو باقٍ . ومنه ما قد نُسخ . ومنه ما قد تغير .

فالوصايا أو الشرائع الطبيعية باقية كما هى لأنها قانون الحق المناسب لصفات الله الطاهرة.

والشرائع الأدبية لم تتغير لأنها ترجع فى نفسها الى حقيقة الفضيلة

والشرائع القضائية تغيرت أو أكملت بتفسيرها وايضاحها واظهار معناها الروحى لأن بقاءها لم يكن ضرورياً بالوجه الذى رسم أولاً.

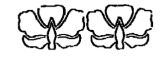
أما الشرائع الطقسية فقد نسخت لأن تمام الحقيقة المرموز بها اليها أوجب انتساخها وقد حلت محلها وصايا طقسية أخرى تتعلق بالأسرار والذبيحة الآلهية

وقد يمكننا أن نميز الفرق بين الوصايا الأدبية والوصايا القضائية والطقسية من حيث بقاؤها ونسخها وتغييرها من قوتها.

فالوصايا الأدبية تستفيد قوتها من ارشاد الفطرة ولو لم يفرضها الناموس بوجه من الوجوه. ولهذا لم تكن غير قابلة للتغيير على الاطلاق.

أما الوصايا القضائية والطقسية فتستفيد قوتها من وضعها فقط . لأنها قبل أن توضع لم يكن فيما تتعلق به فرق بين أن يفعل على هذا الوجه أو ذاك . ومن ثم فهى عرضة للتغيير والتبديل تبعاً للظروف والأحوال

والخلاصة : أن رسوم كل شريعة تحصل لها قوة الالزام من مجرد ارشاد العقل يقال لها (أدبية) وكل رسوم أدبية تعينت بشرع ألهى يقال لها (طقسية) أما اذا تعينت تلك الرسوم فيما يتعلق بنسبة الناس بعضهم الى بعض فيقال لها رسوم (قضائية) ؟



المبحث الاول

فى

الشريعة الطبيعية أو الناموس الطبيعى

ماهية الشريعة الطبيعية :

الشريعة الطبيعية هى قانون الحق المناسب لصفات الله الطاهرة والمطابق لطبيعة الانسان والمنغرس فيها فلذلك يتحتم عليه حفظه ولو لم يأمره تعالى به أمراً لفظياً لأنه يولد مكلفاً به (١)

أو بعبارة أخرى فان الشريعة الطبيعية هى الارادة الآلهية المعلنة بالنور الطبيعى الآمرة بحفظ كل ما هو ضرورى لقيام النظام القويم

---

(١) أما ما يحصل من القصور فى عدم ادراك تلك الشريعة ممن لم يصلوا سن التمييز . أو ممن اختلت عقولهم فلا يقام دليلا على بطلانها .

وقد حدّ القديسان فم الذهب واغسطينوس الشريعة الطبيعية فقال الأول عنها (انها الحكمة والمشيئة الازلية التى أمرت بحفظ ترتيب كل الأمور ونهت عن كل ما يخالف ذلك).

وقال الثانى (انها هى رسم الحكمة الآلهية الذى رسم به البارى منذ الأزل كل ما ينبغى فعله أو تركه للخليقة الناطقة لكى تتحرك الى غايتها وترغبها بواسطة الأعمال)



الفصل الأول

في

أين وُجدت الشريعة الطبيعية أو الناموس الطبيعي

لقد وُجدت الشريعة الطبيعية مطبوعة في قلب الانسان وضميره منذ خلقته . ومن ثم يولد مكلفاً بها لأنها مطبوعة في عقله بطابع لا يمحى

قال الوحي الآلهي : « لان الامم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ما هو في الناموس فهولاء اذ ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم الذين يظهرون عمل الناموس مكتوباً في قلوبهم شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة » (رو ٢ : ١٤ و١٥) أي أن الأمم الذين لم ينزل عليهم ناموس مكتوب كاليهود عرفوا بغريزتهم الأدبية وصوت العقل وشهادة الضمير وسائر

ما لهم من الوسائل الطبيعية بعض الأفعال التى يوجبها الناموس المكتوب كمعرفة الخالق واكرام الوالدين ، والاحسان الى الفقراء ، والامتناع عن القتل والسرقة فأثبتوا بذلك أن لهم ناموساً مطبوعاً على قلوبهم قدّرهم على التميز بين الحلال والحرام والأمر بالأول والنهى عن الثانى . وهذا هو قصد الناموس المطلق مكتوباً أو غير مكتوب لأن الكاتب لكليهما واحد وهو الله جل شأنه على أنه وان كانت مقاصد الناموس المطلق — الطبيعى والمكتوب — واحدة إلا أنه ليس من شك فى أن هناك فرقاً كبيراً بينهما فى الوضوح والبيان . فالناموس الطبيعى وضوحه قليل . وناموس التوراة وضوحه عظيم . أما ناموس الانجيل فوضوحه أعظم . غير أنه لا ظلم فى المسؤولية ، لأن مسؤولية الناس فى هذا العالم وإثابتهم أو عقابهم فى العالم الآتى تختلف باختلاف وسائل المعرفة المعطاة لهم بلا محاباة لأنه اذا كانت المحاباة فى الحق محظورة على القضاة ومحرمة على الناس فهى مستحيلة فى الديان العادل الذى جعل علة

الحاكمة العمل ومقياسها المعرفة

ولقد سار الناس بمقتضى هذه الشريعة (أو الناموس الطبيعى) من آدم الى موسى . أى نحو ثلاثة آلاف سنة وكانت قادرة كما أعلن الرسول فى النص المتقدم على ارشادهم الى سبيل الخير و تنكب طرق الشر . ووضع قوانين صحيحة لتأييد الامن والسلام والطهارة والتقى :

وليس أدل على ذلك من أنه وجد بينهم فى مختلف العصور أتقياء وأبرار كثيرون أرضوا الله بتصرفاتهم الحسنة وأعمالهم الصالحة كأخنوخ ونوح وابراهيم واسحاق ويعقوب ولا سيما يوسف الذى أمكنه على ضوء هذه الشريعة أن يميز بين المحلل والمحرم ويدافع عن العفة مدافعة ذوى الشرائع المنزلة (تك ٣٩ : ٧)

وما زالت هذه الشريعة حتى الآن تقود وترشد الذين لم تصلهم شريعة الله المكتوبة . وهى وان كانت غير كافية لارشاد الناس الى معرفة المسيح والاقانيم الالهية لأن هذه من أخص معلنات الانجيل وميزاته التى جعلته اكثر

وضوحاً من الناموسين الطبيعي والموسوى . إلا أن الذين يسيرون بمقتضى ارشاداتها يكافأون بما يستحقون من الجزاء الحسن ، بيد أن الذين يخالفونها ويتوغلون فى الرذائل والعبادات الباطلة يعتبرون بلا عذر أمام الله ويستوجبون القصاص على خطاياهم كما أوضحنا ذلك فيما سلف .

قال بولس الرسول : « لأن كل من أخطأ بدون الناموس فبدون الناموس يهلك » (رو ٢ : ١٢) أى لا يحاكم على تعديه الشريعة المكتوبة ولا يعاقب بمقتضى تلك الشريعة على ما فعل بل يعاقب بمقتضى ناموس الله غير المكتوب المطبوع على ضميره ليميز به الحلال من الحرام فكان عليه أن يعيش بمقتضاه ولكنه تعداه فهلك ؟

الفصل الثانى

فى

موضوع الشريعة الطبيعية أو الناموس الطبيعى

لما كانت الشريعة الطبيعية هى عبارة عن الارادة الآلهية المعلنة بالنور الطبيعى فمن ثم كان موضوعها كل أمر يوافق الطبيعة الناطقة أو يباينها مما شأنه أن يكون مأموراً به أو منهياً عنه كالامتناع عن القتل «١» والسرقة وتجنب الغش والخداع وايفاء الدين والتكلم بالصدق واكرام الوالدين والاحسان الى الفقراء ولا سيما معرفة وجود الله سبحانه

---

(١) يؤخذ من خوف قايين من القتل لقتله هابيل أخيه أنه كان يعرف بواسطة الناموس الطبيعى أن القاتل يعاقب بالقتل ، ولهذا قال لله سبحانه وتعالى : « فيكون كل من وجدنى يقتلنى » (راجع تك ٤ : ١٤ مع عد ٣٥ : ١٦)

وتعالى مثل كونه خالقاً حكيماً كريماً معاقباً على الاثم . ولهذا نجد الذين سلكوا كل أيام حياتهم بمقتضى هذه الشريعة كانوا يرتاحون لعمل الخير ويأسفون لعمل الشر . وبذلك ثبت أن الشريعة الطبيعية كالناموس المكتتب لها سلطان الامر والنهي وإثابة الطائع وعقاب العاصي بالندامة — قال الكتاب: « الذين يظهرون عمل الناموس مكتوباً فى قلوبهم شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة » (رو ٢ : ١٥) أى أن الشريعة الطبيعية التى كتبها الله بأصبعه العزيزه على صفحات القلب ذات سلطان كالشريعة المكتوبة أن تؤنب ذويها اذا فعلوا شراً وتمدحهم اذا ما أتوا خيراً ؟

المبحث الثانى

فى

الشريعة الأدبية

ماهية الشريعة الادبية : الشريعة الأدبية هى الرسوم الخاصة بسيرة الانسان وتهذيبه وترويض أخلاقه وبالاجمال كل ما يتعلق بالواجبات المفروضة عليه من قبل الناموس الطبيعى من حيث نسبته الى الله ونسبة سائر الناس اليه

ولم يبدأ الله بالشريعة الأدبية على أثر سقوط الانسان فى الخطية لأن الشريعة الطبيعية كانت كافية لارشاده الى السبيل القويم ولكن لما أخذ ظلام الخطية يغشى أصول تلك الشريعة وأصبحت عاجزة عن ارشاده وتهذيب أخلاقه لفسادها بعض الفساد مدّه تعالى بالشريعة الأدبية التى كانت فى جوهرها قبل كتابتها على اللوحين الحجريين مكتوبة على صفحات قلبه

قال يوحنا فم الذهب (ان الله تعالى قد تقدم فى ابتداء خلقة العالم ورسم فى قلوب البشر ناموساً طبيعياً أى نوراً ومعرفة ترشد الانسان الى ما ينبغى له فعله . ولكن لما رأى تعالى أن كثرة الخطايا والادمان عليها قد أبطلا من قلوب البشر تلك السنة الطبيعية التى بها كانوا يهتدون الى معرفة الخير وتمييز الشر شاء بجودته الغير المتناهية أن يمنحهم شريعة مكتتبة لكى يجدد بها رسم الناموس الطبيعى فى قلوبهم)

وقد أنزل الله سبحانه وتعالى هذه الشريعة على موسى النبى فى جبل سيناء فى السنة الأولى لخروج بنى اسرائيل من أرض مصر . ونطق بها على مسمع من الشعب تعظيماً لشأنها وحفظاً لحرمتها كما أنه كتبها بأصبعه الكريم على لوحين من الحجارة بين ارتفاع صوت البوق وقصف الرعود ووميض البروق وتكاثف السحب وارتجاف الجبل وتدخينه . فكان المشهد من جراء ذلك مخيفاً رهيباً لم يعهد فى عالم الطبيعة نظيره ولا يكون مثله إلا فى اليوم العظيم

الرهيب عند استعلان ربنا يسوع المسيح من السماء مع ملائكة قوته فى لهيب نار معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون انجيل ربنا يسوع المسيح (٢ تس ١ : ٧)

واقد كُتبت هذه الشريعة على لوحين أحدهما يتضمن الوصايا الأربع المتعلقة بالله جل شأنه . والآخر يتضمن الوصايا الست المتعلقة بالأنسان

فالوصايا المتعلقة بالله هى : —

(١) انا الرب الهك لا يكن لك آلهة أخرى أمامى

(٢) لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الارض من تحت . لا تسجد لهن ولا تعبدهن

(٣) لا تنطق باسم الرب الهك باطلاً

(٤) اذكر يوم السبت لتقدسه

أما الوصايا المتعلقة بالأنسان فهى :—

(١) اكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب الهك

(٢) لا تقتل (٣) لا تزن (٤) لا تسرق (٥) لا تشهد على قريبك شهادة زور (٦) لا تشته بيت قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك (خر ٢٠ : ١ — ٧)

هذه هى الوصايا الأدبية العشر وقد جمعها ربنا يسوع المسيح فى وصيتين وهما : تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك . وتحب قريبك كنفسك (مت ٢٢ : ٣٩)

وهى ولا شك وصايا روحية ومقدسة وعادلة وصالحة وكاملة وغير متغيرة

أما كونها روحية فلأنها تطلب من الانسان الطاعة القلبية الداخلية التى تسوقه الى الغاية الفائقة الطبيعة .

ومقدسة لأن الله أعلن فيها مشيئته الطاهرة التى لا تسمح بشيء من دنس الخطية .

وعادلة لأنها تطلب ما هو حق بذاته .

وصالحة لأنها تهدى الانسان الى الطريق المستقيم وتهذب عواطفه وشهواته .

وكاملة لأنها تحوى عامة الواجبات المفروضة على الانسان بعضها مصرح فيها وبعضها غير مصرح فيها .

وغير متغيرة لأنها تتضمن تقرير ما هو مرسوم فى الشريعة الأزلية القائمة فى علم الله

نعم لقد أباح الكتاب قتل الزناة والخونة وأمثالهم ولكن ذلك لا يعتبر تغييراً للشريعة لأن الذى قضى بذلك هو واضع الشريعة نفسه . وتنفيذ أمر واضع الشريعة ليس هو تغييراً لها كما أن المنفذ للقتل لا يعدّ قاتلاً لأنه فعل ذلك بأمر المشرّع نفسه . هذا فضلاً عن أن التغيير فى الحقيقة لم يقع على الشريعة نفسها وانما وقع على ظروف مادتها . فأن ما كان مغايراً لنظامها القويمة أضحى لظروف خاصة موافقاً لها (راجع عد ٢٥ : ٧ — ١٢)

وصايا اللوح الاول

وهى

المتعلقة بالله تعالى

تمهيد : أختلف بعض العلماء فى تفصيل الوصايا العشر ولا سيما المتعلقة بالله سبحانه وتعالى فقد فصلوها كالآتى :

الاولى — أنا هو الرب إلهك .
الثانية — لا يكن لك آلهة أخرى أمامى .
الثالثة — لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً .
الرابعة — لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً

والذى حدا بهم الى هذا التفصيل هو عدم وجوب رعاية وصية السبت بحسب مبناها دائماً . كما أن بعضهم اعتبر قوله تعالى « لا يكن لك آلهة أخرى أمامى » وقوله « لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً » وصية واحدة . غير أن

التفصيل الذى ذكرناه فيما سلف هو الصحيح والمُجمع عليه من سائر علماء الكتاب

أما وصية يوم السبت فقد ذكرنا سبب عدم وجوب رعايتها بحسب مبناها دائماً فى شرحنا لهذه الوصية .



الفصل الأول

فى

(١) الوصية الأولى

«أنا هو الرب إلهك لا يكن لك آلهة اخرى أمامى»

(خر ٢٠ : ٢١)

هذه هى الوصية الأولى من وصايا اللوح الأول وهى توجب على الانسان الاعتقاد بوحدانية الاله الحق وتحرم

عليه الشرك بذلك الكائن الفرد الذى لا شريك له ولا ند لا فى السماء من فوق ولا على الارض من تحت . كما أنها تتضمن وعداً من الله أنه يعطينا كل ما نحتاج اليه

وهى ذات وجهين أحدهما ايجابى والآخر سلبى . فالايجابى يوجب على الانسان أعمالاً دينية يقضى بها حق العبادة الواجبة عليه من نحو خالقه . والسلبى ينهاه عن الرذائل المضادة والمفسدة للديانة

أما أهم الأعمال الدينية التى يقضى بها الانسان حق العبادة الواجبة عليه من نحو خالقه فهى :

(١) المحبة (٢) السجود (٣) الصلاة

(١) المحبة : ان الله سبحانه وتعالى لا يطلب من الانسان أن يعتقد بوجوده ووحدته وأن يعترف بحق سلطانه وحفظ رسوم عبادته فقط . بل يطلب منه أيضاً أن يحبه من كل قلبه ونفسه وفكره . وإلا فانه اذا أحب شيئاً معادلاً لمحبته تعالى كان ذلك بمثابة الشرك به أى اتخاذ آلهة أخرى غيره . كما أنه يكون مستعداً لأن يترك كل شىء سواه لأجله

لا خوفاً من العقاب ولا طمعاً فى الثواب بل لمجرد محبته، لذاته الكريمة فقط .

نعم أننا نحب الله لأنه هو الجواد والمحسن الينا ولكن يجب أن تكون محبتنا له بنوع أخص بالنظر لقداسته وعدله ورحمته وسائر صفاته المحبوبة لذاتها . قال له المجد جواباً للناموسى الذى طلب منه أن يدله على أهم مطالب الشريعة : نحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك (مت ٢٢ : ٣٧)

(٢) السجود : السجود هو ابداء العبادة لله تعالى اجلالا لشأنه السامى وتعظيماً لسلطانه المتعالى

والسجود بحسب اتساع معناه ينقسم الى ثلاثة أقسام (١) سجود عبدى (٢) سجود اكرامى (٣) سجود مدنى أو أعتبارى

فالسجود المدنى يقدم للملوك والرؤساء وذوى المقامات السامية . والسجود الاكرامى يقدم للقديسين والملائكة . أما السجود العبدى وهو وضع الجبهة على الأرض فلا

يقدم إلا لله وحده وهو الذى عناه ربنا له المجد بقوله للشيطان : « للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد » (مت ٤ : ١٠)

غير أنه لما كان الانسان مركباً من جزئين أحدهما روحى والآخر جسدى لهذا وجب عليه أن يقدم لله تعالى السجود والتكريم بحسب هذين الجزئين أعنى يقدم لله سجوداً روحياً الذى هو قائم بالتقوى والخشوع واتضاع العقل والتذلل الباطن (يو ٤ : ٢٤) وسجوداً جسدياً الذى هو قائم باحناء الجسد الظاهر والجثو ووضع الجبهة على الارض معترفين بذلك أننا كلا شىء نظراً الى ذاتنا أمام سيادته الالهية .

(٢) الصلاة : الصلاة هى ارتفاع العقل لله أو مخاطبة النفس لربها وهى لائقة بالله جل شأنه ولازمة لنا لأنها تظهر شعورنا باحتياجاتنا وثقتنا به تعالى

انه وان كان جل شأنه يعلم باحتياجاتنا بأحسن ما نعبر عنها بطلباتنا إلا أن معرفته تعالى باحتياجاتنا لا تغنى عن

الصلاة . لأن الصلاة وان كانت هى الواسطة الوحيدة التى عينها الله تعالى للحصول على النعم الضرورية فان المقصود بها العبادة لا الاخبار عن أعوازنا لأنه جلت قدرته يعلم كل شى .

ولما كانت الصلاة من أخص واجبات العبادة (١) أستلزمت سبعة شروط (١) أن تكون باسم المسيح (يو ١٦ : ٢٣) (٢) أن يكون المصلى فى حال ترضى الله أى إما أنه يكون بريئاً من الخطيئة الميتة . وإما أن يكون نادماً عليها ومصمماً نيته على عدم الرجوع اليها (يو ٩ : ٣١) (٣) أن تكون طلبته من الله موافقة للصواب ومتسببة للخلاص (يع ٤ : ٣) (٤) أن تكون صلاته بالروح أى باجتماع العقل (يو ٤ : ٢٤) (٥) أن

---

(١) العبادة نوعان سرية وجهورية : والجمهورية واجبة للغاية لانها تحرك العواطف وتزيد تأثير الصلاة وتقوى المحبة الأخوية وتوسع دائرة الخدمة وتشهد لله وتمجده أمام العالم . ومن ثم يتحتم علينا الحضور فى الكنيسة باستمرار

تكون صادرة عن اتكال عظيم على الله (يع ١ : ٦)
(٦) أن تكون بمداومة مع حرارة القلب من غير ضجر .
والمقصود بالمداومة على الصلاة المواظبة فى الوقت الملائم
لها . وألاّ نغادرها عن ضجر وفتور (لو ١٨ : ١)

وهذه هى أخص مقاصد الوجه الايجابى فى هذه
الوصية .

أما الوجه السلبى فينهانا عن سائر الرذائل المضادة
والمفسدة للديانة وأهمها : —

(١) عبادة الخليقة

(٢) عبادة الشيطان

(١) عبادة الخليقة : لقد اتخذ كثير من الامم البائدة
والباقية التماثيل الانسانية والأجرام السماوية والحيوانات
والأنهر والعناصر آلهة لهم فعبدوها وقدموا لها الذبائح
والصلوات والترنيمات والركوع والسجود وأمثال ذلك .

فقد عبد المصريون آمون وبارا . وعبد الاسرائيليون
البعل وعشتروث . كما عبد غيرهم الطيور والدواب والزحافات

وبذلك استبدلوا حق الله بالكذب واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق (رو ١ : ٢٥)

وحيث أن العبادة الوثنية من شر الآثام وأفظع المعاصي التي ترتكب على الأرض لأنها تعدى على حقوق الله وعدم اكتراث بوجوده تعالى وشرائعه بلا خوف ولا حياء . فضلا عن كونها مفسدة للأخلاق أى فساد لأنها في كل الأمكنة والأزمنة لم تنفك مقترنة بالزنى بل كثيراً ما يكون جزءاً منها كما تكون هيا كلها بيوتاً للعواهر وتراجم آلهتها قصصاً غرامية توصلا الى الفسق وكل أنواع النجاسة . وقد أطلقت لذويها عنان الشهوة وأجازت كل ما استحبته من النجاسات وصيرت سعادة الانسان بالتمتع باللذات المختصة بالبهائم لذلك عدها الله جل شأنه من الرذائل المفسدة للديانة وحرم استعمالها تحريماً قاطعاً بقوله : لاتصنعوا لكم أوثاناً ولا تقيموا لكم تمثالا منحوتاً ولا نصباً ولا تجعلوا فى أرضكم حجراً مصوراً لتسجدوا له لانى أنا الرب الهكم (لا ٢٦ : ١ ، تث ٤ : ٢٣)

(٢) عبادة الشيطان : قد يعبد الانسان الشيطان بقصد الحصول على ما لا يحق له طلبه إلا من الله وحده وذلك يتم بوسائط ووسائل متنوعة أشهرها ما يأتى :

(١) السحر : السحر هو اجراء أموراً عجيبة مدهشة تفوق مقدور البشر . وهو نوعان حقيقى وصناعى . فالحقيق ما صنع بقوة خارقة العادة يستمدها الانسان من الشيطان بمشاركته إياه .

والصناعى ما كان بواسطة الحذاقة والدربة وخفة اليد ومختلف الحيلة . وهو أثم سواء كان حيلة أم من عمل الشيطان لا من جهة كونه يضاد الديانة بمقاومته الله فقط ، بل من جهة كونه يضر بالقريب أيضاً . ومن ثم أمر جل شأنه بإبادة كل ساحر من على وجه الأرض بقوله : « لا تدع ساحرة تعيش » (خر ٢٢ : ١٨)

(٢) العرافة : العرافة هى استطلاع معرفة الغيب بواسطة الشيطان وهى صريحة ومقدرة ، فالصريحة ما تتم باستدعاء الشيطان صريحاً بواسطة المندل وغيره . والمقدرة

ما تم باستدعائه بوسائل متنوعة كالرمل وأمثاله «١»

وقد دعا الكتاب المقدس العرافين بذوى جان وتابعة. فأصحاب الجان هم الذين يجمعون الأرواح عند الحاجه ويسألونهم عن الخفيات وأصحاب التابعة هم الذين معهم الأرواح أبداً فيسألونهم عن ذلك متى أرادوا . قال أحد علماء الناموس « ان صاحب التابعة هو من معه روح تنبئه عما فوق الطبيعة من الأمور فتتكلم من إبطه أو صدره بصوت عميق »

وخطايا العرافة من الخطايا المميتة لأن صاحبها يقيم نفسه مقام الله فى معرفة الخفايا والمستقبلات التى لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى ومن ثم أمر جل شأنه بقتل العرافين رجماً بالحجارة بقوله : « واذا كان فى رجل أو امرأة جان

---

(١) اى سائر الانواع التى تبنى على النجوم لان للنجوم صلة فيما يتعلق باحوال الانسان الدنياوية . ولهذا يلجأ بعض الناس الى أصحاب هذه الصناعة لمعرفة ما يصيبهم فى مستقبلهم . وذلك خطأ لانه يصرف الفكر عن الله تعالى .

أو تابعة فانه يقتل بالحجارة يرجمونه دمه عليه » (لا ٢٠:٢٧)

والخلاصة : ان هذه الوصية تأمرنا بعبادة الله دون سواه كما أنها تنهانا عن تعدد الآلهة ونكرانه تعالى أمام الناس مهما كان هول القصاص

(انظر المجلد الأول ص ١٤٤ — ٢٢٠ والمجلد الثانى ص ١٢٥)



الفصل الثانى

فى

(٢) الوصية الثانية

« لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت . لا تسجد لهنّ ولا تعبدهن » (خر ٢٠ : ٤)

أى لا تتخذ لك صورة مما فى السماء من فوق كصور الشمس والقمر والنجوم . وما فى الأرض من تحت أى صور الانسان والحيوانات والدبابات والزحافات . وما فى الماء من تحت الأرض أى صور الأسماك والطيور وباقى الحيوانات البرية

ان هذه الوصية تنهانا عن اتخاذ التماثيل والصور على أنها آلهة تُعبد ويُسجد لها لأن ذلك مما يهين مجد الله ويدل

على العبادة الوثنية التى هى شر ما فعله الانسان على الأرض

لقد عرف الانسان بواسطة الشريعة الأدبية أن الله واحد لوحدة قوانين الخليقة الطبيعية وأنه يجب أن يعبد ويكرم وحده دون سواه ، ولكن لضعف قواه العقلية بسبب سقوطه فى الخطية غلب فساد طبيعته نور عقله فتطرق الفساد الى عقيدته فى التوحيد فأخذ يؤمن بآلهة كثيرة ثم عبدها فى هيئة تماثيل وصور شتى . قال أحد مؤرخى الرومان « أن بلادنا تضيق بالآلهة التى نعبدها فاذا فتشت فيها كان أسهل عليك أن تلقى فيها إلهاً من أن تجد رجلا »

ولم يكتف فى جهله بأن استبدل الاله الأبدى المجيد بالانسان الزائل بل اتخذ شبه الانسان أى تمثالاً على هيئته لا حس له ولا حياة وبذلك أبدل مجد الله الذى لا يفنى بشبه صورة الانسان الذى يفنى والطيور والزحافات .

ولم يسقط فى هذا الدرك المنحط الجهلة وعامة الناس فقط بل تمرغ فى حمأته القذرة العلماء والفلاسفة أيضاً . قال

ارتوبيوس « انى أنا نفسى منذ عهد ليس ببعيد عبدت
التماثيل تماثيل الآلهة على أثر خروجها من الأتون وأثر
رفعها عن السندان. وتماثيل العاج والخشب المنقوش والحجارة
المصقولة المقررة فى خشب الزيتون وكنت أحترمها كأن
فيها قوة ذاتية وأتوسل وأطلب البركة مما لا حس فيه »

وقال سنيكا « يصلى الناس لتماثيل آلهتهم وصورها
ويجثون أمامها أو يقفون أمامها أياماً طويلة ويطرحون
لها النقود ويذبحون لها البهائم ويحترمونها أحسن الاحترام »

على أن هذه الوصية وان كانت نهت عن اتخاذ التماثيل
المنحوتة وصور الآلهة الكاذبة ردعاً لبنى اسرائيل من
الطغيان والزلق والانصباب على العبادة الوثنية اقتداء بالأمم
المجاورة لهم كما يؤخذ من قوله تعالى فى نهاية الوصية « لا
تسجد لهن ولا تعبدهن » ولكنها لم تمنعنا عن اتخاذ صور
ربنا يسوع المسيح وقديسيه وملائكته وتقديم الاكرام
والوقار اللائق بها. لأن تلك أخذت للسجود والعبادة ،
وأما هذه فأخذت كدليل يرشد الناس الى ما كان عليه

أصحاب تلك الصور من الفضل والقداسة فيقتدون بسيرتهم وينسجون على منوالهم . لأن صورة الشخص لعين الرائى كسماع سيرته بأذن السامع لا بل أن الحقائق تصل الى النفس بمنتهى الوضوح والجلاء عن طريق النظر أكثر من وصولها اليها عن طريق السمع . ومن ثم كان النظر الى رسم المدن والبلدان فى درس الجغرافيا أشد تأثيراً وفاعلية فى نفس الطالب من وصف تلك الأمكنة بالسمع أو المطالعة . ذلك لأن النفس لا تعرف شيئاً ما لم تبينه الحواس وتبرهن عليه بالأشياء المحسوسة المعروفة عند الجسد كما أنها لا يمكنها أن ترتقى الى معرفة الأشياء الغير الواقعة تحت الحواس ما لم تستعمل الاشياء المحسوسة . ومن ثم نجده سبحانه وتعالى عند ما كان يوحى الى الأنبياء قديماً ويعلمهم ما يريد ان يعلموه أو يروه فقد كان تارة يستعمل الكلام فقط وطوراً يستعمل الرسوم والصور كما ظهر تقدس اسمه لدانيال النبي بصورة انسان عتيق الأيام لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقى (دا ٧ : ٩) وكما ظهر

لاشعياء النبي جالساً على كرسى عالٍ ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل (اش ٦ : ١)

الخلاصة

ان هذه الوصية لم تنهِ عن اتخاذ الصور إلا من حيث لا يجب أن تعبد كاله فقط بدليل أن الرب نفسه فى المكان الذى أعطى فيه الوصية الثانية عينه وبواسطة موسى النبي ذاته أمر بنى اسرائيل أنفسهم أن يصنعوا ملاكين من ذهب داخل قدس الأقداس . فلو كانت الوصية الثانية تمنع اتخاذ كل صورة على الاطلاق لما جاز أن يأمر جلّ شأنه مع وصية المنع باقامة كروبين من ذهب ليتجلى بينهما بقوله : «وتصنع كروبين من ذهب صنعة خراطة تصنعهما على طرفى الغطاء . فاصنع كروباً واحداً على الطرف من هنا وكروباً آخر على الطرف من هناك . من الغطاء تصنعون الكروبين على طرفيه ويكون الكروبان باسطين اجنحتهما الى فوق مظللين باجنحتهما على الغطاء ووجهاهما كل واحد الى الآخر

نحو الغطاء يكون وجها الكروبين » (خر ٢٥ : ١٨ ـ ٢٠)

ومن هذا الأمر الالهي يتضح أن الصور لم ينه عنها إلا من حيث أنه لا يجب أن تعبد كآله فقط . وإلا كان سبحانه مناقضاً لنفسه . كما أن ارتياحه لبناء الهيكل الذى زينه سليمان الملك بشتى الصور الملائكية كنظام الكنيسة القبطية الآن يكون فى غير موضعه — وذلك باطل بالبداهة — (انظر ١ مل ٦ : ٢٩ ، ٩ : ٣ — مع مراجعة الفصل الخاص بالايقونات)



الفصل الثالث

فى

(٣) الوصية الثالثة

« لا تنطق باسم الرب الهك باطلاً » (خر ٢٠ : ٧)

هـذه الوصية تتضمن (١) النهى عن التهاون والاستخفاف باسم الله بدون مراعاة الرهبة والاحترام (٢) النهى عن القسم باسمه تعالى على صحة ما هو كاذب

(١) التهاون والاستخفاف باسم الله

انه لأمر مكروه جداً بل خطأ مميت أن يستعمل الانسان أسماء الله والقابه وصفاته وكلامه عبثاً . أى ينطق بها بدون سبب لائق أو بدون مهابة واحترام وقداسة ناهيك بالتجديف عليه وهو الكفر بنعمه تعالى وامتهانه واحتقار أفعاله الالهية قصداً وعمداً . وتلك خطية لا مغفرة

لها لا فى هذه الحياة الحاضرة ولا العتيدة (مت ١٢ : ٣١)

(٢) القسم :

القسم هو استدعاء اسم الله للشهادة على الحق . وهو نوعان ممنوع ومباح :—

فالممنوع — ما نُطق به لتأييد الباطل أو ما كان مستعملاً فى المحادثات العادية لغير مقتضى . أو فيما لا طائل تحته فيجلب احتقاراً لله وعدم احترام لشأنه ومن ثم نهانا عنه ربنا بقوله : « لا تحلفوا البتة (١) لا بالسماء لأنها كرسى الله ولا بالأرض لأنها موطىء قدميه ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر

---

(١) قال ابن العسال فى مجموعه الصفوى صفحة ٣٦٥ شرحاً لهذا النص (وأما قول الرب فى شريعة الفضل لا تحلفوا البتة فلا يرد فى المحاكمات وانما أراد فى المخاطبات . لأنه ختم هذا القول بقوله (لتكن كلمتكم فى النعم نعم وفى اللا لا . وأيضاً قال — وما زاد على هذا — والزائد هو الشىء الذى لا يحتاج اليه)

أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا (مت ٥ : ٣٤)

ولم يقصد ربنا بقوله (لا تحلفوا البتة) أن يمنع الحلف بكل وجه من الوجوه بل أراد أن يرد على علماء الناموس الذين كانوا يعلمون — ولاً — أن الله لا يمنع إلا مخالفة الحلف كما هو ظاهر من قوله تعالى: « لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا »

وثانياً — كانوا يعلمون أن مخالفة الحلف بالخليقة ليست هي بخطية أصلاً. أى ان كان أحد حلف كاذباً ببعض الخليقة كمن يحلف بالسماء والارض أو بحياة قريبه فانه لا يخطىء. فالرب يهدم هاتين الغلطتين بقوله « لا تحلفوا البتة » فكأنه تعالى يقول ليس أن مخالفة الحلف حرام فقط، بل أيضاً كل حلف سواء أكان بمخالفة أم بغير مخالفة بالله أم بخليقته فانه حرام أبداً إن لم يكن لضرورة

أما المباح — فهو القسم الشرعى لأنه هو الواسطة الوحيدة لاظهار الحق وانهاء كل نزاع لا بينة عليه ولا دليل

ومن ثم أباحه موسى النبي لبنى اسرائيل بأمر الله بقوله : « اذا أعطى انسان صاحبه حماراً أو ثوراً أو شاة أو بهيمة ما للحفظ فمات أو انكسر أو نُهب وليس ناظر فيمين الله تكون بينهما هل لم يمد يده الى ملك صاحبه فيقبل صاحبه فلا يُعوض » (خر ٢٢ : ١٠) وقد أعقبه بولس الرسول فقال : « فان الناس يقسمون بالأعظم ونهاية كل مشاجرة عندهم لأجل التثبيت هى القسم » (عب ٦ : ١٦)

أما الدليل على أن القسم الشرعى مباح(١) فهو ما أتاه ربنا له المجد فى ليلة صلبه . فانه عند ما استحلفه رئيس الكهنة بقوله: « استحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله » (مت ٢٦:٦٣) لم يرفض المسيح ويمتنع عن الاجابة بل قال له « أنت قلت » ومعنى هذه العبارة ـ نعم

---

(١) قال ابن العسال فى مجموعه الصفوى صفحة ٣٦٥ (وفصل المنازعات باليمين قد يحتاج اليه بالضرورة . غير أنه لا يصح استحلاف الزائل العقل ومن لم يبلغ)

أن ما قلته حق — وبذلك أثبت أن القسم أمام القضاة مباح اذا كانت القضية صحيحة وذات شأن .

هذا فضلا عن أن الله جل شأنه قد استعمل القسم فى ظروف خاصة ، حيث أقسم لابراهيم وغيره بقوله : « بذاتى أقسمت يقول الرب انى من أجل أنك فعلت هذا الامر ولم تمسك ابنك وحيدك اباركك مباركة واكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذى على شاطىء البحر » (تك ٢٢ : ١٧ ، تث ١٩ : ١٢ — ١٥) ثم صرح لبنى اسرائيل باستعماله بقوله : « الرب إلهك تتقى وإياه تعبد وباسمه تحلف » (تث ٥ : ١٣ ، عد ٥ : ١٩ ، لا ٥ : ١)

ولقد استعمله أيضاً رسله وملائكته وانبياؤه حيث أقسم بولس الرسول لأهل فيلبى بقوله : « فإن الله شاهد لى كيف اشتاق الى جميعكم فى احشاء يسوع المسيح (فى ١ : ٨) وأقسم أيضاً لأهل كورنثوس بقوله : « ولكنى استشهد الله على نفسى انى اشفاقاً عليكم لم آت الى كورنثوس (٢ كو ١ : ٢٣ ، ١١ : ١٠) وهكذا فعل الملاك الذى أخبر

عنه يوحنا اللاهوتى بقوله : « وأقسم بالحى الى أبد الأبدين (رؤ ١٠ : ٦) وكذلك أتبع هذه الطريقة عينها ايليا النبي بقوله : « حى هو الرب إله اسرائيل الذى وقفت امامه أنه لا يكون طل ولا مطر فى هـذه السنين إلا عنـد قولى (١ مل ١٧ : ١ — راجع أيضاً ١ مل ١ : ٢٨)

غير أنه وان كان القسم الشرعى مباحاً إلا أنه يجب مراعاة الشروط الآتية وهى : —

(١) الصدق : وهو أن يـكون التقرير مطابقاً لنية ومعرفة الحالف لأن الحلف بالـكذب يدنس اسم الله على حد قوله تعالى لبني اسرائيل : « ولا تحلفوا باسمى للـكذب فتدنس اسم الهك » (لا ١٩ : ١٢)

(٢) أن يقع على شيء لائق وجائز لأن القسم فعل دينى فلا يقع على شيء حقير وغير جائز كالمزح واللعب والمنكر

(٣) أن يكون لعلة صحيحة ولضرورة قصوى لأن من يحلف باستخفاف وجسارة وبدون ضرورة داعية يهين اسم

الله ويقلل من احترامه . أما من يحلف لضرورة فلا يأثم بحلفه مطلقاً

وهذه هى نفس الشروط التى عناها أرميا النبى بقوله : « وان حلفت حى هو الرب بالحق والعدل والبر فتتبرك الشعوب به وبه يفتخرون » (أر ٤ : ٢)

أما كونه بالحق فلأنه يجب على الحالف أن لا يثبت شيئاً بقسم سوى الذى يعرفه معرفة يقينية ويتحققه غاية التحقق . ولا يعد بيمين إلا بالذى يقصد بكل عزمه ونيته القيام به . ولهذا يخطىء خطأ عظيماً اولئك الذين يحلفون على ما لا يعلمون حقيقته أو يعدون بقسم بما لا يقصدون وفاءه .

وكونه بالعدل لأنه لا يجوز للحالف أن يقسم أنه يفعل دون ما هو عدل وحلال . ولهذا يخطىء خطأ مميتاً كل الذين يعدون بأقسام بالضرر والانتقام من الآخرين أو بعمل شىء يغضب الله . لأن كل هذه المواعيد بما أنها مضادة للعدل ومحرمة لا يجب حفظها بنوع من الأنواع إذ ليس

أحد ملتزماً بعمل الشر لأن شريعة الله تنهانا عن ذلك .

أما كونه بالبر فلأنه يجب أن يكون بالفطنة والتمييز حيث ينبغي للحالف أن يتعقل متفهماً أن ليس هو واجباً أن يستشهد الله إلا على أمور روحية لائقة ضرورية جداً لا كيفما اتفق بل بسبيل التقوى والتوقير . لأن الحلف عبادة وتكريم للخالق . قال أحد اللاهوتيين (اننا بالقسم الصادق نقدم عبادة واكراماً لله اذ ندعوه بمنزلة شاهد منزه عن الغلط ونعترف بأنه هو الحق الحاوى معرفة كل شيء وأنه هو الحاكم المطلق المحب للصدق والمنتقم من ذوى الخيانة والغدر) .

وقد كان علماء اليهود يعتقدون أيضاً أن الله يتمجد بالحلف الصادق ومن ثم عند ما أرادوا استحلاف الرجل الأعمى قالوا له « اعط مجداً لله » والاستحلاف بهذا اللفظ مبنى على الاعتقاد أن الله يتمجد باظهار الحق لأنه إله الصدق والقوة والسلطان يثيب الصادقين ويعاقب الكاذبين

هذا من جهة القسم بالله جل شأنه . أما من جهة القسم

برجاله الصالحين وسائر مخلوقاته فقد منعه بعضهم منعاً باتاً لزعمهم أن القسم بالمخلوقات عادة وثنية إذ ينسب لها صدق منزه عن الخطأ . وقد أجازه البعض الآخر بحجة أن القسم بالمخلوقات يعود على الخالق نفسه لأن الله هو سيد الانسان ومولاه فتكريمه واحتقاره بالحلف يعودان عليه تعالى . فضلاً عن الاعتراف بالقوة المنسوبة لجلاله بالحلف بالانسان أو أحد أعضائه . لأن من حلف برأسه مثلاً تأييداً لشيء من الاشياء كأنه يطلب من الله أن يحفظ تلك الرأس اذا كان ما أقسم عليه حقاً ، أو يبيدها اذا كان ما أقسم عليه كذباً . ومن ثم رجّح كثير من العلماء أن منع ربنا من القسم برؤوسنا انما هو لعدم تعريضها للضرر فيما اذا كنا حانثين فى القسم بها .؟

الخلاصة

لقد ثبت مما تقدم أن الحلف وإن كان ممنوعاً منعاً باتاً من جهة أمورنا الشخصية والاجتماعية التى يتحتم علينا فيها

أن يكون كلامنا نعم نعم ايجاباً ولا لا نفياً بلا قسم .إلا أن ذلك المنع لا يمس واجباتنا من جهة الحكومة والقضاء بل اذا أُمر المسيحى بالقسم شرعاً فله أن يقسم بكل وقار لا لكى يجبر نفسه على التكلم بالصدق بل لكى يقنع الآخرين أنه صادق مع مراعاة الشروط التى سبق الكلام عليها ؟

الفصل الرابع

فى

(٤) فى الوصية الرابعة

« اذكر يوم السبت لتقدسه » (خر ٢٠ : ٨)

هذه هى الوصية الرابعة وهى ذات وجهين طبيعية وطقسية فتعتبر طبيعية لكونها فُرضت على الانسان

ليصرف وقتاً معيناً من الاسبوع فى عبادة الله عبادة جمهورية عامة. وتعتبر طقسية لكونها نسخت فى الشريعة الجديدة لتبديلها بيوم الأحد

وقد امتازت هـذه الوصية على كل ماسواها من الوصايا العشر بقوله تعالى فى مطلعها « أذكر » فدل بذلك على أنها لم تكن وصية جديدة بل كانت قبل اعطاء الشريعة على جبل سيناء ثم تجددت وقتئذ كما يؤخذ من تحريم التقاط المن فى يوم السبت وذلك كان ولا شك قبل انزال الشريعة بوقت ما حيث قيل : « غداً عطلة سبت مقدس للرب » (خر ١٦: ٢٣) لا بل أن وصية السبت يمتد زمانها الى ما هو أبعد من ذلك حيث تعين ذلك اليوم للحفظ والراحة والتقديس منذ خلقة الانسان وإن كانت بداية حفظه الرسمى منذ اعطاء الشريعة على جبل سيناء بدليـل قول موسى عنه على أثر تكوين العالم : « وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع أعماله » (تك ٢ : ٢) غير أن بنى اسرائيل لما كانوا غير قادرين أيام مذلتهم فى مصر وتسخيرهم أن

يستمروا على تقديس يوم السبت فمن ثم اعتُبرت هذه الوصية جديدة بالنسبة إلى أحوالهم فقط

وليس من ينكر أن يوم الراحة الاسبوعية جدير بالعناية والحفظ فى كل العصور والدهور الى نهاية العالم . لا لكونه من الفروض الآلهية فقط بل لأنه من أجلّ مواهب الله وحسناته على الانسان لأنه (١) موافق لطبيعة الانسان والحيوان التى هى فى أقصى حدود الحاجة الى الراحة من أعمالها المتواصلة. وكما أن راحة الليل ضرورية للانسان بعد تعب النهار كذلك الراحة الاسبوعية ضرورية له بعد تعب الاسبوع ومن ثم قال ربنا له المجد : « السبت انما جُعل لأجل الانسان لا الانسان لأجل السبت » (مر ٢ : ٢٧) أى أن يوم الراحة الأسبوعية مع كونه يوم الرب ووجوب حفظه اطاعة لأمره تعالى ولاكرامه إلا أنه يُعتبر يوم الانسان لأنه تعين لسعادته وخيره وتقديسه جسداً وروحاً (٢) لكونه من أجلّ الوسائل لحفظ شرائع الله وتذكير نواميسه المقدسة . ومن ثم حاول

الكفرة والملحدون فى عصور مختلفة الغاءه وابطاله بكل وسيلة ممكنة ففشلوا ولم يفلحوا . وما فشل حادثة سنة ١٧٩٣ أيام الانقلاب الفرنسى التى كانت ترمى الى الغاء يوم الأحد إلا دليلا صحيحاً على عدم امكانية الغاء يوم الراحة الذى عيّنه الله للانسان منذ خلقته

أما ما يستدعى زيادة الشرح والبيان فى هذه الوصية فهما أمران أحدهما علة تبديل يوم السبت بالأحد والأدلة على ذلك . وثانيهما المقصود بتقديس يوم الأحد

(١) علة تبديل يوم السبت بالأحد والادلة على ذلك

لقد تبدل يوم السبت بالأحد لأن فيه قام المسيح من بين الأموات (مت ٢٨ : ١) ولهذا أوجبت الكنيسة حفظه وتقديسه وتعيينه للعبادة ليذكر الانسان فيه حسنات الله العظمى التى أفيضت عليه بغزارة فى ذلك اليوم العظيم وكما أن السبت اليهودى تعين ليكون مذكراً للانسان بحسنات الله عليه فى خلقة العالم وتكوينه ، هكذا يوم الأحد فانه تعين ليذكر المؤمن بحسنات الله العظمى فى

اصلاح العالم وتجديده . ولا يخفى أن يوم التجديد أدعى للحفظ والتذكرة من يوم الخلقة . لأن حسنات الله ظهرت في التجديد بمظهر أروع وأعجب مما ظهرت به في يوم الخلقة . فالأول حدث بمجرد الارادة والأمر . وأما الآخر فتم بعد الجلد والصلب وسفك الدم ومن ثم كان بالتقديس والحفظ أولى وأحق .

واذا كان يوم نجاة الاسرائيليين من عبودية مصر فُرض عليهم حفظه وتكريمه طيلة قيام ذلك النظام ومن تعداه وقع تحت طائلة العقاب . ويوم تحرير أى بلد من الاستعباد والاستعمار يستحق من ذويه كل اجلال واكبار بل يُعد خائناً للوطن من لم يراعِ حرمته فما بالك بيوم القيامة المعظمة وهو يوم الاطلاق والحرية الحقة أليس هو جديراً بالحفظ والتقديس لمن أُسبغت عليهم خيراته وتمتعوا بغزارة بركاته ؟ ان العُرف فضلا عن الكتاب يوجب ذلك علينا ويحتمه .

ولم تكرم الكنيسة يوم الأحد وتأمر بحفظه لقيامة

الرب فيه فقط بل لأنه : —

(١) دخل فيه له المجد مدينة أورشليم منتصراً باسطاً رواق ملكه الالهى على سائر الشعوب والقبائل

(٢) ظهر فيه يوم قيامته المجيدة ست مرات لتلاميذه ومؤمنيه محققاً لهم قيامته وانتصاره على الموت والجحيم

(٣) ظهر فيه لتوما تلميذه ليزيل من قلبه كل شك وريب من جهة قيامته المعظمة

(٤) حل فيه الروح القدس على التلاميذ وملأهم قوة وحكمة .

(٥) وُضع فيه الحجر الأول لتشييد صرح الكنيسة المجيد حيث آمن فيه ثلاثة آلاف نفس دفعة واحدة واعتمدوا من يد الهيئة الرسولية فى نفس ذلك اليوم العظيم

(٦) واذا صح التقليد القائل إن المسيح له المجد وُلد فى يوم الأحد كان ميلاده وختانه وعماده فى يوم الأحد أيضاً

(٧) لأن الكتاب يُسمى هذا اليوم المقدس بيوم الرب . حيث قيل عنه فى سفر الرؤيا : « كنت بالروح فى يوم الرب

(رؤ ١ : ١٠) والمقصود بيوم الرب هنا يوم الاحد حسبما ورد فى الترجمات القبطية واللاتينية والسريانية حيث قيل فى الأولى (كنت بالروح فى يوم ذلك الأحد) وقيل فى الثانية والثالثة (صرت بالروح فى يوم الأحد)

(٨) لأن التلاميذ اتفقوا على حفظه وتعيينه للعبادة منذ قيامة الرب (يو ٢٠ : ١٩، ٢٦) [١] كما أنهم جعلوه يوم جمع الاحسان للفقراء . فلو لم يكن يوم الأحد يوم الاجتماع العام لما ناسب أن يكون يوماً لذلك الجمع . قال بولس الرسول فى رسالته الأولى الى أهل كورنثوس : « وأما من جهة الجمع لأجل القديسين فكما أوصيت كنائس غلاطية هكذا افعلوا أنتم أيضاً فى أول كل أسبوع (أو فى كل يوم أحد) كما ورد فى الترجمة اللاتينية والسريانية — ليضع كل واحد منكم عنده خازناً ما تيسر حتى اذا جئت لا يكون جمع حينئذ » (١ كو ١٦ : ١)

---

(١) قد أصدر الملك قسطنطين أمره سنة ٣٢١ م بأن يستريح المسيحيون من كافة أعمالهم فى ذلك اليوم .

وقد أجمع علماء الكتاب المقدس فى شرح هذه الآية على أن المؤمنين كانوا يجتمعون يوم الأحد لمباشرة الأسرار الالهية فرأى الرسول موافقاً أن تجمع الصدقات فى هذا اليوم فصار ذلك عادة فى الكنيسة . ولما بطلت هذه العادة فى كنيسة القسطنطينية أعادها فم الذهب وخطب بهذا الشأن خطبته الشهيرة على الصدقة والاحسان بناء على أن جمع الصدقة فى يوم الأحد مناسب بغاية ما يكون من حيث أن الله خلق السموات والأرض فى يوم الأحد ولما دُثر العالم وباد جدده المسيح وأصلحه بقيامته فى هذا اليوم فمن ثم كان أولى بالمؤمنين أن يصنعوا الرحمة والصدقة فى هذا اليوم ذكراً لما نالوه فيه من فضل الله ورحمته «١»

وفضلا عن ذلك فقد جاء فى قوانين الرسل ما يؤيد نقض السبت وحفظ الأحد حيث قيل « يجب أن يجتمع المسيحيون فى كل يوم أحد ثلاث ساعات من النهار للصلاة

---

(١) تيسير الوسائل في تفسير الرسائل

وقراءة الكتب العتيقة والحديثة وتقريب القربان لأن فيه بشر الملاك مريم بحمل المسيح وفيه قام من الأموات وفيه ينزل يوم القيامة مع ملائكته فى مجده العظيم ويجلس مع تلاميذه ليدين الأحياء والأموات » وقيل أيضاً « لا يجب على النصارى أن يبطلوا يوم السبت مثل اليهود بل يعملوا فى ذلك اليوم كالنصارى واذا وُجد قوم فى أعمال اليهود فانهم يكونون مطرودين من وجه المسيح »

(٢) المقصود بتقديس يوم الاحد

أما المقصود بتقديس يوم الأحد فهو أمران أحدهما سلبي والآخر ايجابى

فالسلبي يتضمن ترك مباشرة الحرف والصنائع والبيع والشراء والتنزهات الدنياوية وسائر الأعمال الغير الضرورية.

أما الايجابى فيتضمن الأعمال التى توافق الغاية التى وضع لها هذا اليوم المقدس وهى مجد الله وخير الانسان.. وتلك تحتوى على الأعمال الآتية : —

(١) أعمال العبادة (٢) المحبة (٣) الضرورة

(١) أعمال العبادة : يجب على كل مؤمن مميز أن يتفرغ في يوم الاحد للامور الآلهية وأهمها حضور القداس ، وسماع الوعظ ، والتناول من جسد الرب ودمه ، والقيام بسائر أنواع العبادة الجمهورية ولا سيما تهذيب أبنائه وحثهم على حفظ وصايا الله ونواميسه المقدسة . ومن ثم أستنتج علماء الناموس من قرن وصية حفظ السبت باكرام الوالدين كما جاء في (لا ١٩ : ٣) أن في السبت المقدس أحسن الفرص للوالدين لتعليم أولادهم وتدريبهم وحثهم على محبة الله وطاعته واكرامه . وإلا أثم الوالدون اثماً مميتاً ما لم يكن هناك عذر مقبول في اهمالهم هذا الواجب المقدس كعدم الحرية في العمل والمرض والهزال وأمثال ذلك .

(٢) أعمال المحبة : أما أعمال المحبة فهي عيادة المرضى واعانتهم واسعافهم بحاجتهم وزيارة المحبوسين ومواساة الحزانى وافتقاد الايتام والارامل ، واجراء الصلح والسلام بين المتخاصمين وايقاظ المتغافلين عن واجباتهم الدينية والى غير ذلك من أعمال المحبة الجليل ذكرها والتي يكرم بها

يوم الأحد ويتقدس

(٣) أعمال الضرورة : وهى ضرورة الانسان وضرورة غيره كسفر المريض من مكان الى آخر طلباً للاستشفاء . وتجهيز الطعام واعداده (خر ١٢ : ١٦) وتخييط أكفان الميت وصنع تابوته وحمله ودفنه . والهرب من العدو . والمدافعة عن النفس . واطفاء نيران الحريق . وحل المواشى وسقيها . واصلاح الطرق العامة اذا كان تأجيل اصلاحها مما يلحق بالجمهور ضرراً . والى غير ذلك من الأعمال الضرورية . لأن الأحد كما قال ربنا له المجد قد فرض لاجل الانسان ولخيره لا لأجل ضرره وأذيته . كما أنه وضع لأجل تقدم صالحه الضرورى لا لأجل منعه عن السعى المفيد الذى يؤول لخير نفسه الحقيقى

وبالاجمال أن وصية الأحد لا تنهى عن اجراء عمل فيه خير للانسان مطلقاً . ولا تلزمه الا بما يستصوبه العقل السليم وما يوافق الحكمة الصحيحة . ومن ثم أباح ربنا له المجد الأعمال الضرورية اللازمة للانسان فى يوم السبت

بقوله للذين اعترضوا عليه لشفائه المرأة المنحنية فى يوم السبت : « ألا يحل كل واحد منكم فى السبت ثوره أو حماره من المذود ويمضى به ويسقيه . وهذه وهى ابنة ابراهيم قد ربطها الشيطان ثمانى عشرة سنة أما كان ينبغى أن تحل من هذا الرباط فى يوم السبت » (لو ١٣ : ١٥)

وقد كان لليهود فى يوم السبت أن يسقوا الارض الظامئة ويحفروا مجارى للمياه ويصلحوا القنوات والحياض والطرق وسائر الأعمال الضرورية للحياة . وقد وضع أئمتهم مبدأ لذلك وهو (السبت دفع الى يدك لا أنت دفعت ليد السبت) وهو يوافق قول ربنا له المجد : « السبت انما جُعل لأجل الانسان لا الانسان لأجل السبت » (مر ٢ : ٢٧) ؟

وصايا اللوح الثانى

وهى

المتعلقة بالانسان

تمهيد : هـذه الوصايا الست تتضمن واجباتنا من نحو أنفسنا ومن نحو الواحد للآخر بعضنا لبعض . ومن ثم تعتبر شرحاً للوصيـة الثانية العظمى القائلة (تحب (١) قريبك كنفسك)

وقد رتبت هـذه الوصايا بحسب أهميتها وجسامة الخطايا وفظاعتها. فخطيئة اهانة الوالدين شر من خطيئة القتل. وخطيئة القتل أفظع من خطيئة الزنى . وخطيئة الزنى أقبح من خطيئـة السرقة . ذلك لأن السرقة تتعلق بالخيرات الزمنية . والزنى يؤدى الى الريب فى صحة النسل . أما

---

(١) المراد بالقريب كل الناس من أية ملة كانوا

القتل فيهدم الحياة بعد وجودها وهو شر من الخطيئتين الأولى والثانية.

هذا من جهة جسامة الخطايا الناشئة من مخالفة هذه الوصايا . أما من جهة أهميتها فلأنه كما أن الله تعالى هو المبدأ العام لوجود الجميع كذلك الأب هو مبدأ ما ، لوجود الابن . ولهذا كان من الصواب ايراد الوصية المتعلقة بالآباء بعد الوصايا المتعلقة بالله جل شأنه ؟



الفصل الخامس

فى

(٥) الوصية الخامسة

« أكرم أباك وأمك » (خر ٢٠ : ١٢)

إن هذه الوصية تتضمن أمرين عظيمين أحدهما ما يجب على الأبناء لآبائهم والآخر ما يجب على الانسان لقريبه أى كل ما على الانسان لغيره من الناس

وقد امتازت هذه الوصية بأهمية خاصة فى نظر الله سبحانه وتعالى ومن ثم وعد الذين يحفظونها بوعد أرضى فضلا عن الوعد السمائى وهو طيلة الحياة ورغد العيش بقوله : « أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الارض التى يعطيك الرب إلهك » (خر ٢٠ : ١٢)

قال القديس توما اللاهوتى « ووجه المناسبة بين هذا

الأجر والوصية المذكورة هو لما كانت حياة الأولاد من الوالدين ناسب أن تطول للاولاد البررة الأوفياء الذين يرعون حقوق والديهم وتقصر على الاولاد العاقين الذين يقصرون فى حقوق والديهم »

على أن هذا الوعد لم يكن على اطلاقه . فكثيرون من العاقين والديهم تطول حياتهم ، وكثيرون من المطيعين لهم يحرمون منها . غير أن هولاء لا يفقدون أجرهم بل يؤجرون بأجر أفضل وأحسن وهو رضى الله وسعادة السماء

أما ما يجب على الأبناء لآبائهم فمحصور فى أمور ثلاثة : (١) المحبة (٢) الطاعة (٣) الاكرام

المحبة : بما أن الآباء هم علة وجود أبنائهم بعد الله سبحانه وتعالى ، وجب على أبنائهم أن يحبوهم حباً خالصاً باطناً وظاهراً متجنبين كل ما يغيظهم ويكدرهم . كما أنهم يدفعون عنهم كل شر وإهانة مقدمين لهم كل احتياجاتهم وأعوازهم كالطعام والكسوة وسائر مقومات معاشهم ؛ ولا سيما فى زمن مرضهم وشيخوختهم ذاكرين حسناتهم

وخيراتهم التى طالما أغدقوها عليهم فى زمن حداثتهم حيث كانوا يفضلونهم على أنفسهم مهتمين بهم أكثر من اهتمامهم بذواتهم ، عالمين أن الابناء الذين لا يحبون والديهم بل يكرهونهم ويثيرون أحزانهم ويهملون مواساتهم ويتمنون موتهم ليستريحوا من نفقاتهم أو ليحصلوا على مقتنياتهم إنما هم من أردأ الناس وأكثرهم شراً فى نظره تعالى . وليس أدل على ذلك من توبيخاته الصارمة التى وجهها له المجد الى الكتبة والفريسيين لفساد تقليداتهم التى أباحت للأبناء التخلص من الوفاء والبر بوالديهم بقوله لهم « فقد ابطلتم وصية الله بسبب تقليدكم » (مت ١٥ : ٦)

الطاعة : ان طاعة الأبناء لآبائهم لم يفرضها الناموس الآلهى فحسب ، بل فرضها الناموس الطبيعى أيضاً . لأن من جاد على غيره بالحياة وجبت له الطاعة والخضوع بأكمل معناه . قال الكتاب : « أيها الاولاد اطيعوا والديكم فى الرب لان هذا حق » (اف ٦ : ١)

وخير مثال يُحتذى به فى وجوب طاعة الأولاد

لوالديهم طاعة ربنا له المجد لمريم أمه ويوسف المحسوب أباً له (لو ٢ : ٥١) وقد أطاع هذه الطاعة الاختيارية ليعلمنا أن الطاعة من أسمى الفضائل وأجلها. بل هى الباب الذى يوصلنا الى معرفة الله فيما ينبغى لنا عمله أو ما يحسن بنا تركه ولم يطع له المجد أمه المباركة فقط ، بل لم يغفل عنها فى المستقبل وهو يحمل أشد الآلام ليعطى مثالاً لكل الابناء يعلمهم القيام بما يجب عليهم لوالديهم (يو ١٩ : ٢٦)

على أن طاعة الآباء والامتثال لأوامرهم وان كانت واجبة ومحتومة على الابناء حسب وصية الله إلا انهم ملزمون بها فى حدود الأمور الحسنة فقط . ومعافون منها فى الأمور السيئة وهى مخالفة نواميس الله وشرائعه المقدسة التى توجب عليهم مراعاة حرمتها أن يقولوا لآبائهم ولا لوم عليهم : « ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس » (اع ٤ : ٢٩) لأن الابن فى الواقع غير ملزم باطاعة والديه إلا فيما يتعلق بآدابه وتعليمه وخلاص نفسه وتدبير بيته وأمر معاشه .

الاكرام : بما أن نسبة الأولاد الى والديهم كنسبة الانسان الى الله جلّ شأنه أى أنهم ذوو سيادة وسلطة عليهم فيجب على الأبناء أن يهابوهم ويوقروهم ويكرموهم متجنبين كل ما من شأنه أن يؤدى الى احتقارهم واهانتهم والازدراء بهم كتوبيخهم وشتمهم وضربهم وتهديدهم والاستخفاف بأوامرهم . قال جلّ شأنه : « ومن ضرب أباه أو أمه يقتل قتلاً . ومن شتم أباه أو أمه يقتل قتلا » (خر ٢١ : ١٥) . وواضح أن فرض الله قتل من يضرب أباه أو أمه أو يشتمهما دليل قاطع على شدة كراهيته تعالى لمن يهين والديه بأى نوع من أنواع الاهانة .

قال أحد علماء الناموس (بما أن الوالدين نائبان عن الله فضارب أحدهما يُعدّ متعدياً على الله نفسه . كما أن لعنة أحدهما استهانة به تعالى لأنه اذا كانت اللاعنة تُطلب من الله كان لاعن والديه طالباً منه سبحانه أن يلعن نائبيه . وتلك جريمة فى أقصى حدود الفظاعة)

إن اكرام الوالدين واحترامهم كان ولم يزل من أوائل

صفات القداسة التى يطلبها الله فى الأبناء . ومن ثم أفتتح الوصية الخاصة باكرام والديهم بقوله تعالى : تكونون قديسين لانى قدوس الرب الهكم . تهابون كل انسان امه واباه (لا ١٩ : ٢ ، ٣) وقد لاحظ مفسرو الكتاب من تقديم الأم على الأب فى هذه الوصية حرصاً ومبالغة منه تعالى فى اكرام الأم . ذلك لانه عز شأنه يعلم أن الاولاد بمقتضى العادة يحبون الام ويخافون الأب ، فلئلا يفضى بهم ذلك الى اهانة الأم قُدمت اهابتها على اهابة الأب على أنها عانت فى رعايتها له ولقيت من المشقات فى سبيل تربيتها اياه ما يستدعى اكرامها واكبارها

ولقد كانت اهابة الأبناء لآبائهم بحسب رأى علماء الشريعة تقوم بأربعة أمور : —

(١) أن لا يقف الأولاد ويجلسوا فى موضع مفرز لوقوف والديهم أو جلوسهم (٢) أن لا يتعرضوا لتنفيذ أوامرهم أو مناقضتهم (٣) أن لا يدعوهم بأسمائهم بل يدعوهم بأبى وأمى أو سيدى وسيدتى (٤) أن يسمعوا

توبيخهم ويقبلوا تأديبهم بمنتهى الطاعة والخضوع — ومن ثم قال صاحب الأمثال : « يا ابنى اسمع تأديب أبيك ولا ترفض شريعة أمك لانها اكليل نعمة لرأسك وقلائد لعنقك » (ام ١ : ٨) وقال أيضاً : « العين المستهزئة بأبيها والمحتقرة اطاعة أمها تقورها غربان الوادى وتأكلها فراخ النسر » (ام ٣ : ١٧) وكفى ما لحق كنعان من اللعنة والعار زاجراً لمن يزدرى بوالديه ويستهزىء بهما (تك ٩:٢١ـ٢٥)

ولقد قلت فى فاتحة هذه الوصية إنها وان كانت تتعلق بواجبات الابناء من نحو آبائهم بنوع أخص فانها تتعلق بواجبات الناس من نحو بعضهم بنوع أعم . ومن ثم يلحق بها .

(١) اكرام الشيوخ : لكبرهم فى السن واختبارهم لأن عند الشيب حكمة وطول الأيام فهم . قال جلّ شأنه : «من أمام الأشيب تقوم وتحترم وجه الشيخ» (لا ١٩:٣٢) وقد علق صاحب كتاب السنن القويم على شرحه لهذه الآية بقوله : « ولا يزال اليهود المراعين الشريعة الى هذا

اليوم يعتنون باكرام الشيوخ فاذا دخل طاعن بالسن بيتاً قام له كل من فيه من الشبان ولا يجلسون إلا بعد أن يجلس ويأمرهم بالجلوس »

ومما دلّ على احترام الشيوخ فى نظره تعالى وصية بولس الرسول لتيموثاوس بأن يعاملهم بلين ورفق كأنهم آباء اذا دعت الضرورة لتوبيخهم بقوله : « لا تزجر شيخاً بل عظه كأب .... والعجائز كأمهات » (١ تى ٥ : ١) واذا كان من استحق الزجر من الشيوخ وجبت معاملته بمنتهى الاحترام رغم ما به من عيب ونقص فكيف يكون احترام الشيوخ الذين لا عيب فيهم

(٢) اكرام الكهنة والرعاة : لانهم يلدوننا روحياً بالكرازة ويربوننا تربية مسيحية صالحة ثم يسهرون فى الصلاة عنا . قال بولس الرسول : « أما الشيوخ المدبرون حسناً فليحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة ولا سيما الذين يتعبون فى الكلمة والتعليم » (١ تى ٥ : ١٤) وقال أيضاً : « أطيعوا مرشديكم واخضعوا لانهم يسهرون لاجل نفوسكم كأنهم سوف

يعطون حساباً لكى يفعلوا ذلك بفرح لا آنين لان هذا غير نافع لكم » (عب ١٣ : ١٧) وقال بطرس الرسول « كذلك أيها الاحداث اخضعوا للشيوخ (أى الكهنة) » (١ بط ٥ : ٥)

(٣) اكرام الزوجين لبعضهما : ويقوم ذلك بالمحافظة على عهد الزوجية بمنتهى الامانة مع الطاعة القلبية والمحبة الخالصة . ولقد وضع بولس الرسول نموذجاً صالحاً لهذه الكرامة المتبادلة بقوله : « أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب . أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح الكنيسة » (أف ٥ : ٢٢ ، كو ٤ : ١٨)

(٤) اكرام الحكام والولاة : ويقوم ذلك بتأدية الجباية والجزية وتوقير أشخاصهم وأطاعة أوامرهم وعدم التمرد عليهم لاننا بذلك نكون قد أطعنا الله الذى قلدهم الاهتمام بأمور الجمهور وأقامهم خدمة لسلطانه إلا فيما غاير شريعته تعالى وكان غير جائز فى حد ذاته . قال بطرس الرسول : « فاخضعوا لكل ترتيب بشرى من أجل الرب إن كان للملك فكمن هو فوق الكل أو للولاة فكمرسلين منه

للانتقام من فاعلى الشر وللمدح لفاعلى الخير » (١ بط ٢ : ١٣) وقال بولس الرسول : « لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة لانه ليس سلطان إلا من الله والسلاطين الكائنة هى مرتبة من الله » (رو ١٣ : ١) وهنا يجب على الحكام والولاة أن لا يتجبروا على رعاياهم فيستهينوا بهم أو يذلوهم بل يعاملوهم بمنتهى العدل والانصاف

(٥) اكرام المسودين للسادة : ويقوم ذلك من جانب المسودين بالامانة والاخلاص فى العمل . ومن جانب السادة بالمعاملة الطيبة والأجر العادل ، وأن لا يكلفوهم أعمالاً شاقة . قال بولس الرسول : « أيها العبيد أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة فى بساطة قلوبكم كما للمسيح لا بخدمة العين كمن يرضى الناس بل كعبيد المسيح عاملين مشيئة الله من القلب خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس عالمين انه مهما عمل كل واحد من الخير فذلك يناله من الرب عبداً كان أم حراً . وانتم أيها السادة افعلوا لهم هذه الأمور تاركين التهديد عالمين أن سيدكم انتم أيضاً فى

السموات وليس عنـده محاباة » (اف ٦ : ٥ — ٩) وقال بطرس الرسول : « أيها الخدام كونوا خاضعين بكل هيبة للسادة ليس للصالحين المترفقين فقط بل للعنفاء أيضاً » (١ بط ٢ : ١٨)

(٦) اكرام التلاميذ لمعلميهم : ويقوم ذلك ببذل الحب لهم والطاعة لأوامرهم لما لهم من السيادة عليهم والاهتمام بشؤونهم . وكفى أنهم هم أساس آدابهم . وركن سجاياهم . ومبادىء معارفهم . وزارعو بذور الفضيلة فى أنفسهم منذ نعومة اظفارهم فصاروا بذلك جديرين باكبارهم واجلالهم. أما اذا أهانوهم أو ثلبوهم أو سخروا بهم أو أساءوا اليهم. فقد أخطأوا خطأ فظيعاً . وهنا يجب على المعلمين أن يهتموا ببث روح الفضيلة والاخلاق الكريمة فى نفوس تلاميذهم .

(٧) اكرام الوالدين لابنائهم : ويقوم ذلك بتربيتهم التربية الصالحة . والاهتمام بسائر شؤونهم الروحية والجسدية وعقابهم بروح المحبة والوداعة اذا دعت الحال لذلك . لانهم هم المسؤولون عنهم أمام الله والانسانية مسؤولية رهيبة .

قال بولس الرسول : « وان كان أحد لا يعتنى بخاصته ولا سيما أهل بيته فقد أنكر الايمان وهو شر من غير المؤمنين » (١تى ٥ : ٨) وقال أيضاً : « أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم بل ربوهم بتأديب الرب وانذاره (اف ٦ : ٤) وقال سليمان الحكيم : « ربِّ الولد فى طريقه فتى شاخ لا يحيد عنه » (ام ٢٢ : ٦)

الخلاصة

ينتج مما ذكرناه فى شرح هذه الوصية أن الله تعالى رتب الناس فى منازل ودرجات متفاوتة . ثم استحسن حسب رأى مسرته وحكمته أن يُجرى حكمه فيهم بواسطة بعضهم بعضاً . وبما أنه هو جلّ شأنه مصدر كل سلطة فى العالم فالوالدون ورؤساء الدين والحكام السياسيون هم نوابه تعالى . فمن رام من الابناء اطالة حياته اكرم والديه . ومن طلب رضى الحاكم خضع له . ومن أحب النجاة من العقاب حفظ الشريعة . ومن رغب فى الصيت الحسن دنيا وأخرى افرغ مجهوده فى الاستقامة (١بط ٢ : ١٣ — ١٥)

الفصل السادس

فى

(٦) الوصية السادسة

« لا تقتل » (خر ٢٠ : ١٣)

هذه الوصية هى احدى الوصايا الطبيعية التى حتم الله تعالى على نوح وجوب رعايتها قبل نزولها على يدى نبيه موسى بقوله : « وأطلب أنا دمكم لا نفسكم فقط من يد كل حيوان أطلبه ومن يد كل انسان أطلب نفس الانسان من يد الانسان اخيه سافك دم الانسان بالانسان يسفك دمه » (تك ٩ : ٥)

وهذه الوصية تنهى : —

(١) عن اتلاف الانسان حياته وحياة غيره من البشر

(٢) عن كل شى مؤذ ومضر بصحة الانسان وراحته

وراحة الآخرين بلا مبرر كالجرح واتلاف بعض الأعضاء وافسادها . ذلك لأن الانسان لم يحصل على حياته من تلقاء ذاته بل من الله جل شأنه الذى له الحق وحده فى ارجاعها متى طلبها . ومن ثم كان من أتلف حياته أو أضرها فقد تعدى على حقوق الله وحقوق الجماعة التى هو فرد منها

ولما كانت هذه الوصية من الوصايا الخطيره التى تستدعى دقة الشرح والبيان، وجب البحث فى الامور الآتية وهى (١) الاعمال الداخلة فى دائرة القتل (٢) ما تحرمه الشريعة من أنواع القتل (٣) ما تبيحه منها

اولاً : الاعمال الداخلة فى دائرة القتل

لقد ضيق مفسرو الشريعة اليهودية دائرة حكم هذه الوصية حيث اعتبروا القاتل هو من قتل عمداً وفعلا . أما ربنا يسوع المسيح فقد وسّع دائرتها بعدم اعتباره العمل الخارجى فقط بل بلغ الى النيات الشريرة التى منها ينتج القتل ، لان الأفعال الداخلى فى نظر الله كالعمل الخارجى لانه يقود طبعاً الى القتل . ومن ثم كان الحقد والبغضة

والحسد وحب الانتقام وقطع معاش الغير بلا مبرر ، وأمثال هذه الرذائل داخلة ضمن دائرة القتل لان صاحبها يعتبر قاتلا حكماً وان لم يقتل فعلاً (راجع مت ٥:٢٢ ، ١يو ٣:١٥)

ثانياً : ما تحرمه الشريعة من أنواع القتل

ان كل الشرائع على اختلاف أنواعها تحرم القتل تحريماً كاملا . وان العقل والضمير يدلان على أن تلك الشريعة ثبتت عند الناس من أقدم العصور حتى الذين ليس لهم شرائع من طبقات البشر المنحطة ، فان تحريم القتل كان ولم يزل مسطوراً على قلوبهم ومرسوماً على شفاههم . لأن حفظ الحياة وصيانتها من العبث بها من أول غايات الانسان الطبيعية . ومن ثم كان القتل على اختلاف أنواعه من الكبائر القطيعة التي لا يجوز للانسان أن يشتهيها لنفسه أو لغيره بحال من الأحوال

وشر أنواع القتل هي : —

(١) الانتحار . وهو قتل الانسان نفسه . وقد يعتبره بعض الناس موتاً شريفاً غير أنه من شر الجرائم وأقبحها .

بل هو كفر وألحاد لأن من أقدم عليه لا يؤمن بوجود الله واليوم الأخير . وإلا لما تجاسر أن ينقل ذاته الى الدار الأخيرة بدون ارادة الله .

قد يقامر المنتحرون بحياتهم بغية الراحة مما أصابهم من أتعاب الحياة . ولكن بئس العمل عملهم . لأن القبر ليس ملجأ اليائسين . ولو درى المنتحرون أن قطع أحد الأعضاء لخير روحى أو للنجاة من الخطيئة حتى انهاك الجسم الذى يؤدى الى تقصير العمر عن طريق الأعمال الصالحة — كل هذه مكروهة وغير محللة فى نظر الله — لما أقدموا على الانتحار وهو شر ما فعله الانسان بنفسه . لأن الله لم يسلط انساناً على حياة نفسه بل أبقى هذا الحق لسلطانه الالهى . وان الانسان لا حق له فى حياته إلا على وجه الاستعمال الاستثمارى فقط أى حق الانتفاع

قال احد علماء الكتاب (الانتحار خطية عظمى (١) لأن أجل الحياة معين من الله ومن يقتل ذاته يتعدى على مقاصده تعالى (٢) لأن على كل امرىء شيئاً

من العمل أو من احتماله المشقات ومن يقتل ذاته يستعفى مما يطلبه الله منه (٣) لأن الانتحار جبانة وكثيراً ما يحمل المنتحر غيره الاتعاب التى هرب منها (٤) لأن الانتحار كفر فلو آمن المرء بوجود الله ومجازاته الاشرار لما تجاسر أن ينقل ذاته الى الآخرة دون ارادة الله)

غير أنه لا حرج على من يعرض نفسه لخطر القتل دفاعاً عن الدين والوطن وصيانة للعفة ولو علم أن موته فى ذلك محقق .

(٢) قتل البرىء : لا يحل لأحد ولوكان ملكاً أن يقتل بريئاً سواء أكان لبغيـة الحصول على خير عمومى أو لراحة مريض لا يرجى شفاؤه . أو لأى سبب آخر أياً كان نوعه فالقتل محظور على كل حال لأن الله نهى عنه نهياً تاماً وتوعد من يأتيه بقصاص مريع بقوله « لا تقتـل البرىء والبار لأنى لا ابرر المذنب » (خر ٢٣ : ٧) ثم أوجب قتل القاتل ولو استجار بمذبحه تعالى بقوله « واذا بغى انسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحى تأخذه للموت »

(خر ٢١ : ١٤) انظر أيضاً (ام ١ : ١٠ و ١٥)

(٣) قتل الغير ولو مجرماً : لأن الله جل شأنه لم يقلد سائر الناس هذا السلطان بل خصه بمن يتولى سياسة أمرهم كالحاكم المدنى . ومن ثم اذا فرّ المجرم المحكوم عليه بالقتل من أيدى الجنود فليس لهم أن يقتلوه إلا إذا أذن لهم الحاكم بقتله

(٤) الاجهاض أو الاسقاط : وهو اخراج الجنين من بطن أمه قبل تمام المدة الطبيعية لسبب ما . قصداً أو ضمناً. إن الشريعة لتعتبر الاجهاض قتلاً حقيقياً ولو كان الحمل لم يتنفس بعد . لأنه وان لم يتنفس فهو مستعد لأن يكون انساناً تاماً لو جاز التطور الذى يجعله قابل الحياة . فمن أسقطه أخطأ وعُد قاتلاً بلا محالة . ومن ثم كانت التقاليد اليهودية تشدد فى العقاب حتى الموت على كل من سبب الاجهاض لحامل بعداواته الرديئة أو بأسباب مختلفة

قد يقدم البعض على الاجهاض بلا مبالاة لزعمهم أنه

يكون فى ظروف خاصة سبباً فى ستر الخطيئة وتغطيتها . على أنه فى الواقع يزيد الخطيئة قباحة وشراً إذ يصيرها مزدوجة .

ثالثاً ما تبيحه الشريعة من أنواع القتل

لقد حللت الشريعة أنواعاً من القتل . ثم أعفت ذويها من القصاص أيضاً دنيا وأخرى . ذلك لانها وان كانت هذه الأنواع قتلاً فى ظاهرها إلا أنها تؤول فى حقيقتها الى صيانة الحياة وحفظها . وذلك هو علة اباحتها . أما تلك الأنواع فهى : —

(١) المدافعة عن النفس والعفة . انه لما كان لكل انسان حق فى حماية حياته أو عفته ممن يرغب انتزاعها منه جوراً كان له أن يصونها بأى وسيلة كانت ولو بقتل المهاجم عليه لان دفع القوة بالقوة جائز بشرط أن لا يكون هناك وسيلة للنجاة من يد عدوه غير هذه الوسيلة . وإلا كان ذلك أثماً فظيعاً يستحق فاعله القصاص لعدم وجود ضرورة تبيحه وتوجبه . قال صاحب المجموع الصفوى ص ٣٩٩ (ولا

جناح أيضاً على الذى يقتل من يتهجم عليه اذا كان للحذر على حياته)

غير أنه لا يجوز قتل المهاجم بعد اتمام فعله لأن ذلك يكون من قبيل الأخذ بالثأر لا من قبيل المدافعة عن النفس

(٢) الحرب : لما كانت الحرب من الوسائط الضرورية لقيام مصالح الاجتماع الانسانى ودفع ما يعطلها ويفسدها لذلك أُبيح القتل فيها استناداً على النصوص الآلهية والاجماع (عد ٢٥ : ١٦ ، تث ٢ : ٢٤) بشرط أن تكون لسبب عادل حق سواء أكان لصد المغيرين على البلاد . أو لقهر العصاة من الرعية . أو الى غير ذلك من الأسباب الصحيحة الهامة التى من شأنها أن تعمل على اقلاق راحة العباد وزعزعة أركان السلام العام الذى عليه تتوقف المتعة بالحياة . وإلاّ كان مثيرها واقعاً تحت مسؤولية رهيبة أمام الله ، ومطالباً بتلك الدماء البريئة التى تهدر بلا مبرر اللهمّ إلاّ لمجرد اشباع المطامع الدنياوية . ومن ثم رجّح اكثر علماء

الكتاب أن علة حرمان داود الملك من شرف بناء بيت الله هو تطرفه فى اثارة حروب شتى بعضها لم تدع الضرورة اليها حيث أنه لم يكن مطلوباً منه سوى اثارة الحروب اللازمة لاجل تثبيت مملكته (راجع ١ اى ٢٢ : ٨)

(٣) قتل القاتل : لقد صرّح الله جل شأنه فى كتابه بقتل من أتلف حياة غيره عمداً بقوله « ولكن اذا كان انسان مبغضاً لصاحبه فكمن له وقام عليه وضربه ضربة قاتلة فمات. يرسل شيوخ مدينته ويأخذونه . ويدفعونه الى يد ولى الدم فيموت . لا تشفق عينك عليه . نفس بنفس » (تث ١٩ : ١١ ـ ٢١) ومن ثم لا حرج على القاضى اذا حكم على من اقترف هذا الجرم بالاعدام

الخلاصة

حيث أنه ثبت مما تقدم من الأدلة الكتابية والعقلية أن القتل بوجه عام، إلا فى أحوال خاصة، هو خطية مميتة . وان الحياة من أجلّ بركات الله ونعمه على الانسان فيلزمه

أن يحرص عليها لأن عدم الحرص على الحياة ضرب من نزعها وبالأولى لا يحل له أن يتعدى على حياته وحياة غيره فيتلفها لأن من فعل ذلك فقد تعدى على سلطة الله وعلى حق الجماعة التى هو فرد منها ثم عرّض نفسه لقصاص سريع ؟

الفصل السابع

فى

(٧) الوصية السابعة

« لا تزن » (خر ٢٠ : ١٤)

هذه هى الوصية السابعة من وصايا اللوح الثانى وهى تنهى عن الزنى وعن كل فروعه وأنواعه. كما أنها تنهى عن

الكلام السفيه والهزل والمغازلة والملاعب الغير اللائقة، ذلك لأن الطهارة اكرام للروح والجسد . أما النجاسة فهى ذل وضعة وعبودية للأهواء الفاسدة . وسيادة العقل والضمير على الشهوات مما يليق بمن خُلق على صورة الله ومثاله .

وقد كان علماء الناموس يعتقدون أن المتعدى على هذه الوصية هو مَن زنى فعلاً . أما ربنا يسوع المسيح فاعتبر جوهر التعدى على هذه الوصية فى قصد الانسان وميله بقوله « من نظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه » (مت٥ : ٢٧) وبذلك أثبت أن مجرد النظر لمطاوعة الافكار والأهواء الدنسة يُعتبر تعدياً على هذه الوصية . لأن الأفكار الدنسة تدنس الانسان كالفعل نفسه . ومن ثم لا تطلب الشريعة الطهارة الخارجية فقط بل الداخلية أيضاً . لأن النجاسة سواء أكانت داخلية أم خارجية لا تسمح بها الشرائع السمائية ولا يوافق عليها العقل ولا تجيزها قوانين الصحة حيث لا ينتج منها سوى الشقاء والتعاسة دنيا وأخرى

قد يتعدى المرء على هذه الوصية بدافع الميل الغريزى الذى يتخذه ذريعة لقضاء وطره . ولكن لو علم أن غريزة الميل التناسلى لم يوجدها الله سبحانه وتعالى فى طبيعة الانسان إلا لاحراز النسل وتخليف الذرية وهى الغاية التى كان يجب عليه أن يوجه اليها أفكاره لما أتى ذلك المنكر الشنيع الذى قد يعرضه لعقاب الله وقصاصه المريع . لأن كل زانٍ ونجس ليس له ميراث فى السماء بل نصيبه فى جهنم النار وبئس القرار

قال الوحى الآلهى : وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الاوثان وجميع الكذبة فنصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذى هو الموت الثانى (رؤ ٢١ : ٨) وقال : « لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعو ذكور يرثون ملكوت الله » (١ كو ٦ : ٩) وقال : « وأعمال الجسد ظاهرة التى هى زنا عهارة نجاسة دعارة . وأمثال هذه التى أسبق فأقول لكم عنها كما سبقت فقلت أيضاً ان الذين

يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله » (غل ٥ : ١٩)

ملاحظة : (المراد بالعهارة والدعارة اللمس القبيح والجس الردىء والنظر المنحرف . والمراد بالنجاسة كل ما ينجس الانسان ضد الطبع كالاستمناء . ذلك الجرم الفظيع الذى يخطو بذويه كل يوم خطوة نحو أبواب اللحد وهنالك ينطفىء مصباح حياتهم فى حالتى الهزال الجسمى والبله العقلى)

ان التعدى على هذه الوصية لا يجلب على ذويه غضب الله وسخطه دنيا وأخرى فحسب . بل يجر على المجتمع الانسانى نكبات وويلات لا حد لها واليك بعضها : —

(١) إن التعدى على هذه الوصية يحمل المرء على أن يقصر فى أمر الزواج كل التقصير . بل يحمله على تركه ونسيانه . والزواج كما لا يخفى هو أعظم عمل من أعمال الله العجيبة . وأول باعث على دوام الجنس البشرى فى عالم الأحياء . بل هو الوسيلة الوحيدة لتنكب طرق الفساد وتجنبها . والداعى الاكبر لتعديل الشهوات وتلطيف حدتها . كما أنه هو الواقى للأخلاق النبيلة من التسفل

والابتذال. فتركه واهماله جريمة عظمى ضد الاجتماع الانسانى من جهة والأسرة من الجهة الاخرى . اذ هو يقلب نظام الاجتماع ويفسده وينزع سعادة الأسرة ويلاشيها

قال أحد علماء الكتاب « ان الزنى عدو أهل البيت وشر ما ينشأ فيه من المعاصى وقاطع علاقات الزواج الطاهر ومتلف اتحاد الزوجين وهادم أركان الترتيب الاجتماعى »

(٢) يتلف صحة الانسان ويدهورها الى حد مروع ويجعله يستعد لشيخوخة باكرة مكللة بالأدواء الخطيرة والأمراض الوبيلة التى يبتلى بها الجسم وتتنغص الحياة . وما كان أغناه عن ذلك البلاء لو صان نفسه عن غشيان مواطن الدعارة ومواخير الفساد

(٣) يهدم كيان الأخلاق ويفسدها . لان الفسق هو المورد العكر لجميع الرذائل . ومنبع لسائر ضروب السفالة والدناءة . وأن انتشاره بين طبقات الأمة رمز انحطاطها وسقوطها أدبياً . ولا سيما المرأة لأن العفة زينتها الخاصة ولأن خلوها منها يُحسب شراً من خلو الرجل منها . لأن

دناءة المرأة أوضح برهان على الدناءة العامة إذ أنهـا هى ،
آخر من تفسد أخلاقه وتفقد عفته

(٤) يقود الى أخطاء وجرائم شتى ذات نتائج مخزية محزنة كالسفالة والدناءة . والدناءة تقود الى الخداع . والخداع يقود الى القتل . والقتل يورث الشقاء . والشقاء ينسى ذويه كل لذة فى الحياة . لأن هذه الخطيئة خادعة قد يرى فيهـا الخاطىء حلاوة ولكنه بعد ارتكابها يعرف شدة مرارتها

قال أحد الشعراء :

ولذة ساعـة ذهبت وولت

وأبقت بعدها حسرات دهر

وخير مثال على ذلك داود الملك العظيم فانه بعد أن وصل الى ذروة المجد والعظمة عاد الدهر على أثر سقوطه فى هذه الخطيئة وقلب له ظهر المجن . فانتابته مصائب وبلايا متتابعة . إذ لم يكن مناص من اجتناء الثمرة الطبيعية التى لا مهرب منهـا وهى « أن الشهوة اذا حبلت تلد خطيئة والخطيئة اذا كملت تنتج موتاً » (يع ١ : ١٥)

(٥) يتبين من تقديم ربنا له المجد هذه الوصية على وصية القتل خلافاً لترتيب الوصايا الطبيعي أن مخالفة هاتين الوصيتين متعادلة في الجرم . وأن التعدى على العرض كالتعدى على الحياة . وأن من يدنس الجسم كمن يقتله (راجع مر ١٠ : ١٩)

وللنجاة من التعدى على هذه الوصية واطفاء جذوة الشهوة وحدتها . وصيرورة النفس أعظم طهراً وأكثر جمالاً وأشد قوة ومراساً لمقاومة تلك التجربة المهلكة يجب استعمال الوسائط التى أقرها العلم وأيدها الاختبار وشهد لها كتاب الله بانها خير واقٍ من شر هذا الرجس العظيم

أما تلك الوسائط فهى : —

(١) بما أن الانسان ذو طبيعة فاسدة ساقطة . وأن طبيعته الفاسدة أقوى من ارادته الصالحة باعتبار ميله الى المحظورات وشهوة جسده التى تستهويه الى الوقوع فى شرك هذه الرذيلة المنكرة ، فيحتاج الى مطالعة كلام الله يومياً لأنها هى التى تهديه الطريق المستقيم وتهذب عواطفه

وتكبيح شهواته وتساعده على تسليم نفسه وجسده لنعمته تعالى مع مداومة الصلاة والطلبة قبل التجربة لئلا تدهمه، وفى حين التجربة لئلا تغلبه وقائلا مع صاحب المزمور « قلباً نقياً اخلق فىّ يا الله وروحاً مستقيماً جدد فى داخلى » (مز ٥١ : ١٠)

قال القديس اغسطينوس « ان حرب الشهوة تلازمنا مدى حياتنا ولا نستطيع مدافعة ثوراتها ومقاومة حركاتها إلا بالصلاة وسماع كلام الله »

قال القديس يوحنا فم الذهب « إنه ينبغى لمن يروم الانتصار على هجوم الأفكار الدنسة أن يكون كانسان حامل بشماله ناراً وبيمينه ماءً حتى اذا اضطرمت النار يطفئها حالاً بالماء أى اذا اضطرمت فيه نيران الشهوة بادر الى اطفائها بماء الصلاة »

(٢) أن يحصن عينه من النظر المنحرف لأن العين ترى فيشتهى القلب فيخطىء الجسد . ومن ثم كان النظر القبيح هو الخطوة الأولى فى هذه الخطيئة والباب الرحب المؤدى

اليها . ومن هنالك ينحدر الى تلك الهوة الجهنمية منقاداً باشتعال الشهوة التى تحمله على ركوب متن الخطأ كرهاً وقسراً .

(٣) يلزمه أن يُقصى عن مخيلته الأفكار المهيجة والأميال الجنسية وكل موضوع يخل بالعفاف . لأن التذكارات الشهوانية المقيمة فى الذاكرة دائماً هى جرثومة تلك الخطيئة وعلتها .

وبما أن الخطيئة الفكرية تسبق الخطيئة الفعلية فعلى كل انسان أن يحفظ قلبه فوق كل تحفظ (ام ٤ : ٢٣) لأن من اعتاد الالتذاذ بالأفكار الرديئة دفعته الى اتيان الخطايا الفعلية

(٤) أن يتجنب رؤية التماثيل والصور العارية المتهتكة لأنها من أكبر المهيجات المؤثرة فى الرجال والنساء . ولا سيما الشبان والشابات الغير المتزوجين . لأن الجسد وهن ضعيف لا ينفك شاعراً بهذه الشهوة التى تستعطفه الى الخطأ

فكيف بمن هم ضعيفو الطبع والمزاج والذين لا قبل لهم على مقاومة شوكة الشهوة وكسر حدتها.

(٥) أن يبتعد عن سماع الأغانى السمجة التى تكدر نضارة الطهارة وتعكر صفاء الضمائر . كما أنه يجب أن يكون بمعزل عن قراءة الكتب والروايات السامة التى خطتها الأقلام القذرة . وجادت بها فى مضمار الشر القرائح الدنسة الغير المتورعة فى استنباط أحط الالفاظ والعبارات التى لغلاظة شرها وخبثها تثير حدة الشهوة وتزكى نارها وتجنى على النفوس البريئة الغافلة أفظع جناية لأنها ترغمها على الاحساس بثورات الشهوة وتهيجاتها ثم تتركها وهى ليس فى مقدورها أن تفلت من شرها وأسرها فتخسر أثمن وأجلّ ما ملكت فى الحياة.

(٦) أن لا يتحادث مع الذين يميلون الى الهجر من الكلام بالألفاظ المؤذية بالطهارة ولا سيما اذا قُصد بها اللذة التى يشعر بها المتكلم من الافتكار فى مدلولات هذه الألفاظ النجسة ، لأن الألفاظ تبين صفات القلب . والله

يحاسب عليها كما يحاسب على الافعال (مت ١٢ : ٣٦) ومن ثم قال صاحب المزمور «اجعل يا رب حارساً لفمي احفظ يا رب شفتي» (مز ١٤١:٣) وقال بولس الرسول . « ليكن كلامكم كل حين بنعمة مصلحاً بملح » (كو ٤ : ٦ و اف ٤ : ٢٩)

(٧) أن يمتنع الجنسان عن مخالطتهما لبعض على انفراد لانه اذا تحادث شاب مع فتاة منفردين بعبارات رقيقة لينة خصوصاً في إبان العمر وسن الزواج تيقظت فيهما الغريزة التناسلية وسعى كل منهما مجتهداً في قضائها وهيهات اذا نجوا من شرها . لأن الميل بين الجنسين كناموس الجاذبية بين الأجسام

قال أحد القديسين « لا تجلس وحدك مع امرأة ولا تقابلها على انفراد دون حضور أحد معك »

وقال آخر « تحاشَ ما ساء من الأفكار والنظر والمكالمات والمعاشرات تعش طاهراً . لأن هذه المادة إن هي إلا طريق زلل من كل جهة فكلما سلكه الانسان زلق

متورطاً فى أقذاره . أو هى كنار ملتهبة شأن كل شرارة منها وان كانت يسيرة أن تأتى فى الغالب بحرق عظيم . فعليك بالفرار هارباً ليس من الأسباب القريبة فقط بل من البعيدة أيضاً »

(٨) ثامناً وأخيراً اذا غُلب أحد لضعفه واستسلامه لغريزته الجنسية فسقط فى هذه الخطيئة فليبادر بالاعتراف بها . لأن الاعتراف أحسن دواء لهذا الداء القاتل . غير يائس من مراحم الله وغفرانه ذاكراً داود النبى الذى صار سقوطه فى هذه الخطيئة بمنزلة دواء . وغرقه بمنزلة الميناء لسائر الاجيال المتقدمة والمتأخرة

الخلاصة

حيث انه ثبت من الأدلة المتقدمة أن هذه الخطيئة من أقبح الخطايا وأسفلها وأكثرها شراً وضرراً ومن أستسلم لسلطانها فسد عقله وأدبه وانحدرت روحه وجسمه الى الهوة الجهنمية لذلك يلزم من رام النجاة من حبائلها المهلكة وعواقبها

السيئة أن يضرع اليه تعالى ليمن عليه بالوسائط الواقية منها . وأخصها فعل روحه القدوس فى القلب . ثم الحياء من الناس . والخوف من العواقب قبل الاقتراب منها . والندامة الصحيحة بعد الوقوع فيها ؟



الفصل الثامن

فى

(٨) الوصية الثامنة

« لا تسرق » (خر ٢٠ : ١٥)

هذه هى الوصية الثامنة وهى تنهى عن السرقة أى سلب مال الغير خفية وبلا رضاه ، ثم تأمر برده له بالفعل كاملاً بعينه أو قيمته عند الامكان . أو بالنية وقت عدم

المقدرة على رده «١»

ويقال للسرقة إنها بالبساطة إن وقعت خفية، وخطف إن وقعت جهراً ورغماً

وكما أن هذه الوصية تنهانا عن سرقة الآخرين هكذا تنهانا عن سرقة أنفسنا أيضاً، وذلك بصرف أموالنا فى الاشياء المحرمة أو التى لا قيمة لها. لأن الاسراف والانفاق فى غير الحاجة ولو فى الامور الزهيدة يعتبر خيانة وسرقة فى نظر الشريعة

والسرقة بكافة أنواعها اثم كبير لأن مرتكبها يُذنب الى الله سبحانه وتعالى الذى أوصى قائلاً « لا تسرق » والى القريب الذى له الحق أن يتمتع بما قسم له بدون تعدٍ عليه. كما أنها تبلبل نظام الطبيعة وتسلب راحة الناس وتعمل على إهلاك أنفس السارقين. ومن ثم حذرنا الكتاب منها تحذيراً رهيباً بقوله «ولا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون

---

(١) يلزم السارق لا أن يرد المسروق فقط بل يلزمه أيضاً تعويض صاحبه عن كل ما فاته من الربح

ولا شاتمون ولا ظالمون يرثون ملكوت السموات »
(١ كو ٦ : ١٠)

قد يتوهم ضعيفو الاحلام الذين تخدعهم الظواهر أن السرقة والسلب والخطف والمخاتلة والخداع والغش تساعد ذويها على أن يعيشوا فى بسطة من العيش لأنها تدر عليهم ارزاقاً وأرباحاً شتى بخلاف الأمانة والحق والصدق فانها تجعل المتمسكين بها يعيشون فى ضيق وضنك . ومن ثم يسلكون كل طريق ويطرقون كل باب أياً كان نوعه فى سبيل الحصول على المال و الاثراء . قائلين بلسان حالهم ما قاله صاحب الامثال : « المياة المسروقة حلوة وخبز الخفية لذيذ » (ام ٩ : ١٧) وهم ولا شك خاطئون فى ذلك ضالون سواء السبيل . لان القليل من الحلال خير من الكثير بالحرام . لان الأول ينمو ويزداد ويدوم ويبقى . بينما الثانى ينقص ويضعف ويزول ويفنى .

قال الكتاب عن النوع الأول « القليل مع العدل خير من دخل جزيل بغير حق » (ام ١٦ : ٨ و ١٠ : ٢٢)

وقال عن النوع الثانى : « جمع الكنوز بلسان كاذب هو بخار مطرود لطالبى الموت » (ام ٢١ : ٦ ، ٢٢ : ٢٢)

قال أحد علماء الكتاب (ان من شاء أن يغتنى ويعمر له بيتاً من الحرام فالرزق يصرخ نحو صاحبه ويطير من بين يدى السارق وينتقل الى آخر . إما بموت السارق أو بفقره فلا يبقى له إلاّ سواد الوجه والعار . ومَثله مَثل من يتناول طعاماً مسموماً فيستفرغ كل ما فى احشائه من جيد ورديء . وعنه قال أيوب الصديق « قد بلع ثروة فيتقيأها . الله يطردها من بطنه . لانه رفض المساكين وتركهم، واغتصب بيتاً ولم يبنه » (اى ٢٠ : ١٩)

هذا فضلاً عن أنَ الخيرات التى يحصل عليها صاحبها بالطرق والوسائل الغير المشروعة لا يسعد بها ولا يهنأ . بل كثيراً ما تجلب له اضطراب الضمير وعناء الروح وقلق الفكر . قال الكتاب « المولع بالكسب يكدر بيته والكاره الهدايا يعيش » (ام ١٥ : ٢٧)

وللسرقة أنواع شتى أشهرها :—

(١) البيع والشراء بموازين ومكاييل غير صحيحة
(٢) عدم ردِ الضائع (اللقطة) إلى ذويه
(٣) عدم اعطاء الايجار وأجرة الأجير
(٤) عدم رد السلف
(٥) عدم رد الرهن
(٦) نقل التخوم أو الحدود القديمة .

أولا ـ البيع والشراء بموازين ومكاييل غير صحيحة .
أى الأخذ بالكبير والاعطاء بالصغير

لقد نهى الله سبحانه وتعالى عن المخادعة والغش فى البيع والشراء بقوله : موازين غش مكرهة الرب والوزن الصحيح رضاه . لا يكن لك فى كسيك أوزان مختلفة كبيرة وصغيرة . لا يكن لك فى بيتك مكاييل مختلفة كبيرة وصغيرة . وزن صحيح وحق يكون لك . ومكيال صحيح وحق يكون لك . لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك لأن كل من عمل ذلك كل من عمل

غشاً مكروه لدى الرب إلهك (ا م ١١ : ١ ، تث ٢٥ : ١٣) ذلك لأنه هو جلّ شأنه الذى اختار القياس والوزن والكيل كأنه هو واضع المقياس والميزان وأدوات الكيل . ومن ثم كان الوزن الصحيح يرضيه والمغشوش يغضبه . وقال أيضاً : « لا ترتكبوا جوراً فى القضاء لا فى القياس ولا فى الوزن ولا فى الكيل . ميزان حق ووزنات حق وايفة حق وهين حق تكون لكم » (لا ١٩ : ٣٥) ويؤخذ من هذا النص أن الجور فى القياس والوزن كالجور فى القضاء . والجامع بينهما اضاعة الحقوق . ولما كانت اضاعة الحقوق من الامور المكروهة لدى الله أخذ الموزون به من النحاس أو الحديد أو الرصاص أو غيرها من المعادن تفادياً من غضبه تعالى وحرصاً على إعطاء كل ذى حق حقه

ويدخل فى هذا الباب المصكوكات والأوراق المالية المزيفة فان حكمها كحكم الموازين والمكاييل الغير الصحيحة

ثانياً — عدم رد الضائع (اللقطة) إلى ذويه

اللقطة هى مال يوجد على الارض ولا يعرف له مالك

فمن أنكره بعد معرفة مالكه عُد سارقاً وخائناً ان لم يسلمه للحكومة

وقد اعتبرت الشريعة سارقاً من أنكر خمسة أمور وهى (الوديعة والامانة واللقطة والمسلوب والمغتصب) بقوله تعالى لموسى النبي « إذا أخطأ أحد وخان خيانة بالرب وجحد صاحبه وديعة أو أمانة أو مسلوباً أو اغتصب من صاحبه أو وجد لقطة وجحدها . يرد المسلوب الذى سلبه » الخ . (لا ٦ : ٢—٥)

أما (الوديعة) فهى المال يترك عند الامين. (والامانة) كالوديعة والفرق بينهما أن الوديعة هى الاستحفاظ قصداً والامانة هى الشيء الذى وقع فى يد الامين من غير قصد (والمسلوب) هو ما سُلب من مالكه بالحيلة ثم أنكر عليه . (والمغتصب) ما أخذ إجباراً ثم أنكر على صاحبه

وبما أن من أنكر واحدة من هذه الاشياء الخمسة يعد سارقاً وخائناً ومسيئاً الى الله نفسه لذا قضت الشريعة برد كلٍ من هذه الاشياء الخمسة بعينه إن كان باقياً أو قيمته

ان كان آخذه قد فقده أو تصرف فيه مع ما يعدل قيمة خمسه تعويضاً له عن خسارة الانتفاع به فى المدة التى مضت على فقدانه بقوله تعالى « فاذا أخطأ وأذنب يرد المسلوب الذى سلبه أو المغتصب الذى اغتصبه أو الوديعة التى أودعت عنده أو اللقطة التى وجدها يعوضه برأسه ويزيد عليه خمسه (لا ٦ : ٤)

ثالثاً — عدم إعطاء الايجار وأجرة الاجير

اذا استأجر أحد أرضاً أو بيتاً أو حانوتاً وغير ذلك فليدفع قيمة الايجار المتفق عليها دون أن يطمع فيها أو يحتال على اغتيالها أو تنقيصها بأى حيلة كانت وإلا كان سارقاً ولصاً وكذلك اذا استأجر عاملا يجب عليه أن يدفع له أجرته . كاملة غير منقوصة . لانه لا شىء يثير غضب الله وانتقامه كظلم الاجير وغصب أجرته . ومن ثم عدت هذه الخطيئة ضمن الخطايا الاربع الفظيعة التى تصرخ الى الله طالبة الانتقام السريع من مجترميها . وهى :

(١) القتل عمداً (٢) الزنا ضد الطبع (أى السادومية)

(٣) ظلم الفقير ومذلته لا سيما الايتام والارامل (٤) اغتيال اجرة الأجير (راجع تك ٤ : ١٠ و ١٨ : ٢١ ، خر ٣ : ٧ ، يع ٥ : ٤)

قال جل شأنه لبنى اسرائيل « لا تظلم أجيراً مسكيناً وفقيراً من اخوتك أو من الغرباء الذين فى أرضك فى أبوابك فى يومه تعطيه أجرته ولا تغرب عليها الشمس لأنه فقير واليها حامل نفسه لئلا يصرخ عليك الى الرب فتكون عليك خطيئة » (تث ٢٤ : ١٤) وقال يعقوب الرسول « هوذا أجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم المبخوسة منكم تصرخ وصياح الحصادين قد دخل الى اذنى رب الجنود » (يع ٥ : ٤)

أما صراخ هذه الخطايا فهو لفحشها وفرط فظاعتها. فكأنها لذلك تستغيث بالله الى تعجيل الانتقام من فاعلها والى انزال أشد القصاص به كما أصاب قايين وسكان سدوم وفرعون (انظر تك ٤ : ٨ ـ ١٦ و ١٩ : ٢٣ ـ ٢٦ ، خر ١٤ : ٢١ ـ ٣٠)

(رابعاً) عدم رد السلف

السلف ويقال له القرض وهو أن يقترض أحد الناس من آخر قدراً معلوماً من شيء ما ليسد به احتياجاته على أن يرده له كاملاً نوعاً وصفة

وبالرغم من أن الافتراض نوع من الاحسان ويجب على المقترض شرعاً وعرفاً أن يفي ما عليه من القرض في وقته المعين حتى تبرأ منه ذمته . فان كثيرين لا يعرفون لهذا الفضل قيمته فيماطلون مسوفين في ايفاء ما عليهم من الديون . وقد يبلغ الأمر بمن جبلوا على الخسة ودناءة الطبع الى نكران ما اقترضوه فيجازون الحسنة بالسيئة والمحبة بالعداء . وذلك شر عظيم لأنه من أقبح ضروب السرقة وأسفلها .

نعم أن ربنا له المجد قال « إقرضوا وأنتم لا ترجون شيئاً » (لو ٦ : ٣٥) غير أنه لم يقصد بذلك الجرى على هذا السنن حرفياً وابداً . بل قصد به المشابهة بالله جل شأنه في الرأفة وعمل الخير للجميع والامعان في المحبة الاخوية وعم

الى ترك ما لنا عليهم اذا كنا عليه قادرين وفى غنى عنه

(خامساً) عدم رد الرهن

قد يضطر الفقير لحاجته الى رهن شيء من أملاكه . فاذا وفى ما عليه وجب على المرتهن أن يرد ما ارتهنه منه. لا أن ينتهز فرصة فقر الراهن وضعفه ويغتال ما ارتهنه منه، لأن ذلك نوع من أنواع السرقة والاختلاس يستمطر غضب الله وسخطه بلا محالة . قال جل شأنه « ان ارتهنت ثوب صاحبك فالى غروب الشمس ترده له . لانه وحده غطاءه هو ثوبه لجلده فى ماذا ينام . فيكون اذا صرخ الىّ أنى اسمع لانى رؤوف » (خر ٢٢ : ٢٦ و٢٧)

(سادساً) نقل التخوم أو الحدود

ومن أنواع السرقة نقل التخوم أو الحدود القديمة . وهو أن يغيّر أحد الناس حد ملكه بان يؤخره لكى يدخل بعض ملك غيره فى ملكه . وذلك محرم شرعاً اللهم إلاّ اذا كان لعلة البيع والشراء أو الهبة . قال الكتاب «لا تنقل التخم القديم الذى وضعه آباؤك » (ام ٢٢:٢٧ ، تث ١٩:١٤)

الخلاصة

حيث أن لهذه الخطية علة واحدة فيحسن بنا أن ننبه فى خاتمة شرح هـذه الوصية الى تلك العلة وجرثومتهـا لنكون على حذر منها فننجو من شرها وويلها

أما تلك العلة فهى الطمع ومحبة المال . فلو خفف المرء من غلوائه فى محبة المادة واقتنع بما هو لازم له من القوت والـكسوة لما تورط فى هذا الشر الفظيع وجلب على نفسه ذلك البلاء المريع . قال الكتاب « لان محبة المال أصل لـكل الشرور الذى اذا ابتغاه قوم ضلوا عن الايمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة » (١ تى ٦ : ١٠)

وقد تجلت هـذه الحقيقة بأكمل معانيهـا فى يهوذا الاسخريوطى وحنانيا وامرأته . حيث أظلمت محبة المال عقل الأول فسقط فى فخ قاتل وتجربة مهلكة أنسته احسان ربه وفضله ، فسرق ما كان فى الصندوق ثم باع مولاه بيع عبد ، وختم هـذه المأساة بأن انتحر وهلك الى الأبد .

والآخران قادهما الطمع الى سرقة جزء من ثمن الحقل فكان ذلك وبالاً عليهما فعاجلتهما النقمة الالهية وماتا شر ميتة .

فلنحذر اذن من أن تخدعنا ظواهر السارقين الطامعين فى مال الغير لأن شبعهم جوع . وريهم عطش . وملئهم فراغ ؟



الفصل التاسع

فى

(٩) الوصية التاسعة

لا تشهد على قريبك شهادة زور » (خر ٢٠ : ١٦)

هذه هى الوصية التاسعة وهى ذات وجهين سالبة وموجبة : —

أما كونها سالبة فلأنها تنهى صراحة عن شهادة الزور وضمناً عن ثلم صيت القريب.

أما كونها موجبة فلأنها توجب ترك الكذب والوشاية . والنميمة والسعاية . والغيبة والبهت والشتم . والدينونة الباطلة . والظن الفاسد . واليمين الحانثة . واليك شرح كل منها.

(١) شهادة الزور : هى ما كان منها اساءة القريب وضرره . وذلك باخفاء الحقائق وكتمها عن القضاة والحكام وذوى السلطة ليقضوا بغير الصواب والعدل فتضيع حقوق هذا القريب وتمتهن كرامته ويثلم صيته ويسرق . وسرقة الصيت شر من سرقة المال لأن مرتكبها يضر غيره ولا ينفع نفسه . قال الكتاب « الصيت أفضل من الغنى العظيم » (ام ١٢ : ١)

ولقبح هذه الرذيلة التى تدل على الخبث وعدم الصدق والشرف والامانة حذرنا منها الوحى الالهى تحذيراً رهيباً.

بقوله : لا تضع يدك مع المنافق لتكون شاهد زور (خر ٢٣ : ١) شاهد الزور لا يتبرأ والمتكلم بالاكاذيب لا ينجو . من يتفوه بالحق يظهر العدل والشاهد الكاذب يظهر غشاً (ام ١٩ : ٥ و١٢ : ١٧)

(٢) الكذب : وهو الاخبار عن الشيء بخلاف الواقع مع العلم به . أو هو التكلم بخلاف ما في الضمير بنية الخداع .

وهو بكل أنواعه سواء قصد به المزاح أم الفائدة . وسواء كبر شره أو صغر بنسبة كبر وصغر الضرر الحاصل منه فهو شر باطني أبداً . بل هو عدو الانسانية الألد . لأن بواسطته يدخل الغش في المعاملات . والفساد في البيوت . والحلف الباطل . واغتيال الحقوق . والخيانة والتدليس . والنزاع والخصام . وكل أنواع الرذائل . فلو انتفى الكذب من العالم لانتفت معه سائر المعاصي والموبقات

وقد بين ربنا له المجد فظاعة الكذب وضرره بعدّه إياه مع القتل وصرح بأن مصدر كليهما الشيطان بقوله : ذاك كان قتالا للناس من البدء ولم يثبت في الحق لانه ليس فيه

حق متى تكلم بالكذب فانما يتكلم مما له لانه كذاب وأبو الكذاب (يو ٨ : ٤٤) قال صاحب الامثال : كراهة الرب شفتا كذب ـ أما العاملون بالعدل فرضاه (ا م ١٣ : ١١) قال بولس الرسول : لا تكذبوا بعضكم على بعض إذ خلعتم الانسان العتيق مع أعماله (كو ٣ : ٢٩) وقال أيضاً : لذلك اطرحوا عنكم الكذب وتكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه لاننا بعضنا أعضاء بعض « اف ٤ : ٢٥ » وهو قول فى منتهى الحكمة والسداد • لأن الاعضاء فى الجسد لا يكذب أحدها على الآخر ولا يغشه . فالعين مثلا لا تخدع اليد ولا تعثر القدم ، بل كل منها يعاون الآخر بالصدق والاخلاص دون خداع ومكر ، هكذا يجب أن يكون الحال مع الناس بعضهم لبعض لان كلا منهم هو بمنزلة عضو لصاحبه

ويقال للكذب أيضاً وشاية . ومن وشى بقريبه فقد نمّ عليه وسعى به . قال الكتاب « لا تسع بالوشاية بين شعبك . لا تقف على دم قريبك أنا الرب » (لا ١٩ : ١٦)

(٣) النميمة أو السعاية . وهى كشف ما يكره كشفه سواء كان الكشف بالعبارة أو الاشارة أو بغيرهما . وقد أبان الكتاب شر هذه الرذيلة ونهى عنها بقوله « بعدم الحطب تنطفىء النار وحيث لا نمام يهدأ الخصام » (ام ٢٦ : ٢٠) .

(٤) الغيبة . هى ذكر القريب بما يكرهه أو هى تشنيع صيت القريب ظلماً بطريق الخفاء . فاذا كان هذا التشنيع حقاً قيل له غيبة بالبساطة أو نميمة . واذا كان باطلا قيل له بهت أو افتراء . واذا وقع هذا التشنيع فى مواجهة القريب قيل له شتم

وقد تقع الغيبة قصداً اذا صرح المغتاب بها . أو ضمناً اذا جحد أعمال القريب الحسنة وأنكرها . أو سكت عند مدح الناس اياه والثناء عليه . وانه لمضادة هذه الرذيلة لشريعتى العدل والمحبة عدت من الخطايا المميتة أبداً لانها تشين صيت القريب وتهدم كرامته وتلحق به اضراراً شتى فى منتهى الجسامة والفظاعة .

قال القديس اكليمنضوس (ان الغيبة التى تفضح عرض المستغاب فى أمر ثقيل . هى خطيئة مميتة أشنع من خطيئة السرقة لمال القريب . لأن عرض القريب وشأنه أجلّ وأشرف من ماله . وأن القتل والغيبة متساويان فى الشر) ومن ثم وصف الكتاب قصاص مرتكبى الغيبة بأوصاف ترتعد لهولها الفرائص وتقشعر الأبدان . كالنار التى لا تطفأ . والدود الذى لا ينام . والبحيرة المتقدة بالنار والكبريت . و الطرد من أورشليم السمائية . والحرمان من مجدها وسعادتها (انظر رؤ ٢١ : ٧ ، ام ٦ : ١٦)

هـذا وأنه ليس المتكلم بمذمـة القريب هو الذى يسقط فى الخطأ المميت فقط بل مستمع المذمة أيضاً . لأن المتكلم يضع الشيطان فى فمه والمستمع يضعه فى أذنه لكونه باستماعه له ورضاه يزداد سلب السالب ويمتد مقاله . قال القديس توما اللاهوتى (ان الذين يغتابون والمستمعين لهم لا أدرى أيهما أقبح شراً وأكثر أثماً وذلك لأن المستمع لمقال المغتاب هو شريكه فى الاغتياب سواء حركه الى ذلك

أم لم يمنعه مع اقتداره على المنع لأنه ليس محرق البيت يخطىء فقط بل المسرور والراضي بحرقه)

ولهذا يجب على المستمع مذمة قريبه إذا رام أن يتبرر من الاشتراك بخطية المتكلم أن يستعمل أحدى ثلاث حالات التي بها ينجو من الاشتراك بخطأ الثالب وهي : —
إما أن يوبخ الثالب ويبكته على ثلم صيت القريب اذا كان الثالب أدنى منه . وإما أن ينصحه بمحبة ويكفه عن ذلك برقة محولا كلامه الى غير مادة اذا كان الثالب مساوياً له . وإما أن يبين له بعلامات ظاهرة أنه غير راضٍ بذلك أصلاً اذا كان الثالب أعظم منه .

وأخص تلك العلامات هي عبوسة الوجه وتقطيبه حال سماع المذمة والسلب كما قال الكتاب : « ريح الشمال تطرد المطر والوجه المعبس يطرد لساناً ثالباً (ام ٢٥ : ٢٣)

(٥) الدينونة الباطلة : هي أن يتصور الانسان في قريبه نقيصة أو عيباً فيحكم عليه بالاستناد على أدلة ضعيفة حكماً قاسياً مجرداً من العدل والرحمة . وقد نهى ربنا له المجد

عن هذه الدينونة بقوله : « لا تدينوا لكى لا تدانوا لانكم بالدينونة التى بها تدينون تدانون وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم » (مت ٧ : ١ — ٣) غير أن هذا لا يلزم منه نهى القضاة وأرباب المجالس عن الحكم الشرعى ولا النهى عن الدينونة الموافقة للعدل والحق بقصد الاصلاح والتهذيب . بل النهى عن انتقاد عيوب الناس وزلاتهم وتعظيمها والحكم عليهم بلا شفقة ومحبة تشهيراً بهم

(٦) الظن الفاسد : هو الاعتقاد فى القريب شراً بلا دليل كاف . وقد ينتج ذلك غالباً من عدم الاخلاص والمحبة لأن المحبة لا تحسد ولا تظن السوء (١ كو ١٣ : ٤)

(٧) اليمين الحانثة [1] : أما اليمين الحانثة فهى خطية أبداً لما فيها من عدم توقير اسم الله والاجحاف بالاحترام الواجب لجلاله الاقدس . قال جل شأنه « لا تحلفوا باسمى للكذب فتدنس اسم الهك » (لا ١٩ : ١٢)

---

(١) تكلمنا عن ذلك بتفصيل واف فى الوصية الرابعة

الخلاصة

حيث أن هذه العيوب والنقائص رغم كونها محرمة وممنوعة شرعا فان جميع الناس عرضة للسقوط فيها حتى الصالحين والاتقياء فينبغي لنا أن نكون فى منتهى الخوف والحذر منها . قال أحد علماء الكتاب (ان مذمة الغير متداولة بين الناس ومتناقلة بين أهل الورع والقنوت أيضاً وقلما يخلو منها مكان ولا يجرى حديث بدون طرق باب من أبوابها وأشهرها (١) النميمة وهى ان ينسب الى الغير ما ليس من أعمالهم (٢) المبالغة وهى تكبير ما عملوه من الخطأ والزيادة فى روايته (٣) أشهار ما غمض وخفى من زلاتهم وعيوبهم (٤) حمل ما فعلوه من الخير على الشر وتخريجه مخرجاً فاسداً أو تصغير عملهم الحسن أو مدحهم عليه مدحاً ركيكاً (٥) اخفاء ما ينبغى اظهاره فيهم من المحامد والفضائل)

ولما كان منشأ كل ذلك إما الحسد أو الكبرياء فمن رام أن تكون ديانته طاهرة نقية وجب عليه تجنب هاتين

الرذيلتين فينجو لسانه من الزلل والزلق لأن اللسان عنوان أشواق الانسان الباطنة . وكلام الفم دليل على خبيئة النفس لأنه يتكلم من فضلة ما فى القلب . ومن ظن أنه ديّن وهو ليس يلجم لسانه فديانة هذا باطلة (راجع مت ١٢ : ٣٤ ، يع ١ : ٢٦ ، ٣ : ٢)

الفصل العاشر

فى

(١٠) الوصية العاشرة

« لا تشته بيت قريبك ولا امرأته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك » (خر ٢٠ : ١٧)

هذه هى الوصية العاشرة وهى تنهى عن اشتهاء مال

القريب . وعن الشهوات الرديئة والافكار الشريرة التى تضاد طهارة النفس والجسد .

وحيث أن هذه الوصية تضمنت الوصيتين السابعة والثامنة فحسبنا أن نكتفى بالكلام عليها بما يأتى :—

لقد نهت جميع الشرائع البشرية عن القتل والسرقة وسائر الرذائل الخارجة إلاّ أنها لم تستطع أن تنهى عن الرذائل الباطنة كالشوق والرضى ونحوهما وذلك لأنه لا سلطان لها على القلوب والضمائر فانفردت بذلك الشريعة الالهية وحدها لاختصاصها بالسلطان المطلق على أرواح البشر وأجسامهم تبعاً لواضعها الذى له السيادة على كل المبروءات الروحية والجسدية معاً . ومن ثم لم تكتف بالحض على طهارة الفم واستقامة العين . وعفة اليد . ونقاوة القلب . وعدم الشهوة للخطية الناتجة من النظر المنحرف (مت ٥ : ٢٨) بل اتصلت فى البر إلى أعظم من ذلك حيث أنها لم تكتف بمنع عدم الخطية والرضى بها بل نهت عن التفكير فيها أيضاً حذراً من هيجان الشهوة لئلا يسرع سمها رويداً رويداً إلى أن

يفسد الارادة . لأن التأمل الاختيارى فى فكر نجس هو من جملة الخطايا النجسة .

المبحث الثالث
فى
الشريعة الطقسية

تمهيد : الشريعة الطقسية عبارة عن رسوم طقسية قائمة بتعيين طرق العبادة الآلهية

وقد كانت هذه الشريعة فى العهد القديم أشبه شىء بمرآة يرى فيها الناس المسيح له المجد وأنه الفادى الذى أعد لهم مخلصاً بآلامه وموته حيث كانت تشير تلك الذبائح الى صلبه وموته كفارة عن المؤمنين باسمه (١)

(١) وهذه هى العلة التى لاجلها عنينا بشرح الشريعة الطقسية شرحا وافيا

وحيث أن الوصايا الطقسية تختص بعبادة الله مشتملة على الطقوس والفرائض التي كانت تشير الى فادى العالم له المجد لهذا أرى لزاما علىّ البحث فى الامور الآتية إلماماً بهذا الموضوع من سائر نواحيه وهى :—

«١» خيمة الاجتماع «٢» الذبائح والقرابين «٣» الكهنة «٤» أعياد العبرانيين ومواسمهم «٥» النجس والطاهر والمحلل والمحرم فى الشريعة الموسوية

خيمة الاجتماع (١)

الفصل الاول

فى

وصف خيمة الاجتماع

ان الخيمة التى أقامها موسى فى البرية هى من أجمل

---

(١) سميت بذلك لاجتماع الله وموسى فيها . ويقال لها المسكن أو القبة أيضاً (عب ٧ : ١ ، عب ٩ : ٢)

وأحسن الأبنية التى وجدت فى العالم لأن مهندسها وواضع رسمها الله سبحانه وتعالى . وهو الذى قبل انشائها دعا عبده موسى الى قمة جبل سيناء وهنالك أراه رسمها أو مثالها . وبعد أن شرح له كيفية صنع كل جزء منها قال له : أنظر أن تصنع كل شىء حسب المثال الذى أظهر لك فى الجبل . (عب ٨ : ٥ ، خر ٢٦ : ٤)

وقد كانت تلك الخيمة مستطيلة الشكل طولها ثلاثون ذراعاً عبرانية[1] . وعرضها عشرة أذرع . وارتفاعها عشرة أذرع . وكانت مسورة بألواح من خشب السنط المصفح بالذهب . عشرون لوحاً فى كل من الجهتين الشمالية والجنوبية . وثمانية الواح فى الجهة الغربية . أما الجهة الشرقية حيث كان المدخل فلم يكن بها الواح بل كانت مغطاة بأستار من كتان على خمسة أعمدة من الخشب .

---

(١) الذراع العبرانية تساوى ٥/٦ الذراع المعروفة عندنا فالثلاثون ذراعا عبرانية تساوى ٢٥ ذراعاً سلطانية

وكانت الالواح ممكنة فى أسفلها بقواعد من فضة لكل لوح قاعدتان تحت رجليه[١] أى قائمتان يقوم عليها كانتا داخلتين فى حفرتين فى القاعدة عند طرف اللوح على بعد واحد فى كل لوح . كما أنها — أى الالواح — كانت مرتبطة فى وسطها بخمس عوارض من خشب السنط مغشاة بالذهب . فضلاً عن أن كل لوح يقام كان يشد على جانبيه بحبال واصلة من رأس العمود الى الاوتاد المغروسة فى الارض حتى يرتبط بها .

وكانت هذه الالواح أو سور الخيمة مغطى بأربعة أغطية مفروشة فوق بعضها . الأول من بوص مبروم وهو الكتان أو الحرير الأبيض مغشى بصور ملائكة مطرزة بالابرة أو منقوشة باسمانجونى[٢] وارجوان وقرمز

---

(١) كان لكل لوح من الالواح رجلان أو (هنتان) من الخشب بسمك الاصبع بارزتان حتى تدخلا فى القواعد المثبتة فى الارض .

(٢) الاسمانجونى ما كان لونه كلون السماء . والارجوان صبغ أحمر . والقرمز صبغ أحمر قانى مستخرج من حيوان خاص .

فكان ذا منظر فى منتهى الجمال والروعة . والثانى من شعر المعزى . والثالث من جلود كباش محمرة . أما الرابع فمن جلود النخس وهو حيوان بحرى يعرف بالدلفين . وكانت الغاية من الاغطية الثلاثة الأخيرة وقاية الخيمة من الشمس والمطر وكل المؤثرات الجوية .

وكانت الخيمة قسمين الأول فى مقدمة الرواق الذى يستطرق منه الى الخارج والآخر وراءه ويدعى الأول القدس والثانى قدس الاقداس يفصلهما عن بعض حجاب من اسمانجونى موشى بالذهب معلق على أعمدة . وكان القدسان من مواد واحدة .

وقد أحيطت الخيمة بدار مستطيلة الشكل طولها مئة ذراع فى خمسين ذراعاً مسورة بأعمدة نحاسية مغطاة من خشن المنسوجات الكتانية (خر ٢٧ : ٢٩) غير أنها لم تكن مسقوفة لأنه كان بها مذبح المحرقة ويصعب عليهم أن يذبحوا البهائم ويحرقوها فى موضع مسقوف

وقد كان كل ما ارتحل بنو اسرائيل من مكان إلى

آخر يفكون الخيمة ويحمل كل لاوى قطعة منها . وكان حلولهم وارتحالهم متوقفاً على حلول وارتحال عمود الغمام الذى كان يحمر ليلا كالنار ويبيض نهاراً كالثلج (خر ٤٠: ٣٦ـ٣٨)

وقد صنعت هذه الخيمة فى سفح جبل سيناء فى السنة الثانية لخروج بنى اسرائيل من مصر (خر ٤٠ : ١٧) أى سنة ٢٥١٤ للعالم و ١٤٨٦ قبل الميلاد ونحو ٤٨٠ سنة قبل بناء هيكل سليمان الذى كانت الخيمة رسماً ومثالاً له

وفى زمن بناء الهيكل كانت هذه الخيمة فى جبعون (٢ اى ١ : ١٣) ولا نعلم أين وضعوها وربما وضعت فى إحدى غرف الهيكل وليس لها ذكر بعد ذلك لأن مجدها تحول الى الهيكل كما تحول مجد الهيكل الى الكنيسة «راجع ١ مل ٨ : ١ — ١١»



الفصل الثانى

فى

القدس ومحتوياته

القدس : هو القسم الاول من الخيمة الذى كان يدخله الكهنة يومياً لمباشرة ما عليهم من فروض العبادة . وكان رمزاً الى الكنيسة أو العالم.

أما محتوياته فهى : —

(١) منارة للضوء (٢) مائدة لخبز الوجوه (٣) مذبح للبخور

(١) المنارة : بما أنه لم يكن فى الخيمة كوة أو نافذة ليدخل منها الضوء الكافى نهاراً . فدعت الحاجة لمنارة تنيرها صنعت من الذهب الخالص . وكانت مركبة من ساق مستقيمة عمودية على القاعدة . ولها ستة شعب أو فروع

على كل من جانبيها ثلاثة ، كلها فى سطح واحد وارتفاع واحد وكانت الساق والشعب مزينة بأمثال زهر اللوز والزنبق .

أما سرجها فسبعة على رأس الساق سراج وعلى كل من الشعب الست سراج . والذى يسرجها هو الحبر الأعظم أو أحد الكهنة المتقدمين فتضاء ليلا وتطفأ نهاراً وكانت فتائلها تصنع من ملابس الكهنة القديمة . أما زيتها فمن أجود زيت الزيتون وأنقاه لأنه كان يستخرج من الزيتون بالرض لا بالطحن فكان خالصاً من الشوائب والأدران (انظر خر ٢٧ : ٢٠ و ٢١ ، لا ٢٤ : ٣)

وقد كانت هذه المنارة رمزاً الى مخلصنا له المجد فانه قال عن نفسه « أنا هو نور العالم من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة بل يكون له نور الحياة » (يو ٨ : ١٢)

ملاحظة : لقد ذكر علماء اليهود أن موسى النبى أدخل المنارة فى الخيمة يوم الأربعاء على شبه النيرات السماوية التى أوجدها الله فى مثل ذلك اليوم

(٢) مائدة خبز الوجوه : كانت هـذه المائدة مغشاة بالذهب وعليها اثنا عشر رغيفاً طرياً على عدد الاثنى عشر سبطاً تستبدل فى كل يوم سبت . وكانت تصنع من دقيق الحنطة الجيدة وتخـبز فى الدار الخارجية داخل قوالب من الذهب

أما وضعها على المذبح فقد وصفها التامود بقوله (يدخل أربعة من الـكهنة يحمل أثنان منهم الخبز على الأيدى كل يحمل ستة أرغفة . والاثنان الآخران يحملان اناءى اللبان كل يحمل اناء . ويمشى قدام الـكهنة الأربعة أربعة كهنة آخرون . أثنان يأخذان الخبز وأثنان يأخذان إناءى اللبان ثم يقفون فى الجنوب وأوجههم الى الشمال . وحالما يرفعون الخبز واللبان القديم يضعون الخبز واللبان الجديدين وأيدى أحـد الفريقين فوق أيدى الفريق الأول حتى لا تخلو المائدة من ذلك لحظة واحدة)

وسمى هذا الخبز خبز التقدمة لانه كان يقدم لله للدلالة

على أن كل ما كان يصيبه بنو اسرائيل من رزق وخير كان من فضل الله وإحسانه . ودعي أيضاً خبز الوجوه لوضعه في وجه الله أو وجه التابوت

وقد كانت هذه المائدة رمزاً إلى المذبح الطاهر . وخبز الوجوه الى جسد الرب مانح الحياة بقوله له المجد : انا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الابد (يو ٦ : ٥١)

(٣) مذبح البخور : كان هذا المذبح الذهبي مجوفاً على شبه المبخرة الكبيرة وكان قريباً جداً من قدس الأقداس بحيث أن البخور الذي يحرقه الكهنة كان يصعد منه ويدخل في قدس الأقداس . ولهذا الاعتبار ذكره بولس الرسول من محتويات قدس الأقداس (راجع عب ٩ : ٣)

أما البخور فكان مركباً من أربعة أعطار وهي ميعة وأظفار وقنة ولبان (خر ٣٠ : ٣٤)

الفصل الثالث

فى

قدس الأقداس ومحتوياته

قدس الأقداس ويقال له المحراب (١مل ٦ : ١٩) هو القسم الثانى من الخيمة وأقدس جزء فيها . وما كان يجوز لأحد أن يدخله سوى الحبر الأعظم. وهو لا يدخله سوى مرة واحدة فى السنة أى فى يوم الكفارة العظيم (راجع ص ١٢٦)

وقد كان هذا المكان الأقدس رمزاً الى السماء كما كان التابوت رمزاً لعرش الله

أما محتوياته فهى : —

(١) التابوت وغطاؤه (٢) لوحا الشهادة

(٣) قسط المن (٤) عصا هرون

أولاً — التابوت : كان التابوت عبارة عن صندوق مربع متوسط الحجم مصنوعاً من خشب السنط مصفحاً بالذهب من داخل ومن خارج . وكانت الغاية منه أن يوضع فيه لوحا الوصايا التى كتبها الله بأصبعه الكريمة .

ويقال له تابوت العهد لاحتوائه على الوصايا العشر التى هى بمنزلة شرط للعهد الذى قطعه الله مع بنى اسرائيل . أى أن هذا العهد كان على شرط حفظ الوصايا .

ويقال له أيضاً تابوت الشهادة لأحتوائه على الشريعة التى تشهد للبشر بما يريده الله منهم .

أما غطاء التابوت فكان مصنوعاً من الذهب الخالص وعلى جانبيه صورة كروبين يتصل جناحا الواحد بجناحى الآخر . ويقال لهذا الغطاء (الغفران) لأن منه كان يظهر لموسى والشعب دلائل مغفرة الله ورحمته عليهم حيث جاء عن ذلك فى سفر اللاويين ما نصه : « ثم يذبح تيس الخطية الذى للشعب ويدخل بدمه الى داخل الحجاب . . . ينضحه على الغطاء وقدام الغطاء فيكفر عن القدس من نجاسات بنى

اسرائيل ومن سيآتهم مع كل خطاياهم » (لا ١٦ : ١٥)

ولم يكن مصرحاً للكهنة أن يحملوا التابوت على مركبة أو دابة بل على أكتافهم (عد ١ : ٥١ ، ٤ : ١٥) وهذا علة ضرب الرب عزة الكاهن عندما مد يده ليسند التابوت وهو على المركبة . فانه بالرغم من أن ظاهر عمله كان حسناً ومفيداً فأنه عوقب بالموت لاهماله حمل التابوت على الاكتاف حسب أمر الشريعة (راجع ٢صم ١:٦ ـ ٢١)

وقد نقل سليمان هذا التابوت الى هيكله بعد بنائه وبقى فيه الى سبي بابل وبعد ذلك لم يعرف عنه شيء

ثانياً — لوحا الشهادة : هما اللوحان اللذان سطر الله عليهما بأصبعه الكريمة الوصايا العشر . ودعيا لوحا الشهادة لأن الله شهد بهما على بنى اسرائيل بالخطيئة حيث قيل : « خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب عهد الرب إلهكم ليكون هنالك شاهداً عليكم لأني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة » (تث ٣١ : ٢٦) ويقال لهما لوحا العهد أيضاً لأنهما

تضمنا الوصايا التى كانت بمنزلة شرط للعهد الذى أبرم بين الله جل شأنه والاسرائيليين

ثالثاً ـ قسط المن : هو الوعاء الذهبي الذى ذخر فيه المن بأمر الله ليكون مذكراً لبنى اسرائيل بتلك المعجزة العظيمة وهى اطعامهم بلا زرع أو حصاد مدة أربعين سنة متوالية أى مدة إقامتهم فى برية سيناء . وقد كان هذا المن صورة ومثالاً لجسد ربنا (انظر يو ٦ : ٣٢)

رابعاً ـ عصا هرون[1] : وهى عصا موسى لأن كليهما استخدمها فى عمل المعجزات وكانت قد أورقت وأخرجت لوزاً بمعجزة إلهية إبان ثورة قورح المشهورة الخاصة بالكهنوت (عد ١٧ : ١)

---

(١) اتفق علماء كنيستنا على أن عصا هرون كانت رمزاً على القديسة مريم لانه كما أن تلك العصا أورقت وأثمرت خلافاً للعادة الطبيعية هكذا القديسة مريم فانها حبلت وولدت خلافاً للعادة الطبيعية ايضاً .

على أنه جاء فى رسالة العبرانيين أن لوحا الشهادة وقسط المن وعصا هرون كانت فى التابوت ويرجح أن هذه الاشياء كانت توضع داخل التابوت حين انتقاله من مكان الى آخر فقط . أما عند ما أدخل التابوت فى الهيكل فقد وضعت هذه الاشياء أمامه إلا لوحى الشهادة فانهما كانا داخله (انظر ١ مل ٨ : ٩)



الفصل الرابع

فى

الدار الخارجية ومحتوياتها

الدار الخارجية هى التى كانت تحيط بالخيمة من سائر نواحيها وكان مسموحاً لعامة الشعب أن يدخلوها ما داموا طاهرين

أما محتوياتها فهى :—

(١) مذبح المحرقة (٢) المرحضة

أولا ـ مذبح المحرقة : كان هـذا المذبح فى فناء الدار الخارجية أمام مدخل القدس وشرقى الخيمة . وهو عبارة عن صندوق مجوف مصنوع من خشب السنط ومغشى بالنحاس يحمله الـكهنة فى البرية اينما رحلوا وانقلبوا . ومتى حلوا فى مكان ملأوه ترابا فصار مذبحاً . وعلى هذا الاعتبار كان المذبح الحقيق من التراب وخشب السنط قائبه . فزالت بذلك الشبهة بين قوله تعالى لموسى تصنع المذبح من خشب السنط (خر ٢٧ : ١) وقوله له فى موضع آخر : مذبحاً من تراب تصنع لى (خر ٢٠ : ٢٤)[١]

---

(١) لقد نهى الرب الكهنة أن يصعدوا الى المذبح بدرج فراراً من أن تداخلهم الكبرياء ولـكى يعلموا أن الذبائح كانت ضعيفة وليست كفوءاً لمغفرة الخطايا . وقد نهاهم أيضاً عن نحت حجارة المذبح بالازميل لئلا يؤدى بهم ذلك الى العبادة الوثنية التى كانت تهيأ تماثيلها بالحفر والنقش .

وكان طول هذا المذبح خمس أذرع وارتفاعه ثلاث أذرع (خر ٢٧ : ١)

ثانياً ـ المرحضة : كانت المرحضة مصنوعة من نحاس وقاعدتها من نحاس. وكانت بين مذبح المحرقة ومدخل الخيمة لأجل غسل أيدى الكهنة وأرجلهم متى وضعوا أقدامهم عند خيمة الاجتماع الدخول فيها (خر ٤٠ : ٣٠)

وقد سميت هذه المرحضة فى عهد سليمان بحراً لكبرها حيث كانت تسع ما يعادل ٤٥٠٠٠ أقة من الماء (راجع خر ٢٠ : ٧)

(الذبائح والقرابين [١])

تمهيد : لسنا نوضح خافياً إذا قلنا أن مصدر الذبائح ناشيء من شكر الناس لله . ولما كان جل شأنه مصدر الخيرات والبركات وجب على الناس أن يقدموا له شيئاً مما

---

(١) تطلق كلمة قربان على ما لا روح فيه . وذبيحة على ما فيه روح .

.رزقهم به من فضله وكرمه على حسب قول داود النبي : لأن منك الجميع ومن يدك أعطيناك (١ اى ٢٩ : ١٤) ومن ثم كان للنوع الانسانى والذبائح قدميه واحدة بشهادة ذبائح هابيل ونوح وآدم (تك ٤ : ٤ ، ٨ : ٢٠ ، ١٥ : ٩)

ومما يتفق مع العقل أن تلك الذبائح لم تكن مجرد اختراع الانسان بل هى بوحى من الله لأنها دلت على مقاصد سامية يصعب على العقل البشرى إدراك مغزاها خلواً من تحريك إلهى .

أما تلك المقاصد فهى :—

(١) تقديم الشكر لله بصفته المبدع الوحيد لسائر الكائنات.

(٢) الاعتراف بسلطانه المطلق على حياة سائر المبروءات

(٣) الاشارة الى فظاعة الخطيئة وما يستوجبه مرتكبها من القصاص وهو موته الذى عتقته منه الذبيحة بنيابتها عنه

(٤) الرمز إلى ذبيحة المسيح الكفارية .

(٥) صد اليهود عن ذبائح الاوثان .

وهذه كما لا يخفى أمور ذات معانى سامية جليلة ليس في متناول العقل الانسانى أن يصل إلى معرفتها بلا إلهام سمائى .

وللوقوف على كل ما له علاقة بهذا الموضوع نشرح فيما يلى الأمور الآتية .—

(١) أنواع الحيوانات التى كانت تؤخذ منها الذبائح

(٢) أنواع الذبائح

(٣) كيفية التصرف فى الذبيحة بعد ذبحها



الفصل الأول

فى

أنواع الحيوانات التى كانت تؤخذ منها الذبائح

الذبيحة هى أن يقدم الخادم الشرعى لله عز وجلّ شيئاً محسوساً يتلف فى سبيل ارضائه وتكريمه تعالى بوجه من الوجوه كالاحراق مثلا

أما كوننا نكرمه تعالى بتقديم الذبيحة فلأننا (أولاً) نشهد بذلك أنه تقدس اسمه صاحب السلطان المطلق على كافة المخلوقات وأن كل الخليقة بالنسبة لحضرته الالهية كلا شيء (ثانياً) نعترف أنه تعالى غير مفتقر الى خيراتنا ولذلك اذ نقدمها له نهدمها ونفنيها (ثالثاً) نشهد أنه سبحانه ذو سيادة كاملة على حياتنا وأننا مستعدون أن نسلم أنفسنا للموت مع تلك الذبيحة لو أمرنا بذلك

(رابعاً) نقر أننا قد استوجبنا الموت بخطايانا ولكن لعلة عدم جواز ذبح أنفسنا ، لأنه تعالى لا يرضى بذلك ، فاننا نقدم عوضاً عنها هذه الذبيحة ونطلب من حضرته الالهية أن يقبلها ويرضى بها لمغفرة خطايانا

أما الحيوانات التى كانت تقدم منها الذبائح فهى : —

(١) البهائم (٢) الطيور

أما الحيوانات المائية كالأسماك فلم يكن ممكناً تقريبها فى الهيكل كسائر الحيوانات لأنها اذا أخرجت من الماء لا تلبث أن تموت .

(١) البهائم : لم يكن ليصلح من البهائم قرباناً لله سوى ثلاثة أنواع وهى : البقر : والغنم : والماعز : بشرط خلوها من العيوب . لأن تقديم الذبيحة ذات العيوب اهانة لله تعالى وخداعاً . ولهذا قال ملاخى النبى : « ملعون الماكر الذى يوجد فى قطيعه ذكر وينذر ويذبح للسيد عائباً (مل ١ : ١٤)

ولقد ذكر المشرّع العيوب المانعة بقوله « الأعمى

والمكسور والمجروح والبثير [١] والأجرب والأكلف [٢] والزوائدى [٣] والقزم [٤] ومرضوض الخصية [٥] ومسحوقها ومنزوعها ومقطوعها (لا ٢٢ : ٢٢ — ٢٤)

وفوق ذلك لا يكون الحيوان المقدم ذبيحة مما له من العمر دون ثمانية أيام . أو أتى عليه أكثر من حول للضأن والماعز . وثلاثة أحوال للبقر والعجول . وقد اصطلح الكتاب على ذلك بقوله « ثور ابن بقر » (لا ٤ : ٣) أى أنه لم يزل تحت أمه . وقد اختار الله الذبائح من هذه الانواع الثلاثة ليثبت لبنى اسرائيل أنها ليست آلهة كما كان يعتقد فيها المصريون وغيرهم من الأمم الوثنية (راجع خر ٨ : ٢٥ ، لا ١٧ : ٧)

---

(١) البثر = الخراج وهو كل ما يخرج فى البدن من دمل وغيره (٢) الكلف = نقط سوداء فى الوجه أو الجسم (٣) الزوائدى = هو ما زادت فيه بعض الاعضاء (٤) القزم = الصغير الجسم (٥) مرضوض الخصية ومسحوقها ومنزوعها هو الخصى .

(٢) الطيور . لم يكن ليصلح من الطيور قرباناً سوى فراخ الحمام واليمام . أما العصافير فكانت خاصة بتطهير الأبرص . وبما أن فراخ الحمام أفضل من كباره . وكبار اليمام أفضل من فراخه لهذا أمرت الشريعة بتقديم فراخ الحمام وكبار اليمام لوجوب تقديم الأفضل لله .

أما علة تقديم زوج من الحمام أو اليمام وليست حمامة أو يمامة واحدة فذلك لأن فى ذبيحة الخطيئة كان الشحم يحرق على المذبح وأما اللحم فيأكله الكاهن . وإذ لم يمكن أخذ الأجزاء الشحمية من الطير وإحراقه كله يبطل كون قربان الطاير ذبيحة خطيئة ويجعله كله ذبيحة محرقة أقتضت الحال أن يكون المقدم زوجين أحدهما للرب ويحرق كله (مقابل الشحم) والآخر للكاهن (مقابل اللحم)

هذا من جهة الذبائح الدموية

أما الغير الدموية فكانت من السميذ والنبيذ . وتدعى الأولى قرباناً والثانية سكيباً . وقد كانت سائر الذبائح والقرابين تعالج ببعض التوابل كالزيت واللبان والملح .

وأخصها الملح لأنه يؤخر غير الدموية من الاختمار ويحفظ الدموية من الفساد . كما أنه كان يرمز إلى حفظ العهد ودوامه بين الانسان وخالقه (راجع عدد ٢٨ : ٧ ، خر ٢٩ : ٤٢ ، لا ٢ : ١٣)



الفصل الثاني

في

أنواع الذبائح

لقد كانت الذبائح ثلاثة أنواع (١) ذبيحة محرقة (٢) ذبيحة سلامة (٣) ذبيحة أثم أو خطيئة

فذبيحة المحرقة كانت لتقدمة الكرامة الواجبة للعظمة الالهية

وذبيحة السلامة كانت لتقدمة الشكر لله على ما أفاضه من عميم النعم أو استنزالا لنعم جديدة

أما ذبيحة الخطيئة فكانت للكفارة عن المعاصى والذنوب لا بقوتها الذاتية بل لأنها كانت عبارة عن المسيح الذى منه اتخذت كل قوتها وثمنها .

وقد كان على مقدم الذبيحة أن يضع يده عليها مشيراً بذلك الى أنها صارت نائبة عنه معترفاً بخطاياه قائلا (قد أخطأت وارتكبت الأثم وتعديت وفعلت كذا وكذا ولكننى أتوب أمامك وهذه كفارتى) (أنظر لا ١ : ٤)

(١) ذبيحة المحرقة : لقد كانت ذبيحة المحرقة تقدم باستمرار خروف الصباح وخروف المساء . وكان يشترط فيها فضلا عن الشروط السالفة أن تكون ذكراً لا أنثى لأنها كانت رمزاً الى حمل الله الذى قدم نفسه فداء عن العالم كله (عد ٢٨ : ٣ ، عب ٧ : ٣) وبعد أن تسلخ تحرق على المذبح الى أن تفنى بالنار دون أن يذوق منها أحد شيئاً

أما أصل نار المذبح فكانت من السماء كما جاء عنها فى

سفر اللاويين حيث قيل : وخرجت نار من عنـد الرب وأحرقت على المذبح المحرقة (لا ٩ : ٢٤) وقد حفظت هذه النار بالوقود المستمر كما يستدل من قوله تعالى لموسى. والنار على المـذبح تتقد عليه لا تطفأ ويشعل عليها الـكاهن حطباً كل صباح ويرتب عليهـا المحرقة ويوقد عليها شحم ذبائح السلامة (لا ٦ : ١٢) وفى وقت الجلاء البابلى خبـأها أحد الـكهنة فى جب وبقيت الى أيام نحميا فردها الى المذبح فاشتعلت . ويؤيد هذا التقليد ما جاء عنها فى سفر المـكابيين الأول حيث قيل (حين أجلى آباؤنا الى فارس أخذ بعض أتقياء الـكهنة من نار المذبح سراً وخبأوها فى جوف بئر لا ماء فيه وحافظوا عليها بحيث يبقى الموضع مجهولا عند الجميع . وبعد انقضاء سنين كثيرة حين شاء الله أرسل ملك فارس نحميا الى هنا فبعث أعقاب الـكهنة الذين خبأوا النار لالتماسها إلاّ أنهم كما حدثونا لم يجدوا ناراً بل ماء خاثراً فأمروهم أن يغرفوا ويأتوا به . ولما أحضرت النار أمر نحميا الـكهنة أن ينضحوا بهذا الماء الخشب والموضوع عليه

فصنعوا كذلك . ولما برزت الشمس وقد كانت محجوبة بالغيم اتقدت نار عظيمة حتى تعجب الجميع (١مك١: ١٩-٢٢)

(٢) ذبيحة سلامة . كانت هذه الذبيحة تقدم من الغنم والبقر ذكراً أو أنثى بشرط الخلو من العيوب . وكانت تقسم بين مذبح الله والكهنة ومقدم الذبيحة

فمذبح الله له كل أنواع الشحم سواء فى ذلك الشحم الداخلى أو الخارجى . وعلة ذلك أن الشحم أثمن أجزاء الذبيحة وكل ثمين هو لله . وعلى هذا المبدأ قدم دم الذبيحة له تعالى أيضاً . لأن الدم حياة الحيوان والحياة أثمن ما يوجد فى الحيوان . والكاهن يأخذ الصدر والكتف اليمنى .

أما مقدم الذبيحة فيأخذ الباقى ليأكله هو وبيته وأصدقاؤه والفقراء (لا ٧: ١٥) وكان يشترط عليه أن يأكل حصته فى يومين على الأكثر . أما اذا غفل وأكل منها فى اليوم الثالث رفضت ذبيحته ووجب عليه أن يقدم غيرها وعلة ذلك الخوف من تطرق الفساد اليها لأن ذلك لا يتفق

وكرامة الأشياء المقدسة . ومن ثم كان اذا بقى منها شىء لليوم الثالث وجب حرقه بالنار

وكانت هذه الذبيحة نوعين نذراً ونافلة . والفرق بينهما أن النذر إذا مات أو سرق أو عراه ما يجعله غير صالح للتقديم وجب على الناذر أن يقرّب غيره .

أما النافلة إذا مات أو سرق أو عراه ما يجعله غير لائق للتقديم فلم يكن الناذر ملزماً بغيره

وكانوا يفرقون بين النذر والنافلة بصيغة التعهد . فاذا قال مقدم الذبيحة (انى أتعهد أن أقدم ذبيحة سلامة ـ بدون تعيين الذبيحة ـ كان ذلك نذراً . أما إذا قال انى أتعهد أن أقدم هذه الذبيحة ـ بالتعيين ـ كان نافلة)

(٣) ذبيحة خطية أو أثم :

(تنبيه) الخطية[١] هى مخالفة الشريعة الآلهية

(١) الخطية تخالف الفضيلة التى هى ملكة بها تنعطف النفس الى التصرف الجيد

اختياراً وهى قول أو فعل أو اشتهاء مغاير لشريعة الله الازلية ـ وهى نوعان مميتة وعرضية ـ فالمميتة هى ما سلبت نعمة الله من فاعلها وصيرته أهلاً للهلاك الأبدى كخطيئة قايين ويهوذا .

والعرضية هى ما لا تسلب نعمة الله من فاعلها ولا تحرمه من الحياة الابدية . كخطيئة زكريا ويوسف التى جعلت أحدهما يشك فى كلام الملاك والآخر فى حبل القديسة مريم .

على أنه لما كان التمييز النوعى للخطية لا يوزن بميزان حكم بشرى بل بميزان الحكم الالهى لهذا كان الحكم على نوع الخطيئة عرضية كانت أم مميتة خاصاً بالله دون غيره لأنه هو وحده الذى يعرف أسباب وعلل كل خطية والظروف التى حملت ذويها على فعلها . غير أنه علينا أن نعتقد بأن كل مخالفة لأمر الله تستوجب غضبه . وليس لنا أن نحكم من جهة أوامره فنعتبر هذه ونستخف بتلك

(راجع ١ مل ٢٠ : ٣٦)

أما الفرق بين الخطية والاثم فهو ـ الخطية هى التعدى سهواً أو جهلا ـ والاثم هو التعدى عمداً أو عن علم

وقد كانت ذبيحة الخطية أو الاثم تقدم إما عن الحبر الأعظم أو رئيس الشعب أو أحد العامة.

فاذا قدمت عن الرئيس أو أحد عامة الناس أحرق شحمها على المذبح وأكل الكاهن لحمها فى مكان مقدس

أما إذا قدمت عن الحبر الأعظم وحده أو هو والشعب أحرقت كلها خارج الهيكل أو المدينة. وذلك لأسباب وعلل شتى أهمها ما يأتى :—

(١) إشعاراً ببغض الله جل شأنه للخطية بغضاً جعل ذبيحتها لا تستحق أن تقدم على مذبحه

(٢) بياناً للناس بان جزاء الخطية هو الحرق. فلو لم تنب هذه الذبيحة عن الخاطىء لحرق هو عوضاً عنها

(٣) إيذاناً بأن عقوبة الخطية التى تقربت عنها الذبيحة تركت الخاطىء وابتعدت عنه

(٤) رمزاً الى صلب ربنا له المجد الذى هو ذبيحة الكفارة الكاملة خارجاً عن مدينة أورشليم (عب ١٣:١١).

(ملاحظة) فرضت الشريعة أن تكون ذبيحة الخطية المقدمة عن الحبر الاعظم أو رئيس الكهنة ثوراً ابن بقر وعن رئيس الشعب تيساً من الماعز .

أما الاولى . فلأن أشهر خطية ارتكبها هرون رئيس الكهنة هى صنع العجل الذهبي ومن ثم كان العجل المذبوح مذكراً له ولخلفائه من بعده بضعفهم ونقصهم .

أما الثانية فلأن أشهر خطيئة اشترك فيها رؤساء الشعب اليهودى قديماً وهى بيعهم يوسف أخاهم . فقد حاولوا سترها واخفاءها بدم التيس . ومن ثم كانت هذه الذبيحة مذكرة لهم بأنهم جميعاً أبناء خطاة . هذا فضلاً عن أن رائحة التيس الكريهة تمثل نتانة الخطيئة وقبحها أبلغ تمثيل .

وهناك ذبيحة أخرى مشهورة بذبيحة البقرة الحمراء وهى خاصة بالطهارة من النجاسة .

(البقرة الحمراء)

لقد ورد فى سفر العدد أنه اذا تدنس أحد من لمس جثة أو غيرها مما هو نجس بحسب الناموس . يذبح الكاهن أمام الشعب عجلة حمراء لا عيب فيها ويحرقها علناً ثم يأخذ رمادها ويدوفه بالماء الخالص ويرش منه على مثل هذا فيطهر من دنسه (راجع عد ١٩ : ١ — ٢٢)

وقد كانت تلك البقرة رمزاً على ذبيحة سيدنا يسوع المسيح وذلك لأنها : —

(١) كانت عبارة عن ناسوت المسيح المقدس الذى رسم لنا ببقرة انثى دليلاً على ضعفه الجسدى لانه وهو ابن الله العزيز القدير أخذ جسداً ضعيفاً من أجلنا

(٢) إن تلك البقرة كان يجب أن تكون حمراء اشارة الى حرارة المحبة التى اجتذبت ابن الله ليتحد بطبيعتنا البشرية

(٣) كان ينبغى أن تكون تلك البقرة كاملة السن دليلاً على شرف فضائل المسيح وأعماله الكاملة فى غاية حدود الكمال

(٤) كان ينبغي أن تكون عادمة العيب لم يوضع على كتفها نير . دليلاً على كمال نقاوة ناسوت المسيح وقداسته وانه لم يخضع أبداً لنير الخطيئة

(٥) كانت تذبح خارج الهيكل دليلاً على أن سيدنا له المجد كان عتيداً أن يذبح خارج أورشليم

(٦) كانت تذبح أمام الجميع رمزاً على ذبح ربنا أمام جميع الناس

(٧) كان الكاهن يرش من دمها سبع مرات نحو باب الخيمة المغلق دوماً موضحاً بذلك فرط الرغبة الى اتيان المسيح الذى بدمه كان عتيداً أن يفتح باب السماء

(٨) كانت تحرق كلها حتى جلدها دليلاً على كمال ذبيحة المسيح

(٩) كان يحفظ رماد هذه الذبيحة فى مكان طاهر ليتطهر به الاسرائيليون دليلاً على أن استحقاق آلام المسيح وموته يوضع فى الكنيسة المقدسة لتحصل به قوة العماد والاسرار الاخرى لتطهير المسيحيين من آثامهم

(١٠) كان الكاهن الذى يذبح البقرة والذى يحرقها والذين يشتركون معه يستمرون دنسين إلى المساء دليلاً على أن الذين قتلوا المسيح صاروا خطاة وأنجاساً . أما استمرارهم دنسين إلى المساء فكان دليلا على أن اليهود يدخلون الايمان ويتطهرون من نجاستهم فى نهاية العالم .

وانه لمناسبة ذكر رموز هذه الذبيحة لصفات ذبيحة الصليب المكرمة يسوغ لنا القول أن كل الذبائح التى كانت تقدم على المذبح قد وجد فيها من الصفات ما يرمز إلى صفات تلك الذبيحة المقدسة. فالثور يرمز إلى قوة الصليب والحمل يرمز إلى البساطة . والتيس إلى جسد الخطيئة واليمامة إلى العفة . والحمامة إلى المحبة .



الفصل الثالث

فى

كيفية التصرف فى الذبيحة بعد ذبحها

تتكون الذبيحة من ثلاثة أجزاء رئيسية وهى الدم والشحم واللحم وقد أمرت الشريعة أن يتصرف الكاهن فى هذه الاجزاء الثلاثة على النحو الآتى :—

الدم : بعد أن تذبح الذبيحة يأخذ الكاهن من دمها ويرشه على جدران المذبح مستديراً مشيراً بذلك إلى دم فادينا العظيم الذى كان مزمعاً أن يسفك عن كل سكان جهات العالم الاربع المرموز اليها بزوايا المذبح الاربع . والباقى من الدم يصبه على جانب المذبح حيث هناك بالوعتان تؤديان الى قناة تجرى الى وادى قدرون

(ملاحظة) لقد حرم أكل الدم وشربه فى الشريعتين

الموسوية والمسيحية للعلل الآتية: — (١) لتقوى فى الانسان عاطفة الكراهية لرؤية الدم فيحذر من سفك دم أخيه الانسان (٢) لتنمو فى قلبه عاطفة الشفقة والرحمة لأن أكل الدم وشربه يدلان على القساوة والوحشية (٣) لينجو من أمراض خاصة بهذه المادة لأن الدم لا يتولد منه غذاء صالح دوماً.

وهناك علة أخرى خاصة ببنى اسرائيل وهى اجتناب طقس عبادة الأوثان لأنه كان من عادة الوثنيين حينئذاك أن يأكلوا مجتمعين حول الدم المتجمع إكراماً لآلهتهم لاعتقادهم أنها تسر بالدم سروراً فائقاً. ومن ثم أمر الله أن يراق الدم ويغطى بالتراب (لا ١٧ : ١٤)

الشحم: يحرق كله على مذبح المحرقة حتى يفنى

اللحم: أما اللحم (فأولاً) إن كان لذبيحة محرقة حرق كله على المذبح. (وثانياً) ان كان لذبيحة خطيئة أكله الكاهن بعد طبخه فى احدى أروقة الهيكل المعدة.

لذلك إلا اذا كانت الذبيحة مقدمة عن الكاهن نفسه فان لحمها يحرق فى الخارج لانه لو أكلها لكان كأنه لم يقدمها (وثالثاً) ان كان لذبيحة سلامة أخذ الكاهن الساق اليمنى وأخذ الباقى مقدم الذبيحة . وقد أوضحنا ذلك مفصلاً فيما سلف ؟

الكهنة

تمهيد : ان لفظ كاهن من كهن أو أخبر بالغيب والكاهن عند اليهود هو من قدم الذبائح والقرابين على مذبح الله .

ولما كانت الديانة لا تقوم بغير كهنوت لهذا وجد الكاهن من أقدم عصور الانسان وأبعدها . فمن عصر نوح الى هرون وهو عصر النظام البطريركى كان كاهن العائلة بكرها

ومن عصر هرون الى المسيح وهو عصر النظام الموسوى كان الكهنوت محصوراً فى سبط لاوى

ومن العصر الميلادى الى نهاية العالم وهو عصر النظام المسيحى انحصر الكهنوت فى الرسل وخلفائهم

وقد كانت الدرجات الكهنوتية فى النظام الموسوى ثلاث وهى (١) رئيس كهنة (٢) كاهن (٣) لاوى — على أن اللاوى لم يكن كاهناً بل كان مساعداً للكاهن وموقوفاً لخدمة الله كالكهنة .

وينتخب الكاهن ورئيس الكهنة من نسل هرون . أما اللاوى فينتخب من نسل موسى . وقد كان كل منهم يباشر خدمته الكهنوتية وهو ابن خمس وعشرين سنة ويعتزلها متى بلغ الخمسين . غير أنه لا يشرع فى مباشرة خدمته رسمياً الا فى سن الثلاثين أى بعد أن يكون قد صرف خمس سنين فى الاستعداد (راجع عد ٤ : ٣ ، ٨ : ٢٣)



الفصل الأول

فى

شروط الكهنة

شاءت الارادة الآلهية أن لا يعين فى خدمة الكهنوت إلا من كان كامل الخلق صحيح كل أجزاء الجسد . أما من كان فيه عيب خلقى أو عرضى فقد منع من هذه الخدمة المقدسة بقوله تعالى لموسى : اذا كان رجل من نسلك فى أجيالهم فيه عيب فلا يتقدم ليقرب خبز إلهه (لا ٢١:١٧)

ولقد كان فى دار الهيكل رواق يجتمع فيه أعضاء المجلس الأعلى لفحص المرشحين للكهنوت فمن وجد فيهم عيب ما ، لبسوا ملابس سوداء وخرجوا سكوتاً . ومن تبين أنهم بلا عيب لبسوا ملابس بيضاء وخرجوا فى احتفال حافل تدوى فى ارجائه هتافات الانتصار التى مطلعها (مبارك

الرب مبارك هو لأنه لم يوجد عيب فى نسل هرون الكاهن)

أما العيوب المانعة فذكرها جل شأنه بقوله : لأن كل رجل فيه عيب لا يتقدم . لا رجل أعمى ولا أعرج ولا أفطس [١] ولا زوائدى [٢] ولا رجل فيه كسر رجل أو كسر يد ولا أحدب ولا أكثم [٣] ولا أكلف [٤] ولا مرضوض الخصى [٥]

(لا ٢١ : ١٨ و ١٩)

---

(١) الافطس = من انفرش انفه فى وجهه
(٢) الزوائدى = من له فى احدى يديه أو رجليه أصبع زائدة
(٣) الاكثم = الناقص الخلق
(٤) الاكلف = من علا وجهه حبوب سوداء
(٥) مرضوض الخصى = من ألمّ بخصيتيه مرض ما .

الفصل الثانى

فى

ملابس الكهنة

لقد أعلن الله سبحانه وتعالى ارادته لنبيه موسى أن يصنع للكهنة ورئيسهم ملابس مقدسة فى أقصى حدود الجمال والجلال بقوله له : واصنع ثياباً مقدسة لهرون أخيك للمجد والبهاء (خر ٢٨ : ٢) وذلك ليكون الكهنة مهابين وذوى كرامة فى أعين الشعب من جهة . ولتصير الخدمة فى الهيكل ذات شأن عظيم من الجهة الاخرى . غير أنه كان لكل من رئيس الكهنة والكهنة ملابس خاصة مصنوعة من الكتان أو الحرير دون الصوف الذى كان محرماً عليهم لبسه بتاتاً . لأن منه اتخذ آدم ثوبه الاول على أثر مخالفته . ولا يليق بالكاهن أن يظهر بالثوب الذى يحمل علامات

الخطيئة بينما هو واقف أمام حضرته تعالى ليستر الخطيئة ويخفيها. وذلك ثابت من قوله جل شأنه لحزقيال النبي : «ويكون عند دخولهم (أى الكهنة) أبواب الدار الداخلية أنهم يلبسون ثياباً من كتان ولا يأتى عليهم صوف عند خدمتهم فى أبواب الدار الداخلية ومن داخل ولتكن عصائب من كتان على رؤوسهم ولتكن سراويل من كتان على احقائهم لا يتنطقون بما يعرق» (حز ٤٤ : ١٧ و ١٨)

أولا (ملابس رئيس الكهنة)

لقد كانت ملابس رئيس الكهنة فى منتهى حدود الجلال والبهاء وتشمل الانواع الآتية : —

(١) سروال (٢) قميص (٣) منطقة (٤) جبة (٥) رداء أو افود (٦) صدرة (٧) أوريم وتميم (٨) عمامة (٩) اكليل مقدس

(١) السروال : من الملابس الضرورية لستر العورة

وهو يغطى الجسم من الحقوين الى الركبتين أو الى نهاية الساقين .

(٢) القميص : ثوب ذو كمين يصل الى القدمين ويستر كل الجسم .

(٣) المنطقة : قطعة من الكتان المطرز ذات ألوان كثيرة يخالط نسيجها الذهب ويشتد بها الوسط

(٤) الجبة : ثوب منسوج طويل أزرق بلا كمين يلبس تحت الصدرة من الرقبة الى الركبتين وتنتهى أذياله بجلاجل ذهبية تنبيهاً للشعب ليلتفت للخدمة الدينية حق الالتفات (خر ٢٨ : ٣٥)

(٥) الرداء أو الافود : جبة مصنوعة من قطعتين أحداهما من الامام والثانية من الخلف ولا يتصلان ببعضهما إلاّ من أعلى الكتفين بزنار من نوعهما فى الصنع

(٦) الصدرة : هى أثمن الملابس الحبرية وأعجبها لأنها كانت مصنوعة من الذهب والبوص المبروم (أى

الكتان) النقى ذى الألوان الارجوانية والاسمانجونية والقرمزية . طولها شبر وعرضها شبر مرصعة بأربعة صفوف من الحجارة الكريمة كل منها ثلاثة منقوشاً عليها اسماء بنى اسرائيل الاثنى عشر وفى داخلها الاوريم والتميم .

وقد كان فى حمل رئيس الكهنة اسماء بنى اسرائيل على صدره دليل على وجوب انزال الرعية فى قلب الكاهن واحشائه باهتمام محبته لها وانه ملزم بذكرها أمام الحضرة الالهية ذكراً لا ينقطع

(٧) الاوريم والتميم (أى الأنوار والكمالات) هما شيئان ثمينان جداً اختلف العلماء فى حقيقتها . فقيل إنهما حجران من الماس موضوعان على الصدرة كتب على أحدهما « نعم » والآخر « لا » يستطيع بواسطتهما رئيس الكهنة رأى الله سبحانه وتعالى فى الأمور الهامة . فاذا كان الأمر بالايجاب أشرق نور على كلمة « نعم » واذا كان بالنفى أشرق نور على كلمة « لا » وقيل إنهما مادتان

غير معروف نوعها أعطاها الله لموسى رأساً متى وضعها الحبر الأعظم فى الصدرة أعلنت له ارادة الله بصوت مسموع .

(٨) العمامة : أما العمامة فمعروفة وقد كانت عمامة رئيس الكهنة مركبة من عدة أكوار من الكتان الابيض النقي .

(٩) الاكليل المقدس : عبارة عن صفيحة من الذهب النقي توضع فى أعلى مقدم العمامة ومثبتة من الخلف بزنار من الحرير مكتوب عليها (قدس للرب) أى وقف للرب

ثانياً — (ملابس الكاهن)

كانت ملابس الكاهن بالنسبة لملابس رئيس الكهنة فى منتهى البساطة بحيث أنها لم تكن سوى (١) سروال (٢) قميص (٣) منطقة (٤) قلنسوة ...

وقد كانت القلنسوة ملبوس الرأس وتقرب من

الطربوش شكلا . أما السروال والقميص والمنطقة فمن نوع مثيلاتها من ملابس رئيس الكهنة .

هذا وصف موجز للملابس الحبرية ومنه يستدل على مبلغ عناية الله بها. وان الكنيسة القبطية على حق فيما أوجبته على كهنتها من ارتداء الملابس الخصوصية عند مباشرة الوظائف الكهنوتية حرصاً على كرامة تلك الخدم الآلهية لئلا يُعدوا متهاونين فيها . قال صاحب السنن القويم وهو بروتستانتي المذهب فى شرحه الاصحاح الثامن والعشرين من سفر الخروج تأييداً لقولنا هذا « إن ثياب الكهنة ليس مما لا يليق بالله الالتفات اليها إذ ليست من محتقرات الاشياء وإلا لما اعتنى بها الكتاب الى هذا الحد بل أن الله اعتنى بالثياب مطلقاً منذ عصر الانسان الاول »

الفصل الثالث

فى

واجبات الكهنة

«١» رئيس الكهنة : كان لرئيس الكهنة أن يعمل عمل الكاهن كتقديم الذبائح واحراق البخور واشعال السرج وتبديل خبز الوجوه وسائر الخدم الكهنوتية . غير أن عمله الخاص الذى لم يشاركه فيه أحد من الكهنة كان محصوراً فى مباشرة خدمة الكفارة السنوية . ومن ثم ما كان يجوز لأحد سواه أن يدخل قدس الأقداس (عب ٩ : ٧)

«٢» الكاهن : كان له أن يشترك فى سائر الخدم الكهنوتية كالذبح وحرق الشحم وتبديل خبز الوجوه وإنارة السرج وكل الاعمال التى تعمل فى القدس ولكنه كان محظوراً عليه أن يطأ قدس الاقداس أو يعمل فيه عملا ما

«٣» اللاوى : كان عليه أن ينقل أجزاء الخيمة وأمتعتها بعد تغطيتها . ولم يكن مسموحاً له بالدخول فى القدس الذى يخدم فيه الكهنة . وبالأولى كان محظوراً عليه أن يدخل قدس الأقداس . كما أنه ما كان يجوز له أن يرى التابوت أو غيره من أمتعة القدس قبل أن يغطى حين نقل الخيمة عند الارتحال «١» (راجع عد ٤ : ١— ٤٩)



(١) لقد أصابت الكنيسة القبطية والكنائس الرسولية اذ جعلت حدوداً لكل من الكاهن والشماس والعلمانى فى دخول الامكنة المقدسة ولمس الاشياء المكرسة .

الاعياد

تمهيد : لقد عين الله سبحانه وتعالى للشعب الاسرائيلي أعياداً ومواسم مقدسة قصد بها تخليد ذكر ما أسبغ عليهم من نعم وخيرات . واستمالة قلوبهم الى دينه القويم بجمال تلك الطقوس وجلالها الرهيب . وتفرغاً لسماع شرائعه ونواميسه المقدسة . وترويحاً لأجسامهم وعقولهم من عناء الأعمال الدنياوية المتواصلة . وتوثيقاً لعرى المحبة والائتلاف باجتماعهم فى الأماكن المقدسة وتزاورهم .

وأشهر تلك الأعياد هى : —

«١» السبت «٢» الفصح «٣» الخمسين «٤» المظال «٥» السنة الجديدة «٦» اليوبيل «٧» الكفارة .

الفصل الأول

في

عيد السبت

(١) السبت من أقدم الأعياد وأولها . وقد فرض على الانسان منذ نشأته وجدد ذلك الغرض في طور سيناء ليذكر فيه حسنات الله العظمى التي أسبغها عليه في تكوين العالم وليجد فيه فرصة عامة للخدمة الروحية كالعبادة والتسبيح ويكون له يوم راحة من عناء الأعمال الجسدية والعقلية التي يقتضيها النظام الطبيعي للانسان والحيوان . ولهذا عندما ألغي السبت في نظام العهد الجديد حل محله يوم الاحد : لأن الراحة الأسبوعية فرض إلهي عام دائم ومن هبات الله العظمى التي تدوم ما دام الانسان على الارض

وقد حُرم على اليهود سائر الاعمال الدنياوية في يوم

السبت من عظيم وحقير عدا الأعمال الضرورية للحياة (خر ١٢ : ١٦)

وقد بالغ علماء الشريعة فى حفظ هـذا اليوم فعينوا المسافة التى يجوز فيها المشى فيه وهى ٢٠٠٠ خطوة بشرط أن يحتاج اليها كل الاحتياج وهى التى أشار اليهـا كاتب سفر الاعمال بقوله : بالقرب من أورشليم على « سفر » سبت (اع ١ : ١٢) أما ربنا له المجد فقد أثبت أن الأعمال التى تقتضيها عبادة الله وأعمال الرحمة والأعمال الضرورية لا تنافى حفظ يوم الراحة بل تقدسـه وتـكرمه (مت ١٢ : ١٢)

(راجع شرح الوصية الرابعة ص ١٩٤)



الفصل الثانى

فى

عيد الفصح

الفصح : كلمة عبرية معناها الاجتياز أو العبور . وعلة هذه التسمية عبور الملاك المهلك عن بيوت الاسرائيليين بدون أن يمس أبكارهم بضرر ما ليلة خروجهم من أرض مصر .

وقد كان هذا العيد من أحفل أعياد اليهود وأعظمها . ويبتدىء الاحتفال به فى اليوم الرابع عشر من شهر أبيب (أى نسيان) وهو رأس سنتهم الدينية حيث كان على كل رئيس عائلة أن يختار حملاً ذكراً حولياً لا عيب فيه منذ اليوم العاشر من هذا الشهر ويذبحه فى اليوم الرابع عشر منه وبعد أن يرش دمه على جدران المذبح يشك فيه

سفوّدان [1] من الحديد يجوزه الأول طولاً والآخر عرضاً ثم يلقى بتلك الحال ليشوى على النار مصلوباً . وبعد شيه يأكلونه بسرعة وأحقاؤهم ممنطقة وأحذيتهم فى أرجلهم وعصيهم فى أيديهم اشارة الى سرعة خروجهم من أرض مصر .

وقد كان من عادات اليهود أن لا ينقص أكلة خروف الفصح فى البيت الواحد عن عشرة . وان لا يزيدوا عن عشرين . فان كان أهل البيت أقل من أن يأكلوه دعوا اليه من الاقرباء والجيران من يتمم العدد الكافى . واذا بقى منه شىء أحرقوه بالنار مع عظامه التى نهوا أن يكسروا عظمة منها (خر ١٢ : ٤٦)

وكانت مدة العيد سبعة أيام من اليوم الخامس عشر من نيسان الى اليوم الحادى والعشرين منه . غير أن اليوم الأول وهو اليوم الخامس عشر كان أحفل أيام الفصح

---

(١) يعرف السفود عند العامة بالسيخ

وأقدسها . ومن ثم حرم فيه كل عمل دنيوى . كما أنه كان عليهم فى اليوم السادس عشر أن يقدموا لله باكورة حصيدهم حزمة من القمح أو الشعير مع حمل صحيح حولى لتقديس الحصاد

أما بقية أيام العيد فكانوا يقدمون فيها ذبائح شتى للتكفير عن خطاياهم وآثامهم (أنظر عد ٢٨ : ١٦)

وما كان يجوز لليهودى أن يأكل فى هذا العيد من الخبز سوى الفطير ولذلك سمى أيضاً عيد الفطير

وقد كان خروف الفصح رمزاً إلى فادينا المعظم يسوع المسيح ربنا وذلك لأسباب شتى أشهرها ما يأتى :—

(أولاً) لأنه كما أن ذلك الخروف كان بلا عيب هكذا فادينا العظيم يسوع المسيح ربنا كان باراً قدوساً لم يعرف خطيئة ولا تسلط عليه أثم (١ بط ٢ : ٢٢).

(ثانياً) كما أن خروف الفصح الذى بلا عيب أى البرى كان يقتل نيابة عن صاحبه المذنب الذى يستحق القتل هكذا ربنا له المجد قد قتل وهو برىء من الخطية نيابة عن الانسان .

المذنب الذى كان يستحق القتل

(ثالثاً) لأنه كما خلص ابكار اليهود من الملاك المهلك برشاس دم خروف الفصح على قائمتى الباب وعتبته هكذا خلصنا نحن البشر برشاش دم فادينا على قلوبنا من الهلاك الأبدى (عب ٩ : ١٤)

(رابعاً) وكما كان يذبح خروف الفصح فى اليوم الرابع عشر من شهر نيسان هكذا صلب مخلص العالم فى هذا الوقت (يو ١٨ : ٢٨)

(خامساً) وكما كان يشوى خروف الفصح على سفودين متقاطعين على هيئة صليب هكذا مات الفادى مصلوباً على صليب (مت ٢٧ : ٣٥)

(سادساً) وكما كان يؤكل خروف الفصح صحيحاً بحيث لا يكسر منه عظم هكذا حدث أن فادينا لم يكسر منه عضو وقت موته أسوة بالمصلوبين معه (يو ١٩ : ٣٣)

(سابعاً) شى خروف الفصح على النار رمز بليغ إلى آلام الفادى التى تكبدها فى روحه وجسده على الصليب

« مت ٢٦ و٢٧ »

(ثامناً) قد أمر الله بنى اسرائيل أن يأكلوا فى هذا العيد فطيراً سبعة أيام وكل نفس تأكل خبزاً مختمراً فى هذه المدة تقطع من شعبها « خر ١٢ : ١٥ » وذلك لأن الخمير حسب اصطلاح الكتاب المقدس يشير دائماً إلى الخطيئة (١ كو ٥ : ٨) كما أن معنى السبعة هو الكمال والاتمام . وفى ذلك أشارة جلية إلى وجوب امتناع المسيحى عن عمل الخطيئة كل أيام حياته « المرموز اليها بالاسبوع » بعد أن تقدس بدم حمل الفصح الجديد الذى هو دم يسوع المسيح ربنا

« تاسعاً » كما أن الشريعة كانت تمنع من كان نجساً عن أكل خروف الفصح (عد ٩ : ٦) هكذا من كان نجساً بالاثم لا يجوز له أن يتناول جسد الرب الذى هو الفصح الحقيقى لان من تناول منه بدون استحقاق يكون مجرماً فى جسد الرب ودمه « ١ كو ١١ : ٢٩ »

وأخيراً لما كان عيد الفصح اليهودى رمزاً الى حادثة الصليب لذلك سمى عيد القيامة بعيد الفصح المجيد

الفصل الثالث

فى

عيد الخمسين أو الجمع أو الحصاد

عيد الخمسين : ويقال له بالعبرانية عيد العنصرة وباليونانية البنديكستي . وتسمى بذلك لانه كان يُحتفل به بعد عيد الفصح بخمسين يوماً أو سبعة أسابيع (لا ٢٣ : ١٥)

ولكونه كان يقع وقت حصاد الحنطة عُرف أيضاً بعيد الجمع أو الحصاد . وقد أقيم هذا العيد تذكاراً لنزول الشريعة على يدى موسى النبى فى برية سيناء فكان الغرض منه الشكر لله على سن الشريعة واستحصاد غلة الارض وقد كان يقدم فيه كل انسان رغيفى خبز باكورة حصاده مع محرقات وذبائح معينة وكان العيد يوماً واحداً (لا ٢٣ : ١٣ ، عد ٢٨ : ٢٦)

وفى هذا العيد نفسه حل الروح القدس على التلاميذ فى علية صهيون (اع ٢ : ١) وقد اختار جل شأنه ذلك العيد لحلول الروح القدس على التلاميذ ليشاهد الذين كانوا مجتمعين فى أورشليم من سائر أقطار الارض الغرائب التى تعلقت بحلول الروح القدس ويسمعوا وعظ الرسل وتبشيرهم بقيامة المسيح بعد صلبه وموته لنفع أنفسهم ولكى يوزعوا البشرى فى كل البلاد التى يرجعون اليها

وبما أن فى هذا العيد حدثت الحادثة الثانية العظمى فى تاريخ العالم وهى مجىء الاقنوم الثالث من اللاهوت الاقدس لبنيان الكنيسة وامتدادها فى سائر انحاء العالم لذلك تحتفل به الكنيسة احتفالاً عظيماً وما زال يُعرف عندها بعيد العنصرة أو البنديكستى أو الخمسين لأنه يقع بعد عيد القيامة المجيد بخمسين يوماً .

الفصل الرابع

فى

عيد المظال

تعيّن هذا العيد ذكراً لاقامة بنى اسرائيل فى البرية حيث كانوا يسكنون الخيام . وشكراً لله على الحصاد والقطاف .

وكانوا يحتفلون به فى اليوم الخامس عشر من شهر تشرى أى بعد عيد الكفارة بأربعة أيام ويستمر الاحتفال ثمانية أيام متوالية غير أن اليوم الثامن كان عيداً مستقلا وأحفل أيام العيد يتركون فيه سكنى المظال ويعتزلون سائر الاعمال الدنيوية الغير الضرورية (لا ٢٣ : ٣٦)

وكانت الخيام تُضرب على سطوح المنازل أو خارجها مصنوعة من أغصان الأشجار الخضراء الكثيفة الاوراق

وفى اليوم الأول من العيد يضمون سعف النخل وأغصان الزيتون حزماً يحملونها بأيديهم طيلة ذلك النهار مترنمين بالآية القائلة : «احمدوا الرب لأنه صالح والى الأبد رحمته» (مز ١١٨ : ١) وعند الترنم يرفعون الحزم ويهزونها ثلاث مرات . وفى نهاية النهار يضعون تلك الحزم فى الهيكل وينصرفون الى خيامهم

أما بقية أيام العيد فكانوا يترددون فيها على الهيكل وفى أيديهم تلك الأغصان والأبواق من حولهم تدوى فى الآفاق بينما الكهنة يدورون حول المذبح قائلين «أوصنا يا رب ساعدنا يا رب نجحنا» وكانوا يكررون تلك الدورة سبع مرات فى اليوم السابع تذكاراً لطواف آبائهم حول أريحا واستيلائهم عليها .

ومن أبهج عاداتهم فى ذلك العيد أن رئيس الكهنة يذهب كل صباح من أيام العيد مع جمع غفير الى بركة سلوام ويغترف من مائها فى أبريق من ذهب ويأتى به الى الهيكل بحفل عظيم ثم يسكبه بجانب المذبح ممزوجاً بخمر تذكاراً

لاخراج موسى الماء من الصخرة فى البرية (عد ٢٠ : ١١) وهذه الحفلة هى التى شاهدها ربنا له المجد فى آخر أيام العيد فنادى قائلا : « إن عطش أحد فليقبل الىّ ويشرب » (يو ٧ : ٣٧) منزّلا نفسه بذلك منزلة الصخرة التى شرب منها عطاش الاسرائيليين فى البرية (١ كو ١٠ : ٤)

ليقبل اليه عطاش النفوس ويرتووا من ينابيع المغفرة وسلام الضمير والمصالحة مع الله .

أما الذبائح المأمور بها فى هذا العيد فكانت أكثر منها فى غيره (راجع عد ٢٩ : ١٢ — ٣٤)



الفصل الخامس

في

عيد السنة الجديدة

كان لليهود سنتان إحداهما دينية والأخرى مدنية . وكانت الاولى تستعمل فى تعيين الاعياد وقضاء الفرائض الدينية وتبتدىء فى فصل الربيع . والأخرى تستعمل فى الاحوال المدنية وتبتدىء فى فصل الخريف

وبما أن سنتهم كانت قمرية فلأجل تطبيقها على السنة الشمسية كانوا يضيفون على كل ثلاث سنين شهراً يجعلونه تسعة وعشرين يوماً ويسمونه أذار الثانى لان آخر شهر فى السنة الدينية يسمى أذار وأولها يسمى أبيب ومعناه سنبلة خضراء وهو الشهر الذى خرج فيه بنو اسرائيل من أرض مصر غير أنه بعد الجلاء البابلى دعى (نيسان)

(راجع خر ١٢ : ٢، ١٣ : ٣، ٢٣ : ١٥، نح ٢ : ١)

وبهذه الزيادة أمكن أن تكون الاعياد اليهودية متفقة وتحديد زمنها أى أنها تستمر على وتيرة واحدة فى الوقت فلا تأتى مرة فى الصيف ومرة فى الشتاء

وكانت السنة المدنية التى أولها تشرين أو ايثانيم (١ مل ٨ : ٢) تبتدىء فى أوائل الشهر السابع للسنة الدينية . وكان ذلك اليوم وهو أول السنة يوم هتاف ونفخ فى الأبواق من شروق الشمس الى غروبها ويحرم فيه كل عمل ما عدا الضرورى الذى لا بد منه . وبعد تقديم الذبيحة المعينة يعطى الكهنة البركة والشعب الذى يقبلها يكون طارحاً نفسه أمام الله طالباً اليه أن يجعل لهم العام الجديد عام سعادة ثم ينصرفون مهنئين بعضهم بقول أحدهم للآخر (قدّر لك الله العام الجديد عام سعادة ومنحك الخالق عاماً جديداً سعيداً) فيجيبه بقوله (وأنت كذلك)

(راجع لا ٢٣ : ٢٥، عد ٦ : ٢٣ — ٢٧، ٢٩ : ١)

الفصل السادس

فى

عيد اليوبيل

اليوبيل كلمة عبرية معناه البوق أو الهتاف أو الفرح وسميت سنة اليوبيل بهذا الاسم لأنها كانت تُعلن للشعب بالنفخ فى أبواق الهتاف التى كانت تصدح مبشرة بقدوم تلك السنة قبل حلولها بتسعة أيام متوالية ، وقد كانت سنة اليوبيل سنة الأفراح والسرور ورغد العيش والحرية . لأنها متى أقبلت ألغيت عقود البيع والرهن و نقضت صكوك الدين وعقد على رؤوس العبيد أكاليل العتق والحرية وأطلقت الكروم والحقول لمن يريد دخولها وأكل ثمارها .

على أنه تجنباً للغبن والظلم كان بيع الارض وشراؤها

على حسب السنين الباقية لليوبيل أى أنه اذا أضطر أحد الى بيع شيء من أرضه ما كان يجوز للشارى أن يشتريه إلا لمدة بين اليوبيلين كما أنه كان عليه أن يرده الى صاحبه فى اليوبيل الثانى أو الى أهل صاحبه اذا كان قد مات . وذلك واضح من قوله تعالى : « وتقدسون السنة الخمسين وتنادون بالعتق فى الأرض لجميع سكانها تكون لكم يوبيلاً وترجعون كلٌّ الى ملكه وتعودون كل الى عشيرته . . . حسب عدد السنين بعد اليوبيل تشترى من صاحبك وحسب سنى الغلة يبيعك على قدر كثرة السنين تكثر ثمنه وعلى قدر قلة السنين تقلل ثمنه لأنه عدد الغلات يبيعك فلا يغبن أحدكم صاحبه بل اخشَ إلهك » (لا ٢٥: ١٠ــ١٨) وقد قال أحد علماء الناموس شرحاً لذلك (أراد الله بتلك الشريعة ان ينصف الفقير من الغنى فلا يسومه خسفاً وطغياناً ولا يحتاز كل ماله بطريق بيع أو رهن أو اغتصاب ولا يسترقه استرقاقاً مؤبداً)

وقد كان الاحتفال بعيد اليوبيل يبتدى فى اليوم

العاشر من الشهر السابع أى على أثر نهاية يوم الكفارة العظيم لانهم بعد أن يتحققوا أن الله غفر لهم خطاياهم وأبرأهم من ديونهم يأخذون فى ابراء مدينيهم مما لهم عليهم من الدين .

وقد احتفلت الأمة اليهودية بأول سنة يوبيلية بعد مضى خمسين سنة لامتلاكهم أرض كنعان وتعميرها

وقد كانت سنة اليوبيل رمزاً الى شريعة المسيح التى حررتنا من عبودية الخطيئة والجهل ، وردت الينا ميراثنا السمائى ووفت ديوننا للعدل الالهى بموت يسوع المسيح ربنا فداء عنا ؟

الفصل السابع

فى

عيد الكفارة

لقد تعين هذا العيد للكفارة عن الآثام والمعاصى التى يرتكبها الشعب اليهودى فى مدة تلك السنة . وكانوا يحتفلون به فى اليوم العاشر من شهر تشرين وهو الشهر السابع لسنتهم الدينية . وكانت تمارس فيه طقوس خاصة ترمز الى يوم الكفارة العظيم الذى قدم فيه ربنا ذاته الكريمة كفارة عن خطايا كل الناس فى سائر الدهور والعصور (عب ٩ : ١٢) ومن ثم كان من أعظم أيام السنة اعتباراً .

(راجع ما جاء عن هذا العيد فى ص ١٢٦)

الطاهر والنجس والمحلل والمحرم

فى

الشريعة الموسوية

تمهيد : كانت الشريعة الموسوية تعتبر النجاسة نوعين نجاسة روحية أو معنوية وهى نجاسة الخطيئة التى تدنس النفس . والآخر نجاسة بدنية أو حسية وهى التى تدنس الجسد .

فباعتبار النجاسة الأولى وهى نجاسة الخطيئة ليس شىء من الأمراض أو من جنس الأطعمة نجساً فى حد ذاته أو مدنساً للانسان

أما باعتبار النجاسة الثانية وهى نجاسة الجسد فتكون بعض الأمراض كالبرص منجساً للجسم لأنه يصير صاحبه غير أهل لخدمة الله . وكذلك تكون لحوم بعض الحيوانات منجسة للجسم أيضاً لانها تصير آكليها عرضة اشتى

الامراض . إما لاغتذائها بأشياء قذرة كالخنازير . وإما لغرائزها المكروهة التى يمكن نقلها الى الانسان باغتذائه من لحومها أو ألبانها حيث ثبت أن تناول لحوم الجمال باستمرار يولّد الحقد كما أن شرب ألبان الأتن يساعد على خشونة الطبع .

أما أشهر ما كانت تعتبره الشريعة الموسوية نجساً وينجس الانسان فهو : —

(١) بعض الحيوانات (٢) الجثث الميتة (٣) البرص (٤) مباشرة فعل الزواج والاحتلام والطمث



الفصل الأول

فى

الحيوانات الطاهرة والنجسة

لقد حللت الشريعة الموسوية أكل لحوم بعض الحيوانات وحرمت البعض الآخر لاعتبارها اياه نجساً. وكان الغرض من ذلك فصل اليهود عن سائر الامم لكى يعلمهم الله الدين الحق فيحفظوه الى أن يأتى المسيح

وقد كانت الحيوانات عند اليهود أربعة أقسام:

(١) برية (٢) مائية (٣) هوائية (٤) هوامية

أولاً. الحيوانات البرية: كانت تميز الحيوانات البرية الطاهرة من النجسة بأمرين أحدهما انشقاق الظلف انشقاقاً بيّناً تاماً. والآخر الاجترار وهو إخراج بعض الحيوانات الطعام من باطنه الى فيه وأكله إياه

وقد ذكرت الشريعة الحيوانات البرية الطاهرة بأسمائها فضلاً عن علاماتها وهى البقر والضأن والمعز والايّل والظبي واليحمور والوعل والرئم والتيتل والمهاة (تث ١٤: ٤) أما الحيوانات البرية الغير الطاهرة فلم تذكرها كلها بأسمائها بل ذكرت بعضها كالجمل والخنزير والأرنب وتركت البعض الآخر لأن فى ذكر علامتيها دليلا كافياً عليها .

ثانياً . الحيوانات المائية : تميزت الحيوانات المائية الطاهرة من النجسة بعلامتين الأولى أن تكون ذات حرشف والثانية أن تكون ذات زعانف كالحوت . فما كانت له احدى العلامتين أو كلتاها كان طاهراً وإلاّ فهو نجس (لا ١١ : ٩ — ١٢)

ثالثاً . الحيوانات الهوائية : لم يذكر المشرّع لهذا النوع شيئاً من العلامات التى تميز طاهره من نجسه . بل ذكر كلاً من القسمين بأسمائه . فمثال الطيور الطاهرة الحمام

واليمام . ومثال الطيور النجسة . النسر والغراب
(راجع لا ١١ : ١٣ — ٢٢)

رابعاً . الحيوانات الهوامية : لم يذكر المشرّع لهذا النوع أيضاً علامات بل ذكرها بأسمائها . وقد كانت كلها محرمة وما زالت حتى الآن مكروهة كالثعبان والعقرب والبرص والوزغة والحرباء (لا ١١ : ٣٠)

وهناك نوع آخر من اللحوم حُرم على اليهود أكله وهو لحم الجدى المطبوخ بلبن أمه (خر ٢٣ : ١٩) وقيل إن الشريعة حرمت طبخ لحم الجدى بلبن أمه لما فيه من القساوة فى قلب الطابخ .

وقيل إنهم نُهوا عن ذلك حتى لا يشاركوا الوثنيين فى خرافاتهم وهى أنهم كانوا فى أعيادهم يطبخون الجدى بلبن أمه ويرشونه فى حقولهم بغية الخصب فى السنة المقبلة . ولهذا بعد أن تكلم المشرّع على الأعياد ختم كلامه بقوله : « لا تطبخ جدياً بلبن أمه » (خر ٢٣ : ١٩) أى لا تعمل فى أعيادك ما يعمله الوثنيون .

هـذه هى الحيوانات الطاهرة والنجسة فى الشريعة الموسوية غير أنه قـد ألغى التمييز بين الطاهر والنجس فى شريعة الانجيل وأصبح من يأكل من هذه أو تلك فى حكم واحد عنـد الله

(راجع اع ١٠ : ١٣ ، رو ١٤ : ١ — ٣ ، كو ٢ : ١٦)

الفصل الثانى

فى

الجثث الميتة

ان الشريعة الموسوية لم تعتبر أكل لحوم بعض الحيوانات نجساً ومنجساً من يأكله فقط كما ذكرنا فى الفصل السابق بل اعتبرت جثث تلك الحيوانات نجسة أيضاً ومنجسة من يلمسها وإن كان لمسها لا ينجس وهى حيـة

(لا ١١ : ٢١) ولا سيما جثة الانسان فانها كانت تعد أنجس من كل شىء لان لمس جثة البهيمة ينجس الى المساء فقط . أما لمس جثة الانسان فينجس الى سبعة أيام (عد ١٩ : ١١) ومن ثم كان محظوراً على الكاهن أن يلمس جثة ميت أو يدخل مخدعه أو أن يدفنه أو أن يسير بنعشه الى القبر ما عدا سبعة أموات وهم (أبوه وأمه وامرأته وابنه وابنته وأخوه وأخته) ولا سيما الحبر الأعظم فانه نهي مطلقاً عن أن يدنو من ميت ولو كان من أقرب الناس اليه . وقد حرمت الشريعة لمس جثة الميت تجنباً لعادات وثنية كانت شائعة بين الوثنيين وقتئذ وهى استعمال كهنتهم عظام الأموات فى السحر والشعوذة ، فاستئصالا لتلك العادة الذميمة وتحذيراً للشعب اليهودى من الاقتداء بالأمم فى هذه الرذيلة منعت الشريعة لمس الجثة الميتة منعاً تاماً سواء أكانت الجثة لانسان أم بهيمة .

أما جلود الحيوانات الميتة طاهرة كانت أم نجسة فمتى دبغت تطهرت وحل لبسها لأنها أصبحت فى حكم الحية . ؟

الفصل الثالث

فى

البرص

البرص مرض مكروه مؤلم . ومن تأثيره أنه يميت أعضاء الجسم على التوالى . وقد يظهر أثره أولاً فى الجلد ثم يسرى فى سائر الاعضاء واحداً بعد الآخر حتى ينفصل بعضها عن بعض . وهو ثلاثة أنواع :

(١) برص الانسان (٢) برص الثياب (٣) برص الحيطان ..

أولاً . أعراض برص الانسان : ابيضاض الشعر وانخفاض موضع الضربة عن سائر أجزاء الجلد

أما أحواله فست : (١) قوباء أو بثرة لامعة (٢) درنة بيضاء (٣) دملة (٤) شعر قصير أشقر فى الذقن أو الرأس

(٥) لمع بيض وهى المعروفة بالبهق (٦) القرع أو الصلع

غير أن الحالتين الخامسة والسادسة يعتبر صاحبهما طاهراً ما لم يظهر فيهما نقاط أبيض ضارب الى الحمرة .

وكان على الأبرص أن يعلن برصه بشق ثيابه وكشف رأسه وتغطية شاربيه وينادى نجس نجس (لا ١٣ : ٤٥ ، خر ٢٤ : ١٧) ثم ينفصل عن الشعب فى بيت منفرد حتى يشفى . وبعد شفائه يأمر الكاهن أن يؤخذ له عصفوران حيان طاهران وخشب أرز وقرمز وزوفا . فيذبح العصفور الواحد فى إناء خزف على ماء حى وتدفن جثته فى حفرة أمام الكاهن والمريض . ثم يغمس الكاهن جناح العصفور الحى مع الارز والقرمز والزوفا فى دم العصفور المذبوح وينضح على المتطهر سبع مرات فيطهر . ثم يطلق العصفور الحى على وجه الصحراء دون الأرض العامرة ليكون فى مأمن من الخطر (انظر لا ١٤ : ١ ـ ٧)

أما تطهير الأبرص بواسطة العصفورين والأشياء المذكورة فللعلل الآتية :

(١) بما أن البرص كثيراً ما يكون قصاصاً لخطيئة النميمة والغيبة (كما قرر ذلك علماء الشريعة) ومن ثم كان التطهير منه بواسطة العصافير أبلغ رمز الي ذلك . لأن العصفور لا يفتأ يشقشق بلسانه والنمام كذلك

(٢) أختير في تطهير الأبرص الارز والزوفا لأن الارز بارتفاعه يمثل الكبرياء والزوفا بانخفاضها تمثل الوضاعة. أي أن المرض الذى تسبب من الكبرياء لا يزول إلا بالتواضع

(٣) أختير القرمز لتطهير الأبرص لأن فيه إشارة واضحة لدم الفادي الكريم الذي يبرر المرضى ببرص الخطيئة.

(٤) الماء الحى (أى الجارى) ودم العصفور اللذان بهما يطهر الأبرص من نجاسته يمثلان دم المسيح وماء المعمودية اللذين بهما يحصل الخاطىء على غفران خطاياه وبدونهما لا تكون مغفرة

(٥) العصفور المذبوح الذى دفن على مرأى من الكاهن

والمريض يمثل جسد المسيح الذى مات ودفن فى الارض على مرأى من جميع الناس

(٦) العصفور الحى يمثل لاهوت المسيح له المجد الذى اشترك فى الفداء ولم يلحقه ألم ما

* * *

﴿ أوجه الشبه بين البرص والخطيئة ﴾

تشبه الخطيئة البرص فى أمور شتى أشهرها ما يأتى :—

(١) إن كلا منهما مكروه نجس يفصل صاحبه من جماعة الله (٢) إن كلا منهما مميت . أحدهما للجسد والآخر للنفس (٣) إن كلا منهما لا يعالجه ويحكم بطهارته سوى الكاهن .

ثانياً . إعراض برص الثياب : اختلف علماء الشريعة فى برص الثياب . فقال فريق منهم انه نتيجة افساد هوام صغيرة تقرض خيوط الثياب الدقيقة كما يقرض الخشب السوس . وأول تلك الهوام الصغيرة العثة .

وقال الفريق الآخر أنه برص حقيقى كان خاصاً بالشعب اليهودى

أما أعراض ذلك البرص فكانت إما اخضراراً أو احمراراً فى الثوب (لا ١٣ : ٤٩)

ثالثاً . أعراض برص الحيطان : إن ضربة برص الحيطان لم تكن عادية بل كانت خارقة للعادة قصاصاً للأمة اليهودية

وكانت أعراض تلك الضربة نقراً فى حيطان البيت ضاربة الى الخضرة أو الى الحمرة . وقال عنها علماء الشريعة إن مقدار النقرة كمقدار فولتين أى حبتين من الفول (راجع لا ١٤ : ٣٤ — ٤٦)



الفصل الرابع

في

(١) مباشرة فعل الزواج (٢) الاحتلام (٣) الطمث

مباشرة فعل الزواج : كانت الشريعة الموسوية تعتبر مباشرة فعل الزواج الشرعى نجساً . ومن ثم كان يتحتم على من يباشره أن يكون نجساً الى المساء ولا يطهر إلا اذا اغتسل (لا ١٥ : ١٩)

أما الشريعة المسيحية فتعتبر هذا الفعل طاهراً مقدساً لا دنس فيه . غير أن الكنيسة تشير على المتزوجين أن يمتنعوا عن نسائهم فى الأيام المقدسة والمعينة لمباشرة الاسرار الآلهيــة كلفاً بالعفاف المقتضى لتلك الأسرار الطاهرة وتفرغاً للصوم والصلاة (راجع ١ كو ٧ : ٥ وعب ١٣ : ٤).

(٢) الاحتلام أو عارض الليل: كانت الشريعة الموسوية

تعتبر من عرض له ذلك نجساً ولا يتطهر منه إلا اذا غسل كل جسمه فى الماء (لا ١٥ : ١٦)

أما الشريعة المسيحية فلا تعتبر هذا العارض منجساً لصاحبه[1] لعدم صدوره عن الارادة وانتفاء الرضى به مطلقاً لامكان وقوعه من أسباب طبيعية إلا اذا كان ذلك الاحتلام ناتجاً من أسباب أفضت اليه كالتفكير العميق وأمثاله قبل النوم فى الأمور الجسدية المهيجة .

(٢) الطمث أو الحيض : كانت الشريعة الموسوية تعتبر المرأة الحائض نجسة سواء أكان الحيض لعلة الولادة أو للعلة الطبيعية العادية . ومن ثم كانت تعتزل أهل بيتها والأشياء المقدسة أربعين يوماً اذا ولدت ذكراً وثمانين[2]

---

(١) يلزم من حدث له هذا العارض أن يمتنع عن التناول فى اليوم التالى

(٢) ضاعفت الشريعة مدة التطهير فى ولادة البنت وذلك إما لأن الدم الذى يظل يخرج بعد ولادة البنت أكثر مما يخرج بعد ولادة الولد . وإما لان بنية الوالدة تضعف بولادة البنت أكثر من ولادة الصبي

يوماً اذا ولدت بنتا وسبعة أيام في أحوال الحيض العادية
(لا ١٢ : ١—٨)

أما الشريعة المسيحية وان كانت لا تعتبر المرأة النفساء
(الوالدة) والحائض بهذا الاعتبار عينه غير أن الكنيسة
تأمر كلاً من النفساء والحائض أن تراعي هذه الشريعة فيما
يختص بالذهاب الى الكنيسة واقتبال الاسرار المقدسة .

ختاماً نقول حيث أن الشريعة الطقسية كانت رمزاً
إلى ربنا يسوع المسيح . وبما أنه له المجد قد جاء وتألم عن
العالم وفي نهاية آلامه قال (قد أكمل يو ١٩ : ٣٠) أي عمل
الفداء العظيم الذي منه رموز وشعائر النظام الموسوي . ثم
انه وقت تسليمه الروح انشق حجاب الهيكل الى اثنين من
فوق الى أسفل (مت ٢٧ : ٥١) دليلاً على نسخ النظام
الموسوي وابطال كل الطقوس التي كانت تشير الى الكفارة
فاذن زالت الشريعة الطقسية اليهودية زوالا تاماً ؟

المبحث الرابع

فى

الشريعة القضائية[1]

تمهيد : لقد علمنا من المبحث السابق أن طرق العبادة فى العهد القديم تعينت بالرسوم الطقسية . أما طرق معاملة الناس لبعضهم فى ذلك العهد فقد تعينت بالرسوم القضائية . ومن ثم حدّ اللاهوتيون الشريعة القضائية بأنها عبارة عن رسوم قضائية قائمة بتعيين طرق العدالة الواجبة رعايتها فى المعاملات بين الناس . أى أنهـا أحكام سُنت لبيان طرق التعامل فى البيع والشراء والوزن والكيل والقياس .

---

(١) هذه الشريعة كانت خاصة بالامة اليهودية فى العهد القديم . أما فى العهد الجديد فقد ترك أمرها للذين يتولون سياسة المؤمنين فيأخذون منها ما يلائم الظروف والاحوال . (انظر تذييل هذا المبحث)

وعلاقات الأزواج بزوجاتهم والآباء بأبنائهم والعبيد بمواليهم ، وإثارة الحروب ومعاملة الأجانب وتعيين مدن الملجأ وتنصيب الحكام والقضاة ليقيموا العدل بين الناس فيثيبوا المحسن ويعاقبوا المسيء

وقد كانت العقوبات فى الشريعة الموسوية كغيرها من الشرائع الأخرى متنوعة متناسبة مع الجرائم كما نرى فيما يلى



الفصل الأول

فى

العقوبات (١)

أن أشهر عقوبات الشريعة الموسوية هى : —

(١) لقد آثرنا البدء بالتكلم عن العقوبات لأهميتها وطول بحثها

(١) الأعدام (٢) القود (٣) التعويض (٤) الدية
(٥) الاستعباد (٦) النفى (٧) الجلد (٨) الحبس (٩) التشهير
(١٠) الغرامة

أولاً . الاعدام : لقد فرضت عقوبة الاعدام على الجرائم الكبرى أى على الذنوب التى تقترف فى حق الله سبحانه وتعالى وعلى القتل والزنا والتمرد على الوالدين كما أبيح أيضاً إعدام السارق وهو ينقب بشرط أن يكون الوقت ليلاً . أما اذا أشرقت الشمس فلا يباح قتله لأن رب البيت يستطيع أن يستغيث عليه بغيره إن لم يستطع القبض عليه بنفسه

وقد كان الاعدام إما بالرجم أو الحرق أو الخنق

(١) الرجم : لقد كان الرجم بالحجارة من أول القصاصات وأشدها . وقد ذكر علماء الشريعة أن الجرائم التى قصاصها الرجم هى :

(١) التجديف على اسم الله سبحانه وتعالى (لا ٢٤ : ١١ — ١٦)

(٢) تدنيس يوم السبت (عد ١٥ : ٣٢ — ٣٦)

(٣) عبادة الأوثان والاغراء عليها (تث ١٣ : ٦ ، ١٧ : ٥)

(٤) سب الوالدين والتمرد عليهم (لا ٢٠ : ٩ ، تث ٢١ : ١٨)

(٥) اللواط (لا ٢٠ : ١٣)

(٦) زنا الرجل أو المرأة ببهيمة (لا ٢٠ : ١٥)

(٧) الزنا بكل من الأم ، وامرأة الأب ، والكنة (لا ٢٠ : ١١ و ١٢)

(٨) الزنا بفتاة عذراء مخطوبة (تث ٢٢ : ٢٣)

(٩) السحر الراجلى والنسأى والعرافة (لا ٢٠ : ٢٧ ، تث ٢٠ : ٢٧)

(١٠) تقديم الضحايا البشرية للصنم المدعو مولك (لا ٢٠ : ٢)

أما كيفية الرجم فهى وان كانت لم تذكر فى الكتاب المقدس إلا أنه جاء عنها فى تقاليد اليهود ما يأتى (يسير المجرم من المحكمة الى المرجم وأمامه مناد يقول « فلان يذهب به الى الرجم لذنب (كذا) وفلان وفلان شهود فان كان لأحد كلام فى ذلك يخلصه به فليتقدم ويتكلم »

ومتى وصل المجرم الى المرجم يعرى من أثوابه إلا ما يستر عورته ثم يسقى خمراً ممزوجة بمر لتخدير أعصابه ويوثق ويوضع على دكة عالية ومنها يلقيه أحد الشهود على أرض منخفضة فاذا مات قضى الامر وان لم يمت ألقى عليه الشاهد الآخر حجراً كبيراً ثم تنهال عليه الحجارة من كل صوب حتى يدفن

(٢) الحرق : هو النوع الثانى من أنواع الاعدام ولم يكن بأقل صعوبة وشدة من النوع الاول .

أما الجرائم التى كانت تستحق هذا القصاص فهى :

«١» زنى ابنة الكاهن « لا ٢١ : ٩ »

«٢» زنى الرجل بابنته . أو ابنة ابنته . أو ابنة ابنه . أو بابنة زوجته أو ابنة بنت زوجته أو حماته أو أم حماته .

وقد وصف علماء النـاموس كيفية الحرق بالطريقة الآتية « يجثو المذنب على الارض ويوضع فى عنقه حبل ويشده كل من الشاهدين بطرفيه ومتى فتح المذنب فمه صب فيه الرصـاص الذائب فيموت حرقاً . بشرط أن يبقى تام الجسم والتركيب الظاهر فيقتل ولا يحرق

«٣» الخنق : الخنق هو النوع الثالث من أنواع الاعدام ويعتبر جزءاً من النوع السابق . وكان يعاقب به من اقترف احدى الجرائم الآتية : —

«١» ضرب الأب أو الأم

«٢» ادعاء النبوة كـذباً

«٣» التنبؤ باسم إله غير الله

«٤» الزنا بزوجة القريب

«٥» معاندة الشريعة بروح الـكبرياء والطغيان (تث ١٧ : ١٢)

ثانياً ـ القَوَد : هو قصاص المثل بالمثل أو الجزاء من نفس العمل . فيقال أقاد الحاكم القاتل بالقتيل أي قتله به .

وقد كانت الشريعة الموسوية تعاقب المجرمين بهذا القصاص حيث قيل : وإن حصلت أذية تعطى نفساً بنفس وعيناً بعين وسناً بسن ويداً بيد ورجلاً برجل وكيا بكي وجرحاً بجرح ورضاً برض (خر ٢ : ٣ ، لا ٢٤ : ١٩) اللهم إلا اذا كان الضار حراً والمضرور عبداً فانه يتحرر من عبودية سيدة عوضاً عن عضوه المتلوف . على أن ذلك كله لا يكون إلا بحكم القضاة فليس لأحد أن ينتقم لنفسه .

وقد قصدت الشريعة بهذا القصاص أمرين « أحدهما » منع النـاس من الشر . لانه متى علم من يريد أن يفعل سوءاً بأخيه أن يجازى حتماً من نوع فعله فانه يمتنع « والآخر » منع الحكام من أن يزيدوا على الاستحقاق في القصاص أى يكون العقاب فى مستوى الجريمة .

ثالثاً . التعويض : كان التعويض في الشريعة الموسوية من القصاصات المحتمة فى الاحوال التى تستدعيه كالسرقة

والاعارة والوديعة والأقداس وأمثالها .

وكان التعويض يتراوح بين قيمة الخسارة أو الشيء المفقود . وخمسة أضعافه (خر ٢٢ : ١ـ ١٢)

فكان اذا وُجد المسروق حياً بين يدى السارق عوض عنه باثنين . واذا تصرف فيه ثم قبض عليه أجبر أن يؤدى أربعة أضعاف ما سرق. إلا اذا كان المسروق ثوراً فيعوض عنه بخمسة ثيران. ولعل علة ذلك أن سارق الثور يعد أكثر جسارة من سارق غيره من الحيوانات فزيد جزاؤه بنسبة جسارته (خر ٢٢ : ١ ـ ٤)

أما فيما يتعلق بالواجبات لله من أمور خدمته فى اقدس كتأدية العشور والباكورات وفداء الابكار فكان على مرتكب هذه الخطيئة سهواً أن يقدم العوض وفوقه خمسه . وعلة ذلك استعمال ما للاقداس لنفع نفسه (لا ٥ : ١٥ ــ ١٩)

رابعاً . الديّة : ويقال لها الفدية وقد جاء عنها فى الشريعة أنه إذا نطح ثور انساناً فمات فلوكلاء القتيل أو الطالبين

بدمه أن يطالبوا بقتل صاحب الثور أو يكتفوا بأخذ الفدية (راجع خر ٢١ : ٧)

خامساً · الاستعباد : فرض الاستعباد على من يرتكب بعض الذنوب كالسرقة . غير أن مدة استعباد الشخص العبرانى لا تزيد عن ست سنين إلا اذا شاء أن يبقى عبداً (خر ٢١ : ١ ـ ٦)

وقد جاء عن ذلك فى الشريعة ما نصه « ان وجد السارق وهو ينقب فضرب ومات فليس له دم ولكن إن أشرقت عليه الشمس فله دم . أنه يعوض إن لم يكن له يبع بسرقته » (خر ٢٢ : ٢ و٣)

سادساً . النفى : كان النفى من القصاصات التى تأمر بها شريعة موسى . وقد نفذها الملك سليمان فى أبيثار الكاهن حيث نفاه الى عناثوث التى كانت تبعد عن مدينته (أورشليم) بأربعة أميال (١مل ٢ : ٢٦)

غير أن عقوبة النفى لم تفرضها الشريعة على اطلاقها

خوفاً من أن يفضى ذلك بالمنفيين الى العبادة الوثنية (راجع ١صم ٢٦ : ١٩)

سابعاً . الجلد : قضت الشريعة الموسوية بجلد المذنب أربعين جلدة (تث ٢٥ : ٢) غير أن اليهود كانوا يجلدون المذنب أربعين جلدة إلاّ واحدة حذراً من الزيادة التى تجعل المجلود فى مصاف العبيد المحتقرين لأن هذا القصاص الاسرائيلى لم يكن القصد منه الاحتقار بل التأديب

وقد وصف صاحب التلمود جلد المذنب بقوله (انهم يجلدون مقدم احدى كتفيه ثلاث عشرة جلدة . ومقدم الكتف الآخر ثلاث عشرة جلدة . والصدر ثلاث عشرة جلدة . فمجموع الجلدات أربعين جلدة إلا واحدة واذا كان المجلود لا يحتمل الجلدات كلها فى وقت واحد لضعف جسمه فكانت الجلدات توزع على وقتين أو أكثر لئلا يموت)

أما الطريقة التى جلد بها ربنا له المجد فكانت فى منتهى القسوة والايلام حيث عروه وربطوه الى عمود منحنياً وضربوه على ظهره بالسوط ، وكان ذلك السوط سيوراً من الجلد

منوطاً بأطرافها قطع حادة من معدن وعظم فمزقت الجلد واللحم وأسالت الدم

ثامناً . الحبس : كان الحبس من القصاصات المرسومة في الشريعة الموسوية غير أن حبس المذنب مدة معينة لم تذكر صريحة (عد ١٥ : ٣٤)

تاسعاً . التشهير : كان هذا القصاص يعاقب به بنوع أخص من أبى أن يتزوج من امرأة أخيه المتوفى ليقيم له نسلا . حيث قيل «وان لم يرض الرجل أن يأخذ امرأة أخيه ... تتقدم امرأة أخيه اليه أمام أعين الشيوخ وتخلع نعله من رجله وتبصق في وجهه وتصرخ وتقول هكذا يفعل بالرجل الذى لا يبنى بيت أخيه فيدعى اسمه في اسرائيل بيت مخلوع النعل » (تث ٢٥:٥ ـ ١٠) فالبصق كان دليل الاهانة العظمى أما خلع النعل فكان علامة العدول عن اقتناء الأرض الموروثة عن الميت . لأن دوس الارض علامة امتلاكها

وهكذا فعلت راعوث الموابية مع الولى الذى لم

يرض أن يتزوج بها ليقيم اسم الميت على ميراثه (راجع را ٤ : ٨)

وقد اهتم المشرع بهذه الشريعة وأمر بقصاص من لم ينفذها لأن فيها دليلا معنويا على القيامة العامة . لأنه اذا كان من مات تلاشى أى زال من الوجود الى الأبد فلماذا تعطى زوجته لأخيه لبقاء أسم الميت بالنسل الذى يكون منه ؟

عاشراً . الغرامة : كانت الشريعة الموسوية تعاقب بالغرامة أيضاً . وكان يعاقب بها

« ١ » من اتخذ امرأة وحين دخل عليها أبغضها وأشاع عليها اسماً رديئاً حيث نصت الشريعة عن ذلك بقولها : فيأخذ شيوخ تلك المدينة الرجل ويؤدبونه ويغرمونه بمئة « شاقل » من الفضة ويعطونها لأبى الفتاة لأنه أشاع اسما رديئاً عن عذراء من اسرائيل (تث ٢٢ : ١٣ ـ ١٩)

«٢» من راود فتاة عذراء غير مخطوبة حيث قيل : اذا وجد رجل فتاة عذراء غير مخطوبة فأمسكها واضطجع معها

فوجدا . يعطى الرجل الذى اضطجع معها لابى الفتاة خمسين (شاقل) من الفضة وتكون هى له زوجة من أجل أنه قد أذلها . لا يقدر أن يطلقها كل أيامه (تث ٢٢ : ٢٨و٢٩)

« ٣ » من ضرب انسانا فلزم الفراش حيث قيل : واذا تخاصم رجلان فضرب أحدهما الآخر بحجر أو بلكمة ولم يقتل بل سقط فى الفراش فان قام وتمشى خارجا على عكازه يكون الضارب بريئاً إلا أنه يعوض عطلته وينفق على شفائه (خر ٢١ : ١٨ و١٩) أى يغرم بنفقة علاجه

هذه هى أشهر أنواع العقوبات التى فرضتها الشريعة الموسوية على المجرمين غير أنها كانت توقع على الانسان فقط . أما ما جاء عن العقوبات التى كانت تنزل بالبهائم كرجم الثور النطاح وغيره فكان ذلك عقاباً لأصحابها الذين لم يضبطوها « انظر خر ٢١ : ٢٨ »

الفصل الثانى

فى

طرق التعامل فى البيع والشراء والوزن والكيل والقياس

لما كان أخص ما يحفظ به نظام المجتمع الانسانى هو مبادلة الناس بعضهم بعضاً فى ما يحتاجون اليه بواسطة البيع والشراء . لهذا اتخذت الشريعة الاحتياط الكامل فيما يتعلق بعقود البيع والشراء (لا ٢٥ : ٢٣) وتعيين الموازين والمكاييل والمقاييس بأن جعل موسى فى الخيمة قسطاساً أو معياراً لتعيين المقادير والمثاقيل . وقد نقلت هذه المعايير إلى الهيكل بعد بنائه وكان الكهنة مكلفين بالمحافظة عليها (راجع خر ٣٠:١٣، لا ٢٧:٢٥، ١اى ٢٣ : ٢٩) وذلك ايجاب للعدل ووقاية للمساكين بنوع أخص من الغبن لأن الوزن

المغشوش يجلب الظلم والظلم يزيد الفقر

ولما لم يكن للعبرانيين الاقدمين دراهم مسكوكة يتجرون بها قطعوا الذهب أو الفضة قطعاً أو سبائك مختلفة المقدار وكانوا يضعونها فى كفة الميزان ويضعون فى الأخرى حجراً أو معياراً ويروزون مقدارها من الثقل . ومن ثم قال سبحانه وتعالى « لا يكن لك فى كيسك أوزان مختلفة كبيرة وصغيرة لا يكن لك فى بيتك مكاييل مختلفة كبيرة وصغيرة وزن صحيح وحق يكون لك ومكيال صحيح وحق يكون لك لكى تطول أيامك على الارض التى يعطيك الرب إلهك » (تث ٢٥ : ١٣) وقال ايضاً : « ميزان حق ووزنات حق وايفة حق وهين حق تكون لكم » (لا ١٩ : ٣٦)

وحيث أن النقود والموازين والمكاييل والمقاييس العبرانية لها أهمية خاصة فى دراسة الكتاب المقدس لهذا نذكر أشهرها مع ما يساويها من النقود والأوزان والمكاييل المستعملة الآن

(أولا) « النقود »

« ١ » الفلس يساوى بارتين أو نصف مليم (مت ٥ : ٢٦)

« ٢ » الدينار ـ من النقود الرومانية — ويساوى ثلاثة غروش وثلاثة أرباع الغرش (مت ٢٠ : ٢)

« ٣ » الدرهم ـ من النقود اليونانية ـ وقيمته كالدينار فيساوى ٣ ¾ غرش (مت ١٧ : ٢٤)

« ٤ » الاستار يساوى أربعة دراهم أو ١٥ غرشاً

« ٥ » المنا يساوى ٣٧٥ قرشاً (لو ٢٩ : ١٦)

« ٦ » الشاقل أو المثقال يساوى ١٩٢ قرشاً اذا كان من الذهب و ١٢ غرشاً اذا كان من الفضة (خر ٣٠ : ١٢، تك ٢٤ : ٢٢)

« ٧ » الوزنة تساوى ٥٧٦٠٠٠ غرشاً اذا كانت من الذهب، ٣٦٠٠٠ غرشاً اذا كانت من الفضة أو ٦٠٠٠ ليرة او ٢٥٠ ليرة انجليزية (مت ٢٥ : ١٤)

« ٨ » القسيطة لم تعرف قيمتها حتى الآن بالتدقيق وقيل انها قطعة من النقود عليها صورة نعجة أو قطعة غير

مسكوكة من الفضة تساوى ثمن نعجة أو كبش فى ذلك الوقت (تك ٣٣ : ١٩)

(ثانياً) « مكاييل الحبوب »

« ١ » الايفة وتساوى كيلة وسدس (خر ١٦ : ٣٦).

« ٢ » العمر يساوى عشر الايفة (خر ١٦ : ٣٦)

« ٣ » الصاع يساوى ثلث الايفة أو سبع أقات (٢مل ٦ : ٥)

« ٤ » القاب يساوى ربع الصاع (٢مل ٦ : ٢٥)

« ٥ » الحومر يساوى نحو ١٢ كيلة (لا ٢٧ : ١٦).

« ٦ » الكر قدر الحومر ويساوى نحو ١٢ كيله او اردب (لو ١٦ : ٧)

« ٧ » اللشك نصف الحومر ويساوى ٥ ايفات أو نصف اردب (هو ٣ : ٢)

« ٨ » الثمنية تساوى ٣١٢ درهماً (رؤ ٦ : ٦)

(ثالثاً) « مكاييل السوائل »

١ ـ الهين يسع اربع اقق (خر ٢٩ : ٤٠)

٢ ـ اللج يساوى ١٢٧ درهماً . وقيل أنه يسع ست بيضات من بيض الدجاج (لا ١٤ : ١٠)

٣ ـ البث يساوى ٢٢ أقة (لو ١٦ : ٦)

٤ ـ المطر يسع نحو عشرين وطلا (يو ٢ : ٦)

(رابعاً) « قياسات الطول »

ان قياسات الطول كانت تقدر عندالشعوب الاقدمين . كالعبرانيين واليونانيين والرومانيين وغيرهم على أعضاء الجسد وأشهرها : —

« ١ » الاصبع أو القيراط يساوى أربع قمحات (ار ٥٢ : ٢١)

٢ ـ القبضة تساوى عرض أربع أصابع « ار ٥٢ : ٢١ »

٣ ـ الفتر يساوى طول المسافة من الابهام الى السبابة (خر ٢٣ : ١٣)

٤ ـ الشبر يساوى طول المسافة من الابهام الى الخنصر (خر ٢٨ : ١٦)

٥ ـ الذراع يساوى طول المسافة من طرف الاصبع الوسطى الى رأس المرفق (تث ٣ : ١١)

٦ ـ القامة وهى عبارة عن طول قامة الانسان وتساوى ثلاث أذرع وربع بالذراع المعروف عندنا أو أربع أذرع بالذراع العبرانية (اع ٢٧ : ٢٨)

٧ ـ الجيرة وهى حبة الخروب الكبيرة وثقلها ١١ قمحة (خر ٣٠ : ١٣)

٨ ـ الغلوة قياس يونانى أو رومانى ويساوى ٣٢٥ ذراعاً أو ٥٢٠ خطوة

٩ ـ سفر سبت عبارة عن مسافة طريق كان يسوغ لليهودى أن يقطعها يوم السبت وتقدر بنحو الفى خطوة (اع ١ : ١٢)

الفصل الثالث

فى

علاقات الأزواج بزوجاتهم والآباء بابنائهم والعبيد بمواليهم

اولا . علاقات الأزواج بزوجاتهم : لقد فرضت الشريعة أن يكون بين الازواج وزوجاتهم منتهى الالفة والدالة كما يجب أن يكون بينهما أوثق الاخلاص والامانة. غير أنه اذا كانت الزوجة مكروهة من بعلها فلا يرميها بما يضر سمعتها ولا يضايقها بل يعطيها كتاب طلاق ويصرفها من بيته (تث ٢٤ : ٣)

نعم أن الأصل فى الزواج عدم الطلاق حتى يكون بين الرجل والمرأة ألفة ومحبة كاملة وذلك يتعذر اذا كان عقد الزواج قابل الانحلال . غير أن الشريعة الموسوية

أباحت الطلاق لا لاقتضاء العدالة بل لقساوة قلوب اليهود « مت ١٩ : ٨ »

وقد كان غير مباح لليهودى أن يتزوج من غير سبطه لئلا يتحول نصيب من سبط الى سبط آخر بل يلازم أسباط بنى اسرائيل كل واحد نصيبه (عد ٣٦ : ٥) وبالأولى كان محظوراً عليه أن يتزوج من امرأة أجنبية حذراً من أن تميل به الى عبادة الاوثان

غير أنه اذا رغبت المرأة الوثنية أن تترك دينها وتعتنق الدين اليهودى كان يباح التزوج بها كما حدث مع راعوث الموابية التى اعترفت بايمانها بالاله الحقيقى واختارت الرب الهاً لها دون آلهة موآب الكاذبة بقولها لحماتها : شعبك شعبي والهك الهى (را ١ : ١٦)

أما النساء الوثنيات سبايا الحرب اللواتى سبق لهن زواج من رجال وثنيين فما كان يباح لليهود الذين سبوهن أن يتزوجوا منهن الا اذا فعلن ما يدل على ترك دينهن وجنسيتهن وذلك بأن تحلق المرأة رأسها وتقلم أظفارها

وتنزع عنها ثياب سبيها ثم تقعد فى البيت تبكى أباها وأمها شهراً من الزمن (راجع تث ٢١ : ١٠)

وكما نهت الشريعة عن الزواج بالنساء الاجنبيات حذراً من أن يملن برجالهن الى عبادة الأوثان كذلك نهت عن الزواج من النساء اليهوديات ذوات القربى الدموية كالأم والأخت والخالة لما يستوجبن من الحرمة الطبيعية (راجع لا ١٨ : ٦ — ١٩)

ثانياً . علاقة الآباء بأبنائهم . كان على الآباء اليهود أن يهذبوا أبناءهم تهذيباً كاملا بتثقيفهم فى الايمان وذلك واضح من قوله تعالى لهم : ويكون حين يقول لكم أولادكم ما هذه الخدمة لكم أنكم تقولون هى ذبيحة فصح للرب الذى عبر عن بيوت بنى اسرائيل فى مصر لما ضرب المصريين وخلص بيوتنا (خر ١٢ : ٢٦) أى أنهم يرشدونهم الى الله وحسن عنايته ويقصون عليهم ما اختبروه من احسانه وأن يبذلوا الجهد فى تنبيه أذهانهم فيحملون على السؤال عن أعمال الله وعنايته ومراحمه

وكان عليهم أيضاً أن يعلموهم الصنائع حتى الموقوفين منهم للعلم والشريعة والدين لكي يستطيعوا المعاش بها اذا اقتضت الحال ويخلصوا من تجارب البطالة . وقد جاء في التلمود جواباً لقولهم : ما الواجبات على الوالد لولده ؟ « أن يختنه ويفقهه بالتوراة ويعلمه صناعة »

غير أنه كان للآباء ان يبيعوا أولادهم سداً لحاجتهم حيث صرحت لهم الشريعة بذلك بقولها : واذا باع رجل ابنته أمة لا تخرج كما يخرج العبيد (خر ٢١ : ٧) ولكنه كان نادراً عندهم ولم يأت ذلك سوى بعض فقرائهم البائسين وكان للنساء المستعبدات أن يتحررن بعد ست سنين اذا شئن . وكان للمبيعة إن لم تعامل حسناً أن تترك مشتريها ولا يرد له الثمن (خر ٢١ : ١١)

كما انه كان للآباء أيضاً ان يطلبوا رجم من كان معانداً ومتمرداً من أولادهم حيث قيل : اذا كان لرجل ابن معاند ومارد لا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه ويؤدبانه فلا يسمع لهما يمسكه أبوه وأمه ويأتيان به الى شيوخ مدينته

والى باب مكانه . . . فيرجمه جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت فتنزع الشر من بينكم (تث ٢١ : ١٨)

ثالثاً . علاقة العبيد بمواليهم

أمرت الشريعة أن لا يسام العبيد والاماء أعمالا شاقة بل يعامل كل منهم بمنتهى الرفق والشفقة وأن يستريح العبد والأمة مثل سيدهما فى يوم السبت لكثرة أعمالهما ومشقاتهما (خر ٢٠ : ١٠)

واذا أتلف المولى عين عبده عوقب ذلك المولى بأن يطلق عبده حراً . واذا ضربه بالعصا حتى مات يقتل المولى القاتل أو يؤدى الدية إلا اذا بقى العبد حياً يوماً أو يومين فان المولى يعفى من القصاص لعدم ثبوت كون موت العبد حصل بسبب ضرب مولاه له غير أنه يغرم نفقة علاجه (خر ٢١ : ٢٦)

وقد رسمت الشريعة أيضاً أن العبيد الذين يكونون من جنس اسرائيلى لا يعاملون معاملة العبيد الذين من الامم بل يعتبرون كأجراء ونزلاء (لا ٢٥ : ٥٣) فيعفون

من أعمال كثيرة . وأخصها المشى وراء مواليهم فى الطريق وحل سيور حذائهم . كما أنهم يخرجون فى السنة السابعة أحراراً بكل ما يملكون إلا اذا شاءوا أن يبقوا عبيداً (خر ٢١ : ٢ — ٧)

وقد كان من الشرائع الخاصة بالعبيد ايضاً أنه اذا هرب عبد من مولاه فلا يسلم اليه ولو كان العبد كنعانياً هرب الى أرض اسرائيل . أما سبب ذلك فيحتمل أن يكون مولاه طالباً قتله أو ليسومه عملا محرماً (انظر تث ٢٣ : ١٥)



الفصل الرابع

فى

اثارة الحروب ومعاملة الأجانب وتعيين مدن الملجأ وتنصيب الحكام والقضاة

اولاً اثارة الحرب

كان الاسرائيليون على أثر خروجهم من أرض مصر بلا نظام عسكرى. وقد كان أمامهم أراض واسعة ليمتلكوها وفى طريقهم أعداء كثيرون. فأمر موسى بتعيين رجال منتخبين لدفع الأعداء وامتلاك تلك الأرض ثم وكل ذلك الأمر ليشوع خادمه فأحسن القيام به (خر ١٧ : ٩)

وكان أول من اعتدى على اسرائيل عماليق حفيد عيسو (تك ٣٦ : ١٢) ومن ثم أمر موسى باستئصال العمالقة من على وجه الأرض (تث ٢٥ : ١٩)

ومن ذلك الحين صار لأسرائيل جيش منظم بقيادة موسى ويشوع خليفته الذى حارب أعداءه بكل شجاعة وبسالة فأعانه الله ونصره عليهم حتى امتلك أرض كنعان وقسمها لشعبه بالقرعة

وقد كان على كل اسرائيلى بلغ السن التى تخوله الانتظام فى سلك الجندية أن يحارب حروب الرب ما عدا من بنى بيتاً جديداً أو خطب امرأة أو غرس كرماً . وذلك لأن من عادة الانسان أن يكون قلبه أعلق بما أحرزه جديداً أو بما كان على وشك احرازه . ومن المحتمل كثيراً أن يحمله هذا التعلق على زيادة الخوف والجبن ويقلل من شجاعته واقدامه فيكون وجوده ضاراً أكثر مما هو مفيد (راجع تث ٢٠ : ٥ ـ ٨)

ثانياً . معاملة الاجانب .

كانت معاملة اليهود للاجانب نوعين ولائية وعدائية فكانوا يعاملونهم معاملة ولائية فى حالتين : —

(الاولى) اذا رغب الاجانب اعتناق دين اليهود والانضمام الى جماعتهم. غير أنهم لم يكونوا يقبلونهم بمجرد اظهار ميلهم للدين اليهودى بل كانوا يقبلون المصريين والادوميين فى الجيل الثالث . والموابيين والعمونيين فى الجيل العاشر بعد ختنهم . وذلك حذراً من أن ينشأ عن تعجل تدخلهم فى مصالح الشعب أخطار وأضرار

على ان هذا القانون لم يجعل داود خارجاً عن جماعة الرب اتسلسله من راعوث الموابية (را ٤ : ١٨) وذلك لأن الأولاد بمقتضى الشريعة اليهودية تابعون للأب لا للأم ولأن النهى عن الدخول فى جماعة الرب كان يتناول الرجال دون النساء

أما المخصى من الأجانب فكان يُحرّم دخوله فى جماعة الرب كل أيام حياته (تث ٢٣ : ١) ردعاً للناس عن الخصى الذى هو من أفظع الأعمال ومنعاً لروساء اليهود من خصى اخوتهم بنى اسرائيل الذين كانت تحفظ فيهم عبادة الله بالتناسل

(والثانية) اذا رغبوا (اى الاجانب) أن يقطنوا الأرض كالغرباء والنزلاء فقط فلا يضايقهم بنواسرائيل فى هذه الحال ولا يغيظونهم ولا يظلمونهم بل يواسونهم ويحبونهم كأنفسهم حيث قيل « ولا تضطهد الغريب ولا تضايقه لأنكم كنتم غرباء فى ارض مصر » (خر ٢٢ : ٢١)

أما فيما عدا ذلك فانهم كانوا يعاملونهم معاملة عدائية بأن يثيروا ضدهم الحرب ويعملوا على ابادتهم ومطاردتهم وامتلاك أرضهم بقول موسى لهم « اذكر ما فعله بك عماليق فى الطريق عند خروجك من أرض مصر كيف لاقاك فى الطريق وقطع من مؤخرك كل المستضعفين وراءك وأنت كليل ومتعب ولم يخف الله . فتى أراحك الرب الهك من جميع أعدائك حولك فى الارض التى يعطيك الرب الهك نصيباً لكى تمتلكها تمحو ذكر عماليق من تحت السماء لا تنس » (تث ٢٥ : ١٧ — ١٩)

وقد أمر موسى أن يعامل الاجانب بهذه المعاملة

خوفاً من أن يقتدى بهم بنو اسرائيل فيضلوا عن الطريق القويم . لان للضلال وقعاً فى القلوب الفاسدة أكثر من الحق . كما أن السقوط أسهل من القيام . والهدم أهون من البنيان .

ثالثاً تعيين مدن الملجأ :

لما كانت حياة الانسان ثمينة فى نظر الله وأنه يهمه تعالى حفظ الارض والشعب من التدنيس بسفك الدماء البريئة، لهذا أمر عبديه موسى ويشوع أن يعينّا مدناً الملجأ لكى يهرب اليها القاتل ضارب النفس سهواً بغير علم فتكون له ملجأ من ولى الدم وهناك يعطى له مكان فى احدى تلك المدن فيسكن فيها الى أن تجرى المحاكمة وتتبين براءة من تعمد القتل فيسكن فى تلك المدن حتى يموت الحبر الأعظم الذى يكون فى تلك الأيام وحينئذ يرجع القاتل الى مدينته وبيته . أما اذا ثبتت ادانته وعدم براءته فانه يقتل بلا رحمة (خر ٢١ : ١٤)

وكانت هذه المدن ستاً . منها ثلاث شرقى الاردن وهى باصر . وراموت جلعاد . وجولان (تث ٤ : ٤٣) واحدة فى الشمال . وواحدة فى الوسط . وواحدة فى الجنوب

ومنها ثلاث غرب الاردن بنفس ترتيب مدن الشرق وهى قادش . وشكيم . وحبرون (يش ٢٠ : ٧ — ٩) فلا يلزم القاتل أكثر من سفر ثلاثين ميلاً حتى يصل الى احدى تلك المدن .

وكانت الطريق التى تؤدى الى تلك المدن مهيأة . وعلى كل نهر معبر . وعند كل مفرق علامة تدل على الطريق الى مدينة الملجأ حيث كُتب على مفرق الطريق (الملجأ الملجأ)

وقد كانت هذه المدن أى مدن الملجأ رمزاً الى المسيح له المجد من أوجه كثيرة أشهرها أثنان :

(١) لأنه كما أن من التجأ الى تلك المدن كان ينجو من الهلاك هكذا من التجأ الى المسيح فانه لا يهلك بل تكون له الحياة الأبدية . لأنه ليس بأحد غيره الخلاص

لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص (اع ٤ : ١٢)

(٢) لأنه كما أن القاتل ما كان يرجع من منفاه ويحصل على حريته الكاملة إلا بعد موت الحبر الأعظم هكذا الخطاة لم يصيروا أحراراً من جرائمهم إلا بعد إن مات المسيح لأجلهم. قال الكتاب « فاثبتوا إذن فى الحرية التى حررنا المسيح بها ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبودية » (غل ٥ : ١)

غير أن هذه المراسيم قد تجرى على القاتل اذا كان معروفاً . أما اذا كان مجهولاً فكانت الشريعة تأمر شيوخ تلك المدينة أن يأخذوا عجلة من البقر لم تحرث ولم تحمل نيراً وينكسرون عنقها فى وادٍ مخصب ليكون هذا العمل باعثاً على إظهار القاتل وذلك للسببين الآتيين :

(١) للخسائر التى تلحق صاحب العجلة

(٢) لأن الموضع الذى تقتل فيه العجلة يحرم تفليحه وزرعه من ذلك الوقت فصاعداً .

فدفعاً لهذين الضررين كان يسهل على أهل المدينة اظهار القاتل اذا كانوا يعرفونه (راجع تث ٢١ : ١ ـ ٤)

أما علة وجود مدن الملجأ ضمن أملاك الكهنة واللاويين فلأن هذه المدن تنسب لله خاصة . ولأن الكهنة واللاويين كانوا قضاة الشريعة ونظار العدل

(رابعاً) تنصيب الحكام والقضاة :

كان الشعب اليهودى يساس بعناية خاصة من الله عز وجل . ومن ثم كان الحكام والقضاة يعينون بأمره تعالى كما يتبين من قول موسى لربه عند ما شعر بدنو أجله « ليوكل الرب اله أرواح جميع البشر رجلاً على الجماعة يخرج أمامهم ويدخل أمامهم ويخرجهم ويدخلهم لكيلا تكون جماعة الرب كالغنم التى لا راعى لها » (عد ٢٧ : ١٥)

وعلى ذلك اعتاد الكتاب أن يقول على أثر قيام الحاكم أو القاضى «فأقام الرب مخلصاً لبنى اسرائيل فخلصهم» (قض ٣ : ٩)

وقد كان ترتيب الحكم فى عهد موسى على أفضل وجه لانه كان جامعاً بين الحكم الملكى والاستقراطى والديموقراطى

فموسى كان يمثل الحكم الملكى من حيث أنه كان يسوس الشعب منفرداً على نحو ما بالرياسة على الجميع

والسبعون شيخاً كانوا يمثلون الحكم الاستقراطى (وهو سلطة كبراء الشعب أو الأعيان) أولئك الذين جاء عنهم فى انتخابهم ما نصه « فقال الرب لموسى اجمع الىّ سبعين رجلاً من شيوخ بنى اسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤه وأقبل بهم الى خيمة الاجتماع فيقفوا هناك معك » (عد ١١ : ١٦) ولما اجتمعوا « نزل الرب فى سحابة وتكلم معه وأخذ من الروح الذى عليه وجعل على السبعين رجلاً الشيوخ » (عد ١١ : ٢٥)

أما الحكم الديموقراطى (وهو مساهمة الشعب كله فى الانتخاب) فيتبين من النص الآتى حيث قال موسى للشعب (كيف أحمل وحدى ثقلكم وخصومتكم ، هاتوا

من أسباطكم رجالاً حكماء وعقلاء ومعروفين فاجعلهم رؤوسكم فاجبتمونى وقلتم حسن الأمر الذى تكلمت به أن يعمل فاخذت رؤوس أسباطكم رجالاً حكماء ومعروفين وجعلتهم رؤساء عليكم رؤساء الوف ورؤساء عشرات (تث ١ : ١٢)

أما الشروط الرئيسية التى كانت يجب أن تتوافر فى الحاكم فهى أن يكون عاقلاً ديّناً نزهياً عادلاً شجاعاً (تث ١ : ١٢)

تذييل

لقد علمنا مما سبق أن الشرائع أربع وهى الطبيعية والادبية والطقسية والقضائية .

فالشريعتان الطبيعية والادبية باقيتان بنصوصهما فى الشريعة الجديدة لانهما ترجعان فى نفسهما الى حقيقة الفضيلة

والشريعة الطقسية نسخت كلها لان تمام الحقيقة المرموز بها اليها أوجبت انتساخها وعدم مراعاتها لانها لو روعيت بعد ذلك للزم من هذه المراعاة أنها ما زالت تدل على شيء مستقبل

نعم أنه جاء عن الرسل أنهم كانوا يراعون هذه الطقوس أحياناً غير أن ذلك لم يكن لحفظها ولكن لتسهيل هداية اليهود الى الايمان فكان مثلهم فى ذلك مثل من يختن الآن لا لحفظ الشريعة ولكن مراعاة لصحته

أما الشريعة القضائية وان كانت وضعت لتنظيم حالة شعب خاص بمقتضى العدالة والانصاف . والآن تعددت الشعوب التى تدين بدين المسيح له المجد وليس هناك فرق بين شعب وآخر كما كان الحال فى زمن وضع تلك الشريعة ومع ذلك لم تنسخ هذه الشريعة بل ترك أمرها للذين يتولون سياسة المؤمنين الروحية والزمنية فيأخذون منها ما يلائم الظروف والاحوال مع مراعاة مفهومها الحقيقى حسب

النماذج التى وضعها له المجد باصلاحه بعض ما فهمه فيها ائمة اليهود خطأ . ومن ذلك ما يأتى :—

(١) أمرت الشريعة بمضايقة الاجانب وقتلهم ففهم المفسرون من ذلك أن البغض جائز مع أن المشرّع قصد العدالة لا اشباع شهوة الانتقام . ومن ثم علم له المجد بمحبة الاعداء والاحسان اليهم

(٢) رسمت الشريعة رد ضعف المسروق ففهم المفسرون من ذلك أن الطمع فى مال الغير جائز ومن ثم علم ربنا أن تقرض ولا ترجو شيئاً

(٣) رأت الشريعة مراعاة للعدالة طلاق الزوجة المكروهة صيانة لحياتها فاتخذ الفريسيون ذلك أذناً بالطلاق على الاطلاق . فأصلح ربنا له المجد هذا الخطأ وصرّح بأن عقد الزواج لا يمكن انحلاله إلا لعلة الزنى . وما كان التصريح لهم بالطلاق إلا لقساوة قلوبهم

(٤) كان يتوهم علماء الشريعة ان الاكثار من الحلف بالله محمود لأن فيه تكريماً لأسمه الأعظم فأوضح

لهم ربنا أن الأكثار من الحلف باسم الله اهانة له تعالى لان الاكثار يلازمه الحنث طبيعيا ثم ردهم الى الصواب بقوله « ليكن كلامكم نعم نعم ولا لا » وان لا يحلفوا إلا عند الضرورة

(٥) كان اليهود يفهمون بالقتل إماتة الجسد فقط فصرّح لهم ربنا له المجد بأن كل فكرة فاسدة فى الانسان يقصد بها مضرة الآخرين تدخل فى نوع القتل. وكثير غير هذه من الامور القضائية التى صحح ربنا شرحها وأبان قصد الشارع فيها فيجب مراعاة ذلك بكل حرص وتدقيق



الكلام

على

أهم الاختلافات العقدية والطقسية

بين

الكنيسة القبطية والكنائس البروتستانتية

ويعرف هذا القسم والذى يليه

باللاهوت العقدى

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد

الباب الثالث

فى

أشهر الاختلافات العقدية[1] والطقسية

بين

الكنيسة القبطية والكنائس البروتستانتية

البروتستانتية كلمة لاتينية معناها الاحتجاج ويعرف المتمذهبون بها بالبروتستانت أى المحتجين . وذلك

(١) العقيدة هى حقيقة دينية تختص بالتعليم المسيحى وفرائضه. والعقائد نوعان نوع يدركه العقل البشرى على قدر طاقته. ونوع لا يدركه ويدعى أسرار الايمان كعقيدة الثالوث الاقدس .

ومصدر سائر العقائد المسيحية هو الكتاب المقدس والتقليد الشريف .

لاحتجاجهم على المذهب الكاثوليكى أو بالحرى على رئيسه الأعلى بابا رومية

ولقد نشأت البروتستانتية فى المانيا بواسطة لوثر زعيمها المعروف الذى ترى لمحة بسيطة من تاريخه فيما يلى :

مرتينوس لوثر

ولد مرتينوس لوثر فى بلدة اسيلبن من مقاطعة ثورنجيه فى جرمانيا سنة ١٤٨٣ وسيم كاهناً متوحداً (راهباً) من طغمة مارى أغسطينوس سنة ١٥٠٧ وبعد أن درس علم اللاهوت عيّن معلماً له فى جامعة ورتمبرج

ولما ابتدع البابا لاون العاشر أوراق الغفرانات وصرح ببيعها على يدى الراهب المدعو حنا تتزل لم يرق هذا العمل فى عينى لوثر وأخذ يندد بفساده تنديداً قاسياً حتى بلغ ذلك مسامع البابا فدعاه الى رومه فلم يلبّ دعوته بل أجابه بتأليف كتابين سمى الاول (سبى الكنيسة البابلى)

والآخر (كسر ختم المسيح الدجال) فاحتدم البابا غيظاً وبادر بحرمه سنة ١٥٢٦ غير أن لوثر لم يعبأ بذلك الحرم بل أحرق جهاراً على رؤوس الملأ جميع المنشورات البابوية الخاصة بذلك وسط تهليل اتباعه واستحسانهم

ولما استفحل أمر لوثر وطغى خطره دعاه الامبراطور كارلوس الى ورمس حيث كان مجتمعاً جمهور غفير من الأمراء والاساقفة وأكابر الاكايروس وطلب اليه أن ينبذ تعاليمه هذه فأبى . واذ رآه الملك مصراً على رأيه أطلق سبيله وأمر باحراق مؤلفاته

غير أنه لما كان أكثر الأمراء ممالئين لوثر وصحبه ولا سيما امير سكسونيا لهذا لما قرر المجلس الملتئم فى مدينة اسبيير سنة ١٥٢٩ منع تعليم لوثر احتج أولئك الأمراء بشدة على هذا القرار ومن ثم دعوا بروتستانت أى مقيمين الحجة .

وظل لوثر فى مناضلة البابا ومحاجته نحو ٢٨ سنة بعد أن خلع ثوب الرهبنة وتزوج من راهبة تدعى كترين

بوريه وفى آخر حياته مرض بالفالج وتوفى فى ١٨ فبراير سنة ١٥٤٦

وإليك خلاصة الموضوعات الخلافية التى بين الكنائس البروتستانتية والكنيسة القبطية :

« ١ » التقليد
« ٢ » الايمان والأعمال
« ٣ » انبثاق الروح القدس
« ٤ » طبيعة السيد المسيح
« ٥ » الأسرار
« ٦ » المذبح والبخور والحجاب
« ٧ » الأصوام
« ٨ » الأعياد
« ٩ » شفاعة القديسين
«١٠» الأيقونات
«١١» بتولية السيدة العذراء
«١٢» تسمية القديسة مريم بوالدة الاله

«١٣» الرهبنة

«١٤» الصلاة على أرواح الموتى

«١٥» نزول المسيح الى الجحيم

«١٦» الأسفار المحذوفة

«١٧» الدرجات الكهنوتية

«١٨» اللقان

(١) « التقليد (١) »

التقليد هو التعليم أو الترتيب الذى حُفظ فى الكنيسة منذ عهد الرب والرسل ولم يودع بطون الأسفار الموحى بها . بل كان يتناقله المؤمنون خلفاً عن سلف قرناً بعد آخر بكل اجلال واحترام حرصين عليه حرصهم على

(١) انما دعى التقليد بذلك كأن المتبع يجعل قول الغير أو فعله قلادة فى عنقه

كلام الله المكتوب لوثوقهم بحقيقته وصدقه وصحة مصدره .

وهو نوعان رسولى وكنسى — فالتقليد الرسولى ما وضعه الرسل الأطهار . أما الكنسى فهو ما وضعه آباء الكنيسة فى الأجيال الأولى للمسيحية — وكلاهما ذو أهمية واعتبار جدير بالحفظ والتصديق والاجلال والاكبار ولذلك حافظت عليه جميع الكنائس شرقاً وغرباً وأحلّته محل العناية والقبول . الى أن وصل الينا سالماً مع مرور الأجيال وتعاقب الأزمان .

أما لزوم التقليد وضرورته ووجوب مراعاته فتتضح مما يأتى : —

أولاً . لأن الكتاب المقدس يشير اليه اشارة جلية ويحث على وجوب حفظه والسير بموجبه . قال بولس الرسول لأهل تسالونيكى : « فاثبتوا اذن أيها الاخوة وتمسكوا بالتقليدات التى تعلمتموها سواء كان بالكلام أم برسالتنا » (٢ تس ٢ : ١٥) وقال لهم أيضاً : « تجنبوا كل

أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التقليد الذى أخذه منا »
(٢ تس ٣ : ٦) وقال لتيموثاوس : « وما سمعته منى بشهود
كثيرين اودعه أناساً أمناء يكونون أكفاء أن يعلموا
آخرين أيضاً » (٢ تى ٢ : ٢) وقال لتيطس « من أجل هذا
تركتك فى كريت لكى تكمل الامور الناقصة ونقيم فى
كل مدينة قسوساً كما أوصيتك » (تى ١ : ٥) وقال لاهل
فيلبى : « وما تعلمتموه وتسلمتموه وسمعتموه ورأيتموه فىّ
فهذا افعلوا » (فى ٤:٩) وقال لأهل كورنثوس : « فامدحكم
أيها الاخوة على أنكم تذكرونى فى كل شىء وتحفظون
التقليدات كما سلمتها اليكم » (١ كو ١١ : ١ و ٣٤)

ومن هذه النصوص الصريحة ولا سيما النص الأخير
منها يستدل على وجوب احترام التقليد والأخذ بمنهجه لأن
الرسول مدح فيه أهل كورنثوس مدحاً فائقاً لمحافظتهم على
ما سلمه اليهم (وهو التقليد طبعاً) لأنه لم يكتب لهم شيئاً
قبل رسالته الأولى ، بل هى أول كتابته اليهم

ثانياً . حيث أنه ثابت من الكتاب المقدس نفسه أن

أموراً كثيرة مما تتعلق بالعقائد والآداب سلمها الرسل للمؤمنين شفاهاً ولم تدون فى الأسفار المقدسة لسبب أوجب ذلك فى حينه

وحيث أن التعليم الشفهى جدير بالثقة والأخذ به كالتعليم الكتابى لأنه لا يقل عنه قيمة وقوة لذا أصبحت مراعاة التقليد واحترامها أموراً لا مناص منها.

أما ما يدل على أن أوامر الرسل الشفوية لا تقل فى أهميتها ومنفعتها عن التعاليم المكتوبة فهو ما جاء عن يوحنا الرسول حيث قال « اذ كان لى كثير أن اكتب اليكم لم ارد أن يكون بورق وحبر لأنى ارجو أن آتى اليكم واتكلم فماً لفم لكى يكون فرحنا كاملاً » (٢يو١ : ١٢) وقال ايضاً « وكان لى كثير لأكتبه لكنى لست ارجو أن اكتب اليكم بحبر وقلم ولكنى ارجو أن اراك عن قريب فنتكلم فماً لفم » (٢ يو١ : ١٣)

ومن هنا يتضح أن الرسل كثيراً ما كانوا يفضلون أن يلقنوا المؤمنين فماً الى فم ما كانوا قد تلقنوه هم عن السيد

المسيح الذى لم يكتب شيئاً من أقواله قط .

ولسنا نوضح خافياً اذا قلنا إن الكنيسة لبثت مدة طويلة بلا أسفار محررة بوحى آلهى فهى ولا ريب كانت فى هذه الفترة تسير بحسب التعليمات التى تسلمتها شفوياً من الرسل. فانجيل متى كتب بعد الصعود بخمس سنوات. ورسالة كورنثوس كتبت بعد ٢٣ سنة. ورومية بعد ٢٦ سنة وانجيل يوحنا بعد ٦٤ سنة. وهكذا بقية أسفار العهد الجديد فانه كان بين بدء الكرازة وكتابتها للمؤمنين ليتخذوها قانوناً للحياة زمن بعيد جداً . الأمر الذى دل بلا محالة على أن الكنيسة ظلت ردَحَاً طويلاً من الزمن بلا تعاليم مدونة فكانت تعتمد فى سائر أمورها على التعاليم الشفوية التى تسلمتها وسمعتها من أفواه الرسل . قال الدكتور وليم أدى الامريكانى (لأنه كانت اكثر التعاليم فى عصور الكنيسة الأولى باللسان لا بالقلم) وذلك فى شرحه الآية القائلة : كما سلمها الينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة (لو ١ : ٢) ومثلهم فى ذلك كان كمثل شعب الله قديماً الذى

لم يكن لديه شيء يسترشد به سوى التقليد وذلك فى مدة تربو على الالفى سنة

ثالثاً . لمعرفة المعانى الصحيحة لآيات الكتاب المقدس التى لا تخلو من الابهام والاشكال مما يرتبج على القارىء فهمه ويحتاج معه الى بيان وافٍ يقيه شر تعويج كلام الله وتحريفه . حيث أثبت الاختبار أنه ما من ضلال إلا بناه صاحبه على آية من الكتاب أساء تفسيرها واستعمالها وعلق عليها ما شاء من المعانى الغير الصحيحة . وذلك لأن الاسفار الالهية ولا سيما أقدمها قد ألفها كتبة بعيدون عن أيامنا أجيالاً كثيرة . وتختلف عنا وطناً ، وأدباً ، ولغة ، وانشاء . فلا غرو أن تشتبه علينا فى تلك الأسفار أمور كثيرة وتلتبس .

قال القديس اغسطينوس « لم يكن مخرج الهرطقات إلا من جهة فهم الكتب الصالحة فهماً فاسداً وتأويل ما كان منها غامضاً بخلاف ما يمكن تأويله » كتأويل أريوس الفاسد لذلك النص القائل « أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلم

يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الآب[١] » (مر ١٣ : ٣٢) ذلك التأويل الذى أورثه الكفر والالحاد وقذف به الى أسفل دركات العطب والهلاك ، وجرّ وراءه ألوفاً من الناس البائسين الذين راحوا ضحية تعويجه كلام الله وتحريفه . فلو شرح نصوص الكتاب بحسب رأى الكنيسة المتفق عليه من عهد الرسل لما سقط هو وغيره فى تلك الهوة الجهنمية ولا راح العالم المسيحى من الشكوك والعثرات التى لم يزل أثرها السيء من جهة تلك العقيدة الالهية باقياً حتى الآن

وليس خطأ أريوس وحده فى شرح الكتاب هو الذى تسبب فى هلاكه وهلاك غيره ، وأحدث ذلك الجرح الدامى فى جسم الكنيسة وقتئذ ، بل كل هذه المذاهب المتعددة الآن فى الديانة المسيحية لم تكن سوى وليدة استخراج التعاليم المضادة بعضها بعضاً من الكتاب المقدس . فلو اتفق المسيحيون عامة على ما تسلمته الكنيسة من الآباء

---

(١) أنظر المجلد الأول ص ٤٣٨

فى شرح الكتاب وبيانه لما وجدت هذه المذاهب المختلفة التى وصمت المسيحية بتلك الوصمة المخجلة ووقفت عقبة كأداء فى سبيل انتشارها بين الخارجين عن حظيرتها وحملت ذويها على محاربة ومطاحنة بعضهم بعضاً بغير موجب وقد كان أحرى بهم أن يوجهوا جهودهم هذه إلى الوثنيين والغير المؤمنين.

قال الاسقف (جيب) الأنجيليكانى فى كتابه الصفة الخاصة للكنيسة ص ٢٨٧ (ان المبدأ البروتستانتى الذى يصرّح لكل أحد أن يفسر الكتاب المقدس حسب معرفته الشخصية قد منع امتداد الكنيسة وقاد تابعيه الى ما هو مضاد للايمان المسيحى. فيجب أن نفتش على الايمان المسيحى الحقيقى فى الأجيال الأولى حيث كان اتساع العلم مقروناً بنقاوة التعليم. فكل من يريد أن يتحاشى الغلط فى الايمان يجب عليه أن يلتجىء الى الكتاب المقدس كقانون أولى للايمان. ثم أيضاً الى تقليد الأجيال الاولى لتفسير الكتاب. وذلك لأنه لما كان الكتاب المقدس غامض

المعنى امتنع على الناس أن يتخذوا منه كلهم تعليماً واحداً .
فهذا يفسره بنوع ما ، وغيره بنوع آخر مختلف عن الأول
فبين هذه الاختلافات وهذه التفاسير المغايرة بعضها بعضاً
وجب أن التعليم العمومى تقوده شهادة التقليد)

قد يدّعى البعض أن الأسفار المقدسة واضحة العبارة صريحة الدلالة غير أن هذا الادعاء لا يعتبر فى نظر علماء الكتاب المنصفين إلاّ ضرباً من الجسارة والمكابرة بعد أن صرّح الكتبة الملهمون أنفسهم بأن تلك الاسفار مفعمة بالآيات والعبارات العسرة الفهم التى يحتاج معها الشارح الى الاستنارة بنور شرح الكنيسة وبيانها المتفق عليه مهما كانت درجته العلمية وثقافته الدينية ولا سيما رسائل بولس الرسول التى فيها من الكلام المعترض والتقديم والتأخير ما لو أضفناه الى ما فى تلك الرسائل من عويص المعانى ودقيق الحقائق لأغمضها وأبهمها وحال دون ادراكها وفهمها . قال بطرس الرسول عنها : « كما فى الرسائل كلها أيضاً متكلما فيها عن هذه الأمور التى فيها أشياء عسرة

الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقى الكتب أيضاً لهلاك أنفسهم » (٢ بط ٣ : ١٦) قال يوحنا فم الذهب (ليست الأسفار مستورة مكتومة فقط بل مبهمة غامضة) وقال صاحب كتاب البيان فى قاعدة الايمان ترجمة العلامة فان ديك ص ١٣٢ وهو بروتستانتى المذهب (نعم موجود فى الكتب المقدسة بعض الاماكن الغامضة ، وذلك ينتج من أسباب مختلفة . فانها كتب قديمة ونحن لا نعرف جميع العوائد والظروف التى تشير اليها . ولها سبك عبارات مخصوص لا يستعمل الآن فلا نقدر أن نفهمه فهماً تاماً . ونبوات كثيرة عن حوادث مستقبلة قد عُبِّر عنها بطريق مخصوص بحيث لا يمكن فهمها تماماً حتى بعد انجاز الحوادث المتنبأ عنها . وهى على الخصوص تتكلم عن أشياء كثيرة فوق ادراك عقولنا الضعيفة وعن الأسرار التى مع علمنا بأنها حقيقية لا نقدر أن نحيط بها علماً)

وحسبنا أن نقول أخيراً أن فى شرح السيد المسيح الكتب المقدسة لتلاميذه دليلاً واضحاً على غموضها وابهامها

وأنها فى حاجة شديدة الى الشرح والبيان (لو ٢٤ : ٤٥)

رابعاً . لتمييز الأسفار الموحى بها من غيرها .

انه ولئن كانت الأسفار التى لاريب فى أنها أسفار مقدسة لا تحتاج الى دليل غير أنه لا بدّ قبل كل أمر أن يثبّت كل سفر مقدس بالتقليد وتحديد الكنيسة . وبذلك أمكن التمييز بين أناجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا الموحى بها ، وبين أناجيل برنابا وتوما واندراوس وفيلبس المزورة قال القديس اغسطينوس (انى لولا حكم الكنيسة لما اعتقدت الانجيل)

ليت شعرى ألم يشكّ البروتستانت المتقدمون فى رسائل يعقوب ويهوذا وبطرس الثانية ويوحنا الثانية والثالثة والعبرانيين وسفر الرؤيا . ولم يقتنعوا بقانونيتها إلا اعتماداً على ما جاء عنها فى أقوال الآباء القديسين الذين عاشوا فى العصور الأولى كاثناسيوس وكيرلس وباسيليوس وغيرهم؟

فمن ذا الذى ينكر اذن ضرورة التقليد للكنيسة وهو المرجع الوحيد فى تقرير الأسفار المقدسة ، والترياق

الشافى من سموم التعاليم الفاسـدة التى تقدح فى وحى تلك الأسفار وتطعن فى تنزيلها ؟

خامساً . تتضح ضرورة التقليد ولزومه من أن سائر الـكنائس المسيحية لم يتيسر لها الاستغناء عنه حتى التى تنكره وترفضه . لأنها وان أنكرته قولاً فقد اعترفت به فعلاً . وهذا واضح من نظم طقوسها وصلواتها وترتيب اجتماعاتها . وإلا فمن أين أوحى الى الـكنائس البروتستانتية أن تحفظ يوم الأحد وتقدسه لعبادة الله عوضاً عن يوم السبت بيد أنه لم ترد نصوص صريحة فى الكتاب تؤيد الأحـد وتلغى السبت اللهمّ إلا استنتاجات من بعض حوادث ونصوص شرحها التقليد وأوضحها وصادق عليها وأيدها . ومن أين أوحى اليهم بالطقوس التى يجرونها وقت الزواج ، وعماد الأطفال ، والصلاة على جثث الموتى وما الى ذلك من سائر الاحتفالات الدينية مع أن الـكتاب لم يذكر من ذلك شيئاً : وما الذى حملهم على الاقرار والتمسك بقانون الايمان الذى وضعه الآباء ، وبأحكام وقرارات

المجامع المسكونية الأولى وكلها خارجة عن الكتاب المقدس ؟ أليست كل هذه تقاليد بأوسع معانى الكلمة ؟ أو ليس استعمالها كأمر واجب وهى غير واردة فى كلام الله المكتوب من أدل البراهين على لزوم التقليد وضرورته للكنيسة وأنه لا يقل قيمة وقوة عن الكلام الوارد فى الأسفار المكتوبة؟

هذه هى أشهر الحجج التى تعتمد عليها الكنائس المتفقة على لزوم التقليد وضرورته وهى حجج كما رأيت وافية مقنعة لأنها ذات مصادر صحيحة صادقة. أما الحجج التى تستند عليها الكنائس التى تنكره فهى واهية ضعيفة يعوزها الدليل المقنع الذى يسندها ويؤيدها لأنها ليست من الصحة فى شيء. واليك أشهرها والرد عليها : —

(١) يقولون إن التقاليد التى علمها الرسل وكتبوها واحدة أى أنهم علموا أولاً ثم كتبوا ما علموه (١)

---

(١) انظر كتاب علم اللاهوت البرتستانتى ص ٤٧

ورداً على ذلك نقول : ان هذه الحجة ساقطة من نفسها ولا تسندها آية من آيات الكتاب الذى يقول « وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع ان كتبت واحدة فواحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة » (يو ٢١ : ٢٥) ولو كانت التعاليم الشفوية هى ذات التعاليم المدونة لما قال بولس الرسول لتيموثاوس « تمسك بصورة الكلام الصحيح الذى سمعته منى فى الايمان » (٢ تى ١ : ١٣) ولما كرر عليه هذه الوصية مرة أخرى لأهميتها ولزومها بقوله « وما سمعته منى لدى شهود كثيرين أودعه أناساً أمناء » (٢ تى ٢ : ٢) الأمر الذى دل جلياً على أن هناك أشياء عديدة القاها الرسول على مسامع تلميذه وأوصاه أن يحفظها ثم يودعها أناساً أمناء ليحفظوها ويعلموها آخرين أيضاً .

(٢) يقولون إن ربنا له المجد لم يقبل التقليدات بل رفضها ووبخ اليهود توبيخاً عنيفاً لافسادهم كلام الله بواسطتها بقوله لهم : « وانتم أيضاً لماذا تتعدون وصية الله بسبب

تقليدكم » (مت ١٥ : ٣)

ورداً على ذلك نقول : ان ربنا له المجد بهذا القول لم يذم وصايا الكنيسة والتقليدات الرسولية التى لا تضاد الناموس الالهى ، بل تفيد لاثباته وتأييده ، لكنه يذم الوصايا التى تخترعها عقول البشر واختباراتهم الشخصية دون الهام الله وضد ارادته الصالحة . كمخادعة الوالدين ، والغسلات المتواترة بلا مبرر ، والتنجيس بالأطعمة وأمثالها (راجع قوله له المجد عن ذلك فى مت ١٥ : ٦ — ١٢)

(٣) يعترضون على عدم لزوم التقليد بقول موسى النبي : « لا تزيدوا على الكلام الذى انا أوصيكم به ولا تنقصوا منه » (تث ٤ : ٢) وقول صاحب الرؤيا : « وإن كان أحد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة فى هذا الكتاب » (رؤ ٢٢ : ١٨)

ورداً على اعتراضهم نقول : إن هذا القول لا علاقة له بالتقليد على الاطلاق وانما الغاية منه عدم اضافة نص أو

عبارة على ذات كتاب الناموس وسفر الرؤيا . وإلا لو كان الأمر كما يزعمون لكانت الأسفار الأخرى التى أضافها الأنبياء والرسل على أسفار الناموس والرؤيا مخالفة لكلام موسى والرائى .

(٤) يقولون اذا كانت التقليدات كلام الله غير المكتوب وضرورية للخلاص فلماذا كتب جزء من كلام الله وترك جزء غير مكتوب . ولماذا لم يكتب كل ما هو ضرورى للخلاص فى الكلام المكتوب ؟

ورداً على ذلك نقول : نعم أنه ورد فى كلام الله المكتوب ما هو ضرورى للخلاص . وانما كتبت أمور كثيرة منه بكيفية مختصرة موجزة وغير جلية أيضاً . فجاء التقليد شارحاً موضحاً لها وكاشفاً عن المعانى الغامضة المتضمنة فيها وذاكراً ما لم يذكر منها . كشريعة يوم الأحد مثلاً فانها وإن وردت فى الأقوال المكتوبة ولكنها بطريقة غير جلية فزادها التقليد ايضاحاً وبياناً وتأكيداً . ولولا التقليد لارتاب كثيرون من المسيحيين فى حفظ

يوم الأحد وتقديسه . وكذلك تعميد الأطفال فانه ورد عنه فى أقوال الله المكتوبة دلائل تفيد لزومه وضرورته ولكنها بطريقة استنتاجية فقط فأيد التقليد تلك الدلائل وزادها ايضاحاً وبياناً . ولولا التقليد لوقفت تلك الآية القائلة « من آمن واعتمد » عقبة كأداء فى سبيل تعميد الأطفال لعدم قدرتهم على معرفة الايمان الذى يجب أن يسبق العماد .

الخلاصة

يتضح مما قدمناه أن التقليد من ألزم الامور وأوجبها للكنيسة وذلك لأنه (١) يرجع اليه فى الاستدلال على صحة الكتاب المقدس وشرحه . (٢) لأنه يرجع اليه فى الاستدلال على معرفة طقوس العبادة الضرورية التى لا نص صريح عنها فى الكتاب المقدس . وهذان الأمران ولا سيما أولهما هما روح الديانة المسيحية لأن منهما تستمد مبادئها ونظمها ودستور ايمانها . غير أنه يشترط لصحة التقليد أن يكون

(١) موافقاً للكتاب المقدس (٢) مجمعاً عليه من سائر الكنائس الرسولية (٣) قديم العهد أى يمتد الى عصر الرسل أو العصور الأولى للمسيحية .

---

(٢) ﴿ الايمان والاعمال ﴾

تعتقد الكنيسة القبطية أن الايمان والأعمال معاً ضروريان للخلاص لكونهما علة التبرير . أما الكنائس البروتستانتية فتعتقد أن الأعمال غير ضرورية للخلاص لأنها ليست علة التبرير كالايمان بل هى ثمرة الايمان ونتيجة التبرير . ومن ثم لم تكن لائقة بالمسيحى إلا لتصير برهاناً ونتيجة لايمانه الحى فقط[1] . مرتكنين فى ذلك على النصوص الآتية وهى : —

---

(١) جاء عن لوثر انه قال فى مقدمة شرح رسالة غلاطية (ان الايمان وحده هو الضرورى للتبرير وكل ما سواه فلا عليه أمر ولا نهى بل هو فى حرية الانسان)

(١) اذاً نحسب أن الانسان يتبرر بالايمان بدون أعمال الناموس (رو ٣ : ٢٨)

(٢) اذا تبررنا بالايمان فلنا سلام (رو ٥ : ١)

(٣) آمن ابراهيم بالله فحسب له براً (رو ٤ : ٣)

ومن تأمل فى هذه النصوص لا يرى فيها نفياً لضرورة الأعمال الصالحة للخلاص ولكنه يرى فى النص الأول أن التبرير لا يكون بأعمال الناموس وطقوسه، بل بالايمان بالمسيح واحسانه . ويرى فى النص الثانى أن التبرير يكون بالايمان بالمسيح ونعمته . ويرى فى النص الثالث أن ابراهيم إذ صدق وعد الله واسارة بكثرة النسل وهو فى حال الشيخوخة عظّم الله ايمانه وأكبره فبرره بواسطته .

هذا ما نراه واضحاً جلياً فى هذه النصوص ومهما حاولنا لا نرى فيها غير ذلك . لأنه حاشا لكتاب الله أن ينفى ضرورة الأعمال الصالحة للخلاص لأن نفيها يترتب عليه نتائج سيئة كثيرة منها : —

(١) نسبة الظلم والاعتساف لله (٢) مقاومة قاعدة

العدل والانصاف (٣) مساواة محتقرى الشرائع بمحترميها (٤) مخالفة نصوص الوحى الالهى لبعضها

أما كونه ينسب لله الظلم والاعتساف فلأنه يدل على أن الله ينسى أتعاب رجاله العاملين . وجل شأنه وعد أنه لا ينسى أجر من سقى انسانا كأس ماء بارد (مت ١٠ : ٤٢)

وأما أنه يقاوم قاعدة العدل والانصاف فلأنه يجعل الأجر غير متعادل مع التعب مع أنه ذكر فى الانجيل صريحاً أن من ربح عشرة أمناء كوفىء بعشر مدن . ومن ربح خمسة أمناء كوفىء بخمس مدن فقط (لو ١٩ : ١٦)

أما أنه يساوى بين محتقرى الشرائع المقدسة ومحترميها فلأنه يجعل من يحفظها فى منزلة من يخالفها . مع أن صاحب الشريعة قال « ان من يسمع كلامى ويعمل به يشبه رجلاً عاقلاً بنى بيته على الصخر . ومن يسمع كلامى ولا يعمل به يشبه رجلاً جاهلاً بنى بيته على الرمل » والفرق بين الاثنين عظيم

أما النصوص التى يخالفها هذا المعتقد فكثيرة منها :

ان الايمان بدون الأعمال ميت (يع ٢ : ١٤ — ٢١) لأنه فى المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الايمان العامل بالمحبة (غل ٥ : ٦) لذلك بالاكثر اجتهدوا أيها الاخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين بالأعمال الصالحة (٢ بط ١ : ١٠) وان كان لى كل الايمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لى محبة فلست شيئاً (١ كو ١٣ : ٢) إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا (مت ١٩ : ١٧) سأعطى كل واحد منكم حسب أعماله (رؤ ٢ : ٣ ، مت ٢٥ : ٤١)

هذه بعض النصوص التى يخالفها الاعتقاد بعدم ضرورة الأعمال الصالحة للخلاص . ومنها ومن سائر الأدلة مجتمعة ينتج أن الاعتقاد بعدم ضرورة الأعمال الصالحة باطل . لأنه كما وجب علينا أن نؤمن هكذا وجب علينا أن نعمل . لأن الايمان الذى لا يثمر محبة ولطفاً ومواساة ومغفرة وتواضعاً وصلاحاً لا نفع فيه بل هو عديم الحياة . لأن

هذه الأثمار هى روحه . وكما أن الجسد الخالى من الروح هو ميت هكذا الايمان الخالى من الأعمال الصالحة هو ميت بل مؤدٍ حتماً الى الهلاك لأن كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار (مت ٣ : ٣٠)

---

(٣) « انبثاق الروح القدس »

تعتقد الكنيسة القبطية وسائر الكنائس الشرقية اعتماداً على ما ورد فى الانجيل (يو ١٦ : ٢٦) أن الروح القدس منبثق من الآب . غير أن الكنائس البروتستانتية جارت الكنيسة الرومانية فى هذه العقيدة وقالت إنه منبثق من الآب والابن . وحيث أن هذه العقيدة من أخص العقائد المسيحية الهامة فقد عنينا بشرحها شرحاً وافياً فى المجلد الاول ص ٢٨٤ وفى الباب الرابع من هذا المجلد

(٤) ﴿ طبيعة السيد المسيح المتحدة ﴾

تعتقد الكنيسة القبطية أن للسيد المسيح بعد التجسد المجيد طبيعة واحدة متحدة . أما الكنائس البروتستانتية فتقول بالطبيعتين بعد الاتحاد كالكنيسة الرومانية واليونانية . وحيث أن ذلك لا يوافق تعليم الكتاب الصحيح فقد تكلمنا عنه بما قد يفي بالحاجة فى المجلد الأول بالقسم الخاص بلاهوت السيد المسيح . وفى الباب الرابع من هذا المجلد .

---

(٥) ﴿ الأسرار ﴾

لقد تكلمنا عن الأسرار السبعة كلاماً وافياً فى المجلد الثانى ص ٣٠٥ — ٥٥١ وأوضحنا معتقد الكنائس البروتستانتية فى كل منها .

(٦) ﴿ المذبح والبخور والحجاب ﴾

تزعم الكنائس البروتستانتية أنه لا مذبح ولا بخور ولا هيكل ولا حجاب فى نظام العهد الجديد . وحجتهم فى ذلك أن السيد المسيح له المجد شق الحجاب فى يوم صلبه وبذلك ألغى هذا النظام وأبطله . وهو برهان واهٍ ضعيف إذ أن ذلك لم يخرج عن كونه معجزة من معجزات ذلك اليوم العظيم كانكساف الشمس وتزلزل الارض وتشقيق الصخور وتفتيح القبور والى غير ذلك من الحوادث التى حدثت فى ذلك اليوم اجلالاً وتعظيماً لتلك الساعة الرهيبة التى فيها أسلم سيد الكل روحه الطاهرة فى يدى الآب

ولو سلمنا بأن ذلك كان دليلاً على إلغاء الذبائح الدموية والطقوس الموسوية فليس لنا أن نتخذه دليلاً على الغاء كل حجاب فى أمكنة العبادة على الاطلاق . لاسيما اذا كان الفرق بين الحجابين القديم والحالى بعيد الجوانب . فالأول كان حجاباً بالمعنى الصحيح لانه كان يحجب قدس الاقداس

عن بقية أجزاء الهيكل فلا يدخله سوى رئيس الكهنة مرة واحدة فى السنة . أما الحجاب الثانى فليس له شىء من هذا المعنى مطلقاً . وانما تعتبره الكنيسة كفاصل أو حاجز يفصل بين المصليين والهيكل حفظاً للنظام والترتيب وتمييزاً لهذا الجزء الأقدس من سائر أجزاء الكنيسة وإن كانت كلها فى منتهى الطهر والقداسة . فقد كان قدس الأقداس أكثر قداسة من سائر أجزاء الخيمة بيد أنها كانت بجملتها طاهرة ومقدسة .

أما كون هذه الموضوعات وهى المذبح والذبيحة والبخور والحجاب لم تبطل فى نظام العهد الجديد فظاهر من نصوص الكتاب الصريحة : حيث قيل عن المذبح والذبيحة فى نبوة أشعياء ما نصه : « فى ذلك اليوم يكون مذبح للرب فى وسط أرض مصر ويعرف المصريون الرب فى ذلك اليوم ويقدمون ذبيحة وتقدمة وينذرون للرب نذراً ويوفون به » (اش ١٩ : ١٩) وهذه النبوة تشير بلا شك الى المذبح المسيحى الذى قصده بولس الرسول بقوله :

« لنا مذبح لا سلطان للذين يخدمون المسكن أن يأكلوا منه » (عب ١٣ : ١٠) لأن المذبح اليهودى لا يبنى إلا فى أورشليم كما يعرف ذلك المطلعون على حقائق الكتاب (تث ١٢ : ١٣)

نعم إن القائلين بعدم وجود مذبح فى النظام الجديد يدّعون فى تفسير هذه الآية دعوى غير صحيحة وهى (ان رئيس الكهنة اونياس التجأ الى مصر فى زمن انطيوخوس ابيفانس وبنى هيكلاً على رسم الهيكل الاورشليمى وطبعاً كان فيه مذبح) ومع ما فى هذا الشرح من التعسف والمغالطة فاننا لو سلمنا به لوقفت أمامنا عقبة كأداء فى هذه الآية لا يستطاع تذليلها وهى قوله : « فيعرف الرب فى مصر ويعرف المصريون الرب فى ذلك اليوم » لأنه من الواضح البيّن أن المصريين لم يكونوا ليعرفوا الرب إلا فى عهد المسيحية فقط . أما قبل ذلك العهد فقد كانوا يعبدون صفات الله فى أشكال الحيوانات والجمادات ومظاهر الطبيعة . ومن ثم لا يمكن أن تشير هذه النبوة

بالضرورة إلا على المذبح المسيحى دون سواه

وهناك برهان آخر على وجود المذبح المسيحى أجلى وأوضح مما سبق وهو قول ربنا له المجد : « فان قدمت قربانك على المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك وحينئذ تعالَ وقدم قربانك » (مت ٥ : ٢٣)

واذا قال المعترض إن هذا القول كان موجهاً الى جماعة اليهود لا المسيحيين لأن المذبح الوارد ذكره فى هذه الآية انما هو مذبح اليهود الذى لم يعرف الرسل غيره . قلنا كلا . ان السيد المسيح كان يتكلم عن مذبح المسيحيين لأن قوله هذا كان من قبيل اتمام الشريعة الموسوية واتمام هذه الشريعة انما كان للمسيحيين لا لليهود . وان من يقرأ الآيات الواردة قبيل هذه الآية بامعان وترو تظهر له هذه الحقيقة ظهوراً جلياً لا لبس فيه . حيث أنه بعد أن ذكر له المجد تعليم الفريسيين عن وصية القتل فى نظام العهد القديم

أخذ يتكلم عن نظام العهد الجديد فيما يتعلق بذلك مبيناً ما يجب على الانسان عمله من مصالحة أخيه قبل تقدمه الى المذبح اذا صدر منه ما يؤدى الى مخالفة هذه الوصية بقوله : « قد سمعتم انه قيل للقدماء لا تقتل . . . وأما أنا فأقول لكم . . . إن قدمت قربانك على المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك » (مت ٥ : ٢١)

ومن هذا يتضح أن المذبح المقصود ليس المذبح اليهودى بل المسيحى . لأن الكلام عنه كان داخلاً فى دائرة الكلام عن الشريعة الجديدة ومنقطعاً تمام الانقطاع عن الكلام الخاص بالشريعة القديمة . وفضلاً عن ذلك فان المذبح اليهودى كان حينئذ على وشك الزوال فلا داعٍ لوضع شرائع ووصايا تتعلق به . لا سيما وان واضع هذه الشريعة هو ربنا يسوع المسيح العليم بما سيؤول اليه أمر هذا المذبح بعد بضع سنوات فليس من الحكمة فى شيء وضع شرائع خالدة عنه وهو فى دور الاحتضار . قال بولس الرسول :

لنا مذبح لا سلطان للذين يخدمون المسكن أن يأكلوا منه (عب ١٣ : ١٠) ومن أمعن النظر في هذه الآية يقتنع بأن للمسيحيين مذبحاً خاصاً بهم غير المذبح اليهودي الذي لا يحق لمن كان متمسكاً باليهودية أن يشترك فيه .

البخور

أما عن البخور فيقول الله على لسان ملاخي النبي « في كل مكان يقرب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة لان اسمي عظيم بين الامم قال رب الجنود » (مل ١ : ١١)

قد يقول المعترض إن هذه النبوة خاصة بالامة اليهودية ولكن المنصف الذي لا يتوخى سوى الحق والصواب يرى أنها لا علاقة لها بتلك الامة مطلقاً . لأن الأمة اليهودية لم يصرّح لها بتقديم البخور إلاّ في مكان خاص وهو هيكل سليمان (تث ١٢ : ١٢). بيد أن هذه النبوة تدل صراحة على أن البخور المتنبأ عنه يقرّب في سائر انحاء العالم وهو

وصف لا ينطبق إلاّ على الكنائس المسيحية التى توقد البخور على مذبحها من مشارق الشمس الى مغاربها . هذا فضلاً عن أننا لو سلمنا بأن هذه النبوة تحمل على الأمة اليهودية لكانت لغواً لا قيمة لها . لأن النبوة الصحيحة هى ما كانت عن أمور مستقبلة لم تتم بعد . ومما لا ريب فيه أن الأمة اليهودية كانت تقدم بخوراً على مذبحها ليس فى زمن هذه النبوة فقط بل قبل الانباء بها بآلاف من السنين . ومن ثم يكون التنبؤ عن ذلك من باب تحصيل الحاصل وهو ما تنزه عنه كتاب الله تنزيهاً مطلقاً . وعدا ذلك فان هذه النبوة تنبيء أيضاً بأن اسم الله يكون عظيماً بين الأمم وواضح أن اسم الله لم يتمجد ويتعظم بين معاشر الامم إلا بعد انتشار الديانة المسيحية فى سائر انحاء المسكونة . فاذن هذه النبوة لم تكن إلا أخباراً وشرحاً وافياً لما هو عتيد أن يكون فى الكنائس المسيحية خلال الايام المقبلة من مذبح وذبيحة وهيكل وبخور .

الخلاصة

حيث أنه ثبت من النصوص الالهية المتقدمة أن هناك مذبحاً وذبيحة وبخوراً فلا بد من حجاب وهيكل وكاهن أيضاً . لأن تلك من مستلزمات هذا النظام الذى استحسنه الله فوضعه للانسان منذ عرف كيف يعبد خالقه قال بولس الرسول : « حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم مباشراً لانجيل الله كاهن ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدساً بالروح القدس » (رو ٥ : ١٦) وقال أيضاً : « فلو كان بالكهنوت اللاوى كمال ماذا كانت الحاجة بعد الى أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكى صادق » (عب ٧ : ١١ ، مز ١١٠ : ٤) ومعنى هذا القول الالهى أنه بعد أن زال الكهنوت الاسرائيلى لعجزه عن الكمال لم يبطل الكهنوت مرة واحدة بل أقيم مكانه كهنوت آخر يقدر أن يكمل المقدسين الى الأبد على طقس ملكى صادق المبنى على ذبيحة الخبز والخمر لا على طقس هرون المبنى على

الذبائح الدموية . ولا يمكن اتمام هذا الطقس الى الأبد
أى الى نهاية العالم حسب نص النبوة إلا بنظام العهد الجديد
لأن النظام اليهودى ألغى وأبطل منذ زمن بعيد

---

(٧) ﴿ الصوم ﴾

الصوم هو امتناع الانسان عن الغذاء وقتاً معيناً من
النهار . ويحسن أن يكون الى الساعة السادسة أو التاسعة
كما فعل بطرس وكرنيليوس اذ صام أحدهما الى الساعة
السادسة والآخر الى الساعة التاسعة (اع ١٠ : ٣ ـ ٩) ثم
يتناول الصائم بعد ذلك مأكولات خالية من الدسم كما
فعل دانيال النبي الذى لم يأكل لحماً ولم يشرب خمراً أثناء
صومه (دا ١٠ : ٢) وعملاً بقول الله لنبيه حزقيال « وأما
أنت فخذ لك حنطة وشعيراً وفولاً وعدساً ودخناً وكرسنة
(كمون) وضعها فى وعاء واحد واصنعها لنفسك خبزاً
كعدد الأيام التى تتكىء فيها على جنبك » (حز ٤ : ٩)

وذلك تذليلا للنفس وترويضاً للذهن وتحصيناً للعقل من هيجان الجسد وثوراته · ومن ثم قال داود النبي : «أذللت بالصوم نفسي وركبتاى ارتعشتا من الصوم » (مز ٣٥ : ١٣) وقال أيضاً « ولحمي هزل عن سمن — أو — لحمي تغير من أكل الزيت » (مز ١٠٨ : ٢٤)

ولقد وصف أحد علماء البروتستانت الصوم فى كتاب كشف الظلام فى حقيقة الصلاة والصيام ، المطبوع فى بيروت سنة ١٨٥٦ م بما يتفق ورأينا هذا فقال (فاولاً) نظراً الى ماهية الصوم نقول انه انقطاع اختيارى عن الطعام وعن اللذات والتمتعات الجسدية الى وقت معين ولأسباب خصوصية دينية . وانه لكى نصل الى معرفة الغاية التى تقصد فى الصوم يجب أن نذكر أنه يوجد فى الانسان المتجدد بنعمة الله درجة من المضادة بين الطبيعة الجسدية والطبيعة الروحية كما يوضح ذلك بولس الرسول بقوله (ان الجسد انما يشتهى ما يضاد الروح والروح ما يضاد الجسد) وانه ما لم يلبس هذا الفاسد عدم الفساد وتتغير

أجسادنا الحيوانية الى أجساد روحية لا نستطيع أن نهرب من محاربة الخطايا الكامنة فى أعضائنا والمحيطة بنا فى كل حين ولكن بنعمة الله تقدر أن نضاد هذه الخطايا ونغلبها . والعمل بذلك هو جزء عظيم من الخدمة المطلوبة منا فى هذه الحياة . وان الغاية الوحيدة انما هى المعونة للنفس فى ضبط الشهوات الجسدية واخضاعها لارادة الله وأوامره فلهذه الغاية يفيدنا أن نمسك أحياناً الى وقت ما عن الجسد لذاته الاعتيادية والقوت الذى به يتقوى لكى يتعلم الطاعة فى كل حين ويخضع بأكثر سهولة لسلطان العقل والنفس فلا نسقط فى عمل ما يغيظ الله ويهلكنا الى الأبد . وبناء على ذلك يكون من الغايات العظيمة التى تقصد فى الصوم اضعاف قوة الشهوات الجسدية والأميال الدنياوية لكى تقوى عليها الأشواق والعواطف الروحية . ولكى تعتق النفس وتصعد بأجنحة الايمان والمحبة نحو الله المصدر الوحيد لحياتها وأفراحها الطاهرة)

ترتيب الأصوام : ولقد ترتبت الأصوام فى

الكنيسة المسيحية على أثر صعود ربنا يسوع المسيح الى السماء حيث قيل عن الرسل : « وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس افرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما اليه » (اع ١٣ : ٢) وذلك تنفيذاً لقوله تعالى «حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون» (مت ٩:١٥)

﴿ الأصوام المفروضة فى الكنيسة ﴾

(١) الصوم المقدس وعدد أيامه ٥٥ يوماً . منها الأربعون يوماً التى صامها ربنا له المجد (مت ٤ : ٢) . أما الخمسة عشر يوماً الباقية فهى عبارة عن اسبوعى الاستعداد والآلام .

فالأسبوع الأول لتدريب المؤمن الصائم واستعداده حتى يستقبل هذا الصوم المقدس بطهارة نفس ونقاوة قلب .

أما الأسبوع الثانى أو الأخير من الصوم ويعرف بأسبوع الفصح [1] فلكى يتذكر الصائم ويشترك فى آلام ربنا التى قاساها فى هذا الاسبوع نيابة عنه وحباً فى خلاصه . ولا ظلم عليه فى ذلك لأنه اذا كان يوم الكفارة الذى كان يشير الى هذا الاسبوع فرض صومه انقطاعاً على الأمة اليهودية . وأن النفس التى لاتصومه تقطع من شعبها فمن باب أولى يفرض صوم هذا الأسبوع على المسيحيين الذين وقفوا على تفاصيل تلك الآلام المبرّحة التى كابدها ربهم وسيدهم فى هذا الأسبوع المجيد حباً فى خلاصهم .

ولقد جاء عن اليهود فى يوم الكفارة هذا (أنهم كانوا يعتزلون فيه الطعام والشراب وغسل الرأس ودهنه والعلاقات الزوجية ولبس الأحذية وكل ما يدل على الفرح . وكان على من أكل أو شرب سهواً أن يقدم ذبيحة خطيئة واذا أكل ولو تمرة أو شرب ولو نغبة عمداً ونسى الشريعة

---

(١) الفصح كلمة عبرية معناها الاجتياز أو العبور ويقال له بالقبطية (البصخة)

وجب قطعه . وكانت مدة هذا الصوم من المساء الى المساء (انظر لا ١٦ : ٢٩ — ٣٤)

ونقد فرضت الكنيسة أن لا يؤكل فى هذا الصوم سوى البقول أو بعبارة أوضح يمتنع الصائم فيه عن أكل كل حيوان وما يتولد منه وما يستخرج من أصله وذلك تعظيماً لشأنه ورفعة لقدره . وكفاه فخراً أن اله الكل صامه انقطاعاً دون أن يذوق فيه طعاماً ما

(٢) صوم الميلاد — وعدد أيامه ٤٣ يوماً يبتدىء دائماً من ١٦ هاتور وينتهى بعيد الميلاد الذى يقع فى يوم ٢٩ أو ٢٨ كيهك اذا كانت السنة السابقة كبيسة

وقد رتبت الكنيسة هذا الصوم شكراً لله تعالى على افتدائه بنى الانسان من عبودية الخطيئة والشيطان . ثم لكى يستقبل الصائم كلمة الله (المسيح) بالصوم كما استقبل موسى النبى كلمات الله بهذه الطريقة عينها (انظر خر ٣٢:١٥)

(٣) صوم الرسل — وعدد أيامه يزيد وينقص مراعاة للقاعدة المتفق عليها من المجامع المسكونية لضبط عيد

الفصح حتى لا يعيد المسيحيون مع اليهود . وتتراوح مدته بين ١٥ يوماً و ٤٩ يوماً . ويبتدىء دائماً بيوم الاثنين الذى يلى عيد العنصرة وينتهى باليوم الرابع من شهر أبيب . وقد أخذ عن الرسل شكراً لله على ما أنعم به عليهم من مواهب الروح القدس (اع ٢٧ : ٩)

(٤) صوم السيدة العذراء مريم — ومدته ١٥ يوماً يبتدىء بأول شهر مسرى وينتهى باليوم الخامس عشر منه وان أول من صامه هى القديسة مريم حسب شهادة التاريخ الكنسى .

وهذان الصومان أى صوما الرسل والقديسة مريم هما لله كغيرهما ولكنهما تخصصا باسم الرسل والقديسة مريم من باب تسمية الشىء باسم واضعه فقط كقولنا انجيل متى ومرقس والواقع أنهما انجيلا المسيح

ولقد تقدمت العبارة عن هذه الأصوام الأربعة بتلك النبوة القائلة (ان صوم الشهر الرابع وصوم الخامس .

وصوم السابع . وصوم العاشر . يكون لبيت يهوذا ابتهاجاً وفرحاً وأعياداً طيبة) زك ٨ : ١٩

(٥) صوم أهل نينوى : الذى به نجت تلك المدينة من غضب الله وحازت رضاه . وعدد أيامه ثلاثة . ويبتدىء عادة بيوم الاثنين وينتهى بيوم الاربعاء وفصحه الخميس دوماً

ويرجح أن الواضع لهذا الصوم هو البطريرك آبرام السريانى الاصل .

(٦) صوم يومى الأربعاء والجمعة على مدار السنة ماعدا أيام الخمسين وعيدى الميلاد والظهور اذا اتفقا فيهما . وهذان اليومان أحدهما تذكار المؤامرة على السيد والآخر تذكار صلبه المجيد . وقد شهد القديس اغسطينوس عن ذلك بقوله (ولحصول هذا التشاور وبيع المسيح يوم الأربعاء اعتاد المسيحيون القدماء أن يصوموا يوم الاربعاء)

ولقد أحسنت الكنيسة صنعاً بصوم هذين اليومين لأنه كما أننا نحفظ يوم الأحد تذكاراً للقيامة المجيدة هكذا

ينبغى أن نصوم يومى الأربعاء والجمعة تذكاراً لتلك الآلام المحيية .

وهذان اليومان والأربعون المقدسة من أقدم الأصوام المفروضة فى الكنيسة ويعزى وضعها للرسل أنفسهم .

قال القس بنيامين ثنيدر البروتستانتى (ان بعض العلماء قد ذهبوا الى أن هذا الصوم الأربعينى ترتب من الرسل لأن باسيليوس الكبير وامبرسيوس ولاون الكبير لقبوه سنة إلهية)

(٧) البرامون : معناه الاستعداد ويقع قبل عيدى الميلاد والظهور . وتتراوح مدته بين يوم وثلاثة . فاذا وقع العيد يوم الأحد كان البرامون يومين . واذا وقع يوم الاثنين كان البرامون ثلاثة أيام . وما عدا ذلك فهو يوم واحد .

وقد فرضت الكنيسة (البرامون) ليستقبل المؤمنون العيد بما يتفق وكرامته السامية من طهارة جسدية ونقاوة

نفسية وانسحاق قلبي تلك التي يساعد الصوم على الحصول عليها مساعدة فعلية لأنه ينبوع الكمالات الادبية . قال لوثر (انه من الواجب ممارسة الصوم قبل الاعياد السيدية كالميلاد والفصح)

الشهادات الدالة على لزوم الصوم وضرورته

أولاً (الشهادات الكتابية)

ان الشهادات الكتابية الدالة على لزوم الصوم وضرورته أكثر من أن تحصى ولها مصدران قويان لا يطعن فى صحتهما معارض: أحدهما من جانب ربنا يسوع المسيح والآخر من جانب أنبيائه ورسله وسائر عبيده الصالحين :

(١) إن ربنا يسوع المسيح الذى لم يكن فى حاجة للصوم صام أربعين يوماً وأربعين ليلة (مت ٤ : ٢) وقال لتابعيه « متى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين » (مت ٦ : ١٦).

ثم أشار اليه باعتباره الطريقة المثلى للانتصار على أكبر وأعظم قوة فى الكون وهى قوة الشيطان بقوله « إن هذا الجنس لا يخرج إلا بالصلاة والصوم » (مت ١٧ : ٢١) ولما سئل عن علة اهمال تلاميذه للصوم (حسب ادعاء أعدائهم عليهم) لم يجب بما يفيد عدم لزوم الصوم وضرورته بل أوجبه على تابعيه بعد صعوده إلى السماء بقوله حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون (مت ٩:١٦) وقد كانت هذه أنسب فرصة ليشرح فيها له المجد لتلاميذه عدم ضرورة الصوم ولزومه لو كان غير مفروض على المؤمنين كما يدّعون

(٢) أما الانبياء والرسل وسائر الانقياء المشهود لهم بأنهم أرضوا الله بأعمالهم والذين قال الكتاب عنهم : « أنظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بايمانهم » (عب ١٣ : ٧) فقد اهتموا بالصوم اهتماماً فائقاً واعتبروه من أوائل واجباتهم المفروضة عليهم والعاملة على جلب رضوانه تعالى عنهم ولا سيما فى شدائدهم وضيقاتهم التى كان الصوم أكبر معوان لنجاتهم منها فموسى صام مرتين كل مرة أربعين يوماً وأربعين ليلة

(خر ٣٤ : ٢٨) وايليا صام أربعين يوماً وأربعين ليلة (١ مل ١٩ : ٨) وأستير صامت هى وشعبها ثلاثة أيام وثلاث ليال (اس ٤ : ١٦) ودانيال صام ثلاثة أسابيع لم يأكل فيها لحماً ولم يشرب خمراً (دا ١٠ : ٢) وأهل نينوى صاموا هم وأطفالهم وماشيتهم (يو ٣ : ٥) وحنة بنت فنوئيل عاشت أرملة نحو أربع وثمانين سنة متعبدة لله بأصوام متواترة (لو ٢ : ٣٦) وكرنيليوس صام أربعة أيام متوالية (اع ١٠ : ١٠) أما بولس الرسول وهو المثل الأعلى فى القيام بالواجبات الدينية والذى طلب من جميع المؤمنين أن يتمثلوا به فى كل شىء (فى ٣ : ١٧) فكان يصوم أصواماً متتابعة (راجع ٢ كو ٦ : ٥ ، ١١ : ٢٧ ، اع ٢٧ : ٢٩)

ثانياً (شهادة القانون الكنسى والآباء الأول)

لقد جاء فى القانون الكنسى ما نصه (أى أسقف أو قس أو شماس لا يصوم صوم الأربعين المقدسة الذى يسبق الفصح وكذلك صوم يومى الأربعاء والجمعة فليقطع.

إلا اذا كان عدم صومه ناشئاً عن مرض جسدى . وأما العالمى الذى يفطر فى أيام الصوم فليفرز)

وقد شهد كل من ترتليانوس وسقراط بان جميع المسيحيين كانوا يصومون أيام الاربعين المقدسة ويومى الاربعاء والجمعة من كل اسبوع .

ثالثاً (شهادة زعماء البروتستانت)

قال لوثر (انه من الواجب ممارسة الصوم قبل الاعياد السيدية كالميلاد والفصح والعنصرة وكذلك فى يوم الجمعة من كل اسبوع)

وقال كالفينوس (حتّم الصوم على المسيحيين كافة ولا سيما عند انتخاب الرعاة وفى الحوادث العظيمة وعند اشتداد الأزمات ووقوع الملمات مثل الحروب والأوبئة والمجاعات)

وقال (ان الصوم فرض الهى مقدس يقمع شهوة الجسد ويحض على الصلاة ويدل على اتضاع الانسان أمام

الله [١]) وقال أيضاً (اذا امتلأت البطون ابتعدت النفوس عن الله) وجاء فى كتاب كشف الظلام فى حقيقة الصلاة والصيام المطبوع فى بيروت سنة ١٨٥٦ ما نصه (انه لا يجوز للمسيحى أن يتغافل عن حقيقة الصوم ووجوبه لأن استعماله اللائق هو من جملة الوسائط لقهر الخطيئة وللنمو فى النعمة والقداسة . وان الانسان الذى يطالع الكتب المقدسة بفكر خال من الغرض لا يستطيع أن ينكر ممارسة الصوم . وأننا نخشى أن كثيرين من المسيحيين الحقيقيين يتغافلون عنه بالكلية وبذلك لا يفقدون منافعه فى أنفسهم فقط بل يجعلون عليهم سبباً للتهمة من أخصام الايمان الصحيح فى أنهم يتبعون ديانة تعطيهم رخصة واسعة للتمتع بما تشتهيه أجسادهم وربما كان السبب لتركه عند البعض الكسل الروحى ومحبة الراحة وأما عند الأكثرين فهو لأنهم لم يحصل لهم تعليم كاف وانذار من هذا القبيل

---

(١) كتابه التعليم المسيحى ف ١٢ : ١٤ و ١٥

ولا يرون الصوم من واجباتهم ولا يعرفون كم من الفوائد الناتجة من استعماله)

وجاء أيضاً فى (ص ١٠٠ و ١١٣) من هذا الكتاب (اننا نرى وجوب الصوم مما يقتضيه كلام المسيح وأن الصوم هو من الواجبات الدينية التى تختص بعبادة الله حتى أن الانسان اذا مارسه بالاستخفاف سواء أكان جاهلاً حقيقته ومعناه أم قاصداً التظاهر فانه يكون قد أتى اهانة باهظة فى حق العزة الألهية)

وورد فى كتاب تاريخ كنيسة المسيح الذى طبعه البروتستانت سنة ١٨٣٩ ص ١٠٠ (ان الصوم كان عند المسيحيين جمعياً (اسبوعياً) وسنوياً . ففى الأسبوع كان يومى الأربعاء والجمعة حتى العصر . وفى السنة كان الصوم الكبير)

وقال صاحب كتاب ريحانه النفوس ص٥١ (وبيان من كلام ايفانيوس أنه فى أواخر الجيل الرابع كانت أصوام الأربعاء والجمعة والاربعين يوماً قبل الفصح محفوظة)

وقال فى ص ٥٠ (ان يوستينوس الشهيد الذى توفى سنة ١٦٤ م يتكلم عن الصوم مقروناً بالعماد فى أفسس)

وقال فى ص ٤٩ (ان الامتناع عن الأكل المصحوب بالتواضع مع الصلاة لنوال المغفرة والنعمة مفيد ومطابق لكلام الله لان ذلك يصيّر العقل أكثر استعداداً للتأمل فى الأمور الروحية والقلب منسحقاً وحزيناً على الخطيئة ويسهل صرف الوقت فى قراءة الكتب المقدسة وفى تقديم صلوات خصوصية بالحرارة)

وقال الدكتور وليم ادى الامريكانى فى شرحه الآية القائلة : متى صمتم (مت ٦ : ١٦) (ان الصوم يساعد الانسان على ممارسة التوبة والاتضاع والتضرع لاجل رفع الضربات عنه)

وقال فى شرحه الآية القائلة : هذا الجنس فلا يخرج الا بالصلاة والصوم (مت ١٧ : ٢١) (والصوم المذكور هو الانقطاع عن كل طعام وهو يزيد الصلاة قوة وحرارة لأنه اذا كان الجسد شبعاناً عسر على النفس أن

تستعمل قواها)

وقالت دائرة المعارف الفرنسية (لا طهر بغير صوم . ولا صوم الا اذا كان متبوعاً بجميع الكمالات الأدبية . لان الصوم ينبوع القداسة ، والقداسة تتضمن تلك الكمالات كلها) .

﴿ الاعتراضات على الصوم والرد عليها ﴾

(١) قال بولس الرسول : انه فى الأزمنة الاخيرة يرتد قوم عن الايمان ... مانعين عن الزواج وآمرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله (١تى ٤ : ١)

فيقول المعترض ان هذه النبوة تنطبق على الكنيسة القبطية لانها تمنع الزواج من جهة ثم بعض الأطعمة من جهة اخرى .

وهذه مغالطة ظاهرة لا تجوز إلاّ على البسطاء والبلهاء . لأن هذه النبوة لا تشير الى معتقد الكنيسة

القبطية بل الى معتقد معلمين كذبة ظهروا فى الاجيال الأولى للمسيحية مثل مانى ومرقيان وسيمون وكانوا يعلمون بأن اللحوم والخمور والنساء محرمة لأن إله الشر هو الذى خلقها. (١)

وكفى دليلاً على بطلان هذا الزعم قول بولس الرسول فى مطلع الآية : يرتد قوم عن الايمان (١ تى ٤ : ١)

---

(١) ولد مانى فى أوائل الجيل الثالث وكان يزعم بعض أتباعه أن من يأكل لحماً يأكل نفساً فيذنب بذلك حتى يتحول الى ما أكل. فان أكل لحم ثور يتحول الى ثور ، وان أكل لحم خنزير تحول الى خنزير . ومن اتخذ امرأة ينقلب فى الآخر الى امرأة . ومن ثم كانوا يحرمون أكل اللحوم والزواج . وكان بعضهم يتوهم أن جميع الأشياء النامية وغيرها ذات نفوس ناطقة عاقلة فلذلك لم يكونوا يحصدون ولا يخبزون بل كانوا يأكلون ما هو مخبوز من غيرهم وهم معتذرون بقولهم (انا ما زرعتك فليزرعن من زرعك . انا ما حصدتك فليحصدن من حصدك . ما أنا الذى خبزتك فليصر من خبزك مخبوزاً . وانما خبزوك وقدموك لى فآكل منك ولا ذنب علىّ)

والأقباط لم يرتدوا عن ايمانهم بل بنعمة الله هم أول أمة مسيحية ضحت وما زالت تضحى فى سبيل المحافظة على الايمان أعز ما تملك فى الحياة . هذا فضلا عن كونها تعتبر الزواج سراً من أسرار الكنيسة المقدسة كما أنه لا يجوز الصيغة القانونية إلا اذا تم بمعرفة كهنتها ورؤسائها الدينيين.

وكنيسة هذا مبلغ معتقدها فى الزواج ليس من العدالة فى شيء أن ترمى بهذه التهمة الشائنة .

(٢) قال بولس الرسول « ليس ملكوت الله أكلا وشرباً بل هو بر وسلام » (رو ١٤ : ٧)

فيقول المعترض ـ إنه اعتماداً على هذا التعليم الرسولى تكون الكنيسة القبطية مخطئة فى اعتقادها أن ابناءها يرثون ملكوت الله بصومهم وزهدهم . وقد فاته أنه باعتراضه هذا سجل على نفسه جهله العميق بمعرفة كتاب الله . لأن بولس الرسول لم يقصد بهذا القول (الصوم) وانما قصد ما ذبح للأوثان . وكأنه يقول لسائليه وقتئذ اذا اعتقد المؤمن أن ذبائح الأوثان محرمة فهذا التحريم لا يمنعه

من دخول السماء كما أنه اذا اعتقد بحلها فلا يورثه هذا الاعتقاد اياها . لأن ملكوت الله ليس أكلاً وشرباً بل براً وسلاماً . وفى الواقع أن المآكل ليس فيها فضيلة بل الانقطاع عنها هو تقشف وإماتة وطاعة .

(٣) قال بولس الرسول: فلا يحكم عليكم أحد فى أكل وشرب (كو ٢ : ١٦)

فيقول المعترض . ان الأقباط مخطئون لتجنبهم بعض الأطعمة فى زمن الصوم لأنهم بذلك يسجلون على انفسهم أنه محكوم عليهم فى الأكل والشرب وبالتالى هم الذين يشير إليهم بولس الرسول بهذا القول . وهو تحريف وتعويج معنى كلام الكتاب الصريح بقصد اثبات آراء نفسانية وأغراض شخصية . لان هذا القول لا يشير به بولس الرسول الى اصوام الكنيسة القبطية بل الى النظم والطقوس اليهودية التى طالما حذر المؤمنين ونهاهم عن التمسك بها كما هو ظاهر مما جاء فى نهاية هذه الآية حيث قيل « من جهة عيد أو هلال أو سبت » وواضح أن

السبوت والأهلة ليست لها أقل علاقة بنظم الكنيسة القبطية بل هى من أخص طقوس وعادات الأمة اليهودية

(٤) قال بولس الرسول : اما الضعيف فيأكل بقولا (رو ١٤ : ٢)

فيقول المعترض : ان الأقباط ضعفاء الايمان لانهم يتركون اللحوم ويأكلون بقولاً . ولو توخى الصواب وقصد الحق لوجد أن هذا القول لا علاقة له بالصوم بتاتاً ولكنه يختص باللحوم المحرمة فى شريعة موسى . وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يحللون هذه اللحوم وبعضهم كانوا يحرمونها فكتب بولس الرسول فى ذلك مبيناً لهم أن سائر أنواع اللحوم فى الشريعة الجديدة محللة غير أن من لا يستريح ضميره على أكل نوع منها فليتجنبه ويأكل بقولا فذلك أفضل له وأروح لضميره .

(٥) قال السيد المسيح : « ليس ما يدخل الفم ينجس الانسان » (مت ١٥ : ١٠) فيقول المعترضون حيث أن ما يدخل الفم لا ينجس الانسان فما أكلناه من طعام فى

الصيام أياً كان نوعه فلا ينجسنا . وبذلك حرّفوا كلمة الله وأخرجوها عن موضوعها الأصلي . مع أنهم هم قبل غيرهم يعلمون أن هذا القول لم يكن في موضوع الصوم بل في غسل الأيدي حين الأكل (انظر مت ١٥ : ٢) هذا فضلاً عن أن الكنيسة لا تمنع أبناءها تناول اللحوم في أيام الصوم لكونها نجسة في ذاتها أو محرمة . كلا . فكل مخلوقات الله طاهرة . ولكنها تمنع عنها في تلك الظروف تذليلا للنفس وكبحاً لجماح الجسد ولتزداد الصلاة قوة وحرارة لأن الصوم والصدقة هما جناحا الصلاة اللذان تنفذ بهما بسرعة الى أذان الله .

(٦) قد يقول المعترضون أيضاً إن سائر أصوام الكنيسة القبطية اللهمّ إلا الصوم المقدس هي ترتيب بشري وذلك لا يستحق الخضوع له . وقد كان خطاؤهم في ذلك لا يقل عن الاخطاء السالفة لانه ليس كل ترتيب بشري منقوضاً ما دام آيلا لمجد الله وخير الكنيسة (١ بط ٢ : ١٣) فقد خضع اليهود للصوم الذى فرضته

استير الملكة ومردخاى فتقبله الله وخلصهم من أعدائهم ورد كيدهم فى نحورهم . وقد خضع أيضاً أهل نينوى للصوم الذى وضعه ملكهم فسر به الله ورضى عنهم .

واذا كان النظام الذى اقترحه يثرون حمى موسى استحسنه الله وأمر موسى أن يسير على موجبه (خر ١٨ : ١٧ — ٢٧) أليس بالحرى يليق بنا نحن أن نقبل ما رتبه أناس أتقياء صالحون ليس هنالك شك فى غيرتهم على مجد الله وخلاص الأنفس فضلاً عمّا لهم من السلطان لوضع أمثال هذه النظم بحكم وظائفهم الدينية ؟ فاللهم هب عبيدك رشداً من لدنك حتى يفصّلوا كلمة الحق باستقامة (٢ تى ٢ : ١٢) فارقين بين الصحيح والفاسد وفاصلين الصواب من الخطأ .

الخلاصة

حيث أنه ثبت من الأدلة المتقدمة أن الصوم من أسمى الفضائل ذات المنافع الروحية والجسدية ، وأخصها اضعاف الشهوات والأميال الدنيوية ، وتقوية الأشواق

والعواطف الروحية . كما أنه من أقوى الوسائط الفعالة فى نجاة الانسان من تجارب الحياة وضيقاتها . فهو ولا ريب مفروض على كل مسيحى مميز . ولا يعفى منه سوى الأطفال والمنهوكين والضعفاء والمرأة النفساء . (راجع بند ٥٩ من قوانين الرسل)

---

(٨) « الاعياد »

لقد رتبت الكنيسة المقدسة بارشاد الروح القدس وانارته أعياداً مخصوصة اكراماً لله تعالى وتذكاراً لنعمه وبركاته الغزيرة التى أفاضها بسخاء فائق على بنى الانسان كعيدى الميلاد والقيامة . وذلك لما ينجم من هذه الحفلات المباركة من حميد الذكرى وجليل العبرة

لأنه ولا ريب عند ما نحتفل بعيد الميلاد مثلا نتذكر بصورة محسوسة لطف الله واحسانه علينا كما أننا ندرك

عمق محبته الفائقة لنا . لأنه ونحن بعد خطاة وأعداء تنازل ابنه الوحيد لذلتنا وقدم ذاته الكريمة فداء عنا . حينئذ تمتلىء قلوبنا فرحاً وتفيض ألسنتنا شكراً ويظل رسم ذلك اليوم المجيد وحوادثه العجيبة عالقة بأذهاننا طيلة أيام حياتنا بفضل تكرار واعادة الاحتفاء به سنوياً .

وهكذا ايضاً عندما نحتفل بأعياد الشهداء والقديسين وتنطلق السنتنا بتعديد مآثرهم والافاضة فى سرد فضائلهم وفواضلهم والاشادة باخلاصهم وأماناتهم لسيدهم وفاديهم لا شك فى أنه يتجدد بذلك ذكرهم فى عقولنا ونشعر بالميل الى الاقتداء بأعمالهم والتشبه بسيرتهم وثباتهم فى ايمانهم وفى ذلك من جليل الفوائد والمنافع الخلاصية ما هو فى غنى عن البيان والايضاح . ومن ثم قال بولس الرسول : اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله انظروا الى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم (عب ١٣ : ٧) وقال القديس باسيليوس (ان القديسين لا يحتاجون الى أن نجرى لهم ذكراً ونوجه اليهم مديحاً . لكننا محتاجون جداً الى رواية أخبارهم كى

يتهيأ لنا الأقتداء بهم . لأنه كما يخرج النور من النور والنفحة الطيبة من العطر الزكى كذلك من ذكر أتعاب القديسين نرى نور الهدى ونستنشق عرف التقى)

غير أنه رغم هذه الخيرات والبركات الغزيرة التى نحصل عليها من تلك المواسم والأعياد سواء أكانت لله تعالى أو لقديسيه فان البروتستانت ينكرونها ويرفضون الاحتفال بها مدعين أنها ليست مرتبة من الله بيد أن الكتاب أثبتها ، والرسل مارسوها ، وتاريخ الكنيسة البروتستانتية شهد بصحتها .

---

(١) « شهادة الكتاب »

قال بولس الرسول : « ينبغى على كل حال أن أعمل العيد القادم فى أورشليم » (اع ١٨ : ٢١) واذا قال المعترض ان هـذا العيد من أعياد اليهود قلنا إن الرسول حرّم على المسيحيين تحريماً تاماً الخضوع للطقوس اليهودية فلا يعقل

والحال هـذه أن يبيح لنفسه ما حرّمه على غيره (انظر ٢ كو ٢ : ١٦)

فاذن العيد الذى قصد الرسول أن يعمله فى أورشليم هو عيد مسيحى وليس عيداً يهودياً .

وحيث أن الرسل كانوا يهتمون بهـذه الأعيـاد ويحتفلون بها فنحن أولى بذلك وأحرى لاننا أحوج منهم للذكرى والعبرة (راجع ١ كو ٥ : ٧ ، ١٦ : ٨ ، اع ١٨ : ٢١ ، ٢٠ : ١٦)

---

(٢) ﴿شهادة أشهر مؤرخى البروتستانت﴾

قال موسهيم (إن مسيحيي القرن الأول اجتمعوا للعبادة فى اليوم الأول من الاسبوع . اليوم الذى فيـه استرجع المسيح حياته . ويظهر أنهم كانوا يحفظون يومين سنويين دينيين الواحد تذكاراً لقيامة المسيح والثانى تذكاراً لحلول الروح القدس على الرسل ويمكن أن يضاف على

هذين اليومين تلك الأيام التي فيها اعتنق الموت رجال قديسون لأجل المسيح التي بالأكثر احتمالا كانت أياماً مقدسة وعظيمة منذ ابتداء الكنيسة)

وقال (ان الأعياد السنوية المحفوظة عند مسيحي القرن الثاني هي تذكار موت المخلص وقيامته وحلول الروح القدس على الرسل) — كتاب ١ قرن ٢ قسم ١ فصل ٤

وقال أيضاً (في أكثر جماعات المسيحيين كان يحفظ خمسة أعياد أي تذكار ميلاد المسيح وتذكار آلامه لأجل خطايا البشر وتذكار قيامته وتذكار صعوده الى السماء وتذكار حلول الروح القدس على خادميه) — كتاب ٢ قرن ٤ قسم ٢ فصل ٤)

وقال القس بنيامين ثيندر البروتستانتي في كتابه ريحانة النفوس المطبوع سنة ١٨٧٨ ص ١٣ (لقد جمعنا هذين العيدين — أي القيامة والعنصرة — لأن الظاهر أن ابتدأهما كان في زمن واحد . فالأول منهما تذكاراً لموت المسيح وقيامته والثاني لحلول الروح القدس على الرسل .

وبيان انهما قد حفظا قديماً جداً حتى يوجد برهان على انهما كانا فى الجيل الأول وربما فى أيام الرسل أيضاً)

وقال أيضاً فى ص ١٤ « ثم أن المسيحيين الأولين كانوا يعيدون عيد الفصح باحتفال عظيم بسبب اعتبارهم الكلى لقيامة المسيح . فقد كانت القيامة حسب رأيهم وحسب تعليم بولس أيضاً » (١ كو ١٥) بمنزلة حجر زاوية فى الديانة المسيحية المقدسة لأن ايمانهم ورجاءهم كانا مؤسسين على صحة هذا الحادث وبه ظهر المسيح منتصراً على الموت والجحيم والشيطان وجميع جنود الظلمة . وبه أيضاً تم عمل الفداء العظيم ولأجل ذلك اعتبروا هذا اليوم بهذا المقدار حتى أن أغريغوريوس النزينزى يسميه ملك الأيام وعيد الأعياد . وفم الذهب يدعوه اكليل الأعياد وأعظم جميع الأعياد ويوم الرب العظيم وأعظم الأيام)

وقال صاحب كتاب تاريخ الكنيسة الذى طبعه البروتستانت سنة ١٨٣٩ ص ١٠٠ (أما الأعياد التى كانوا يعيدونها فهى الفصح والتجلى والميلاد . فالفصح لتذكار

قيامة مخلصنا . والعنصرة لتذكار مواهب الروح القدس حين حلوله على الرسل . والتجلى لتذكار ظهور سيدنا يسوع المسيح للوثنيين أو ظهور النجم للحكماء ولظهور الثالوث الأقدس عند معمودية ربنا ولأول أعجوبة أجراها فى قانا وأظهر معها مجده . والميلاد لتذكار مولد مخلصنا المبارك)

وقال صاحب كتاب علم اللاهوت البروتستانتى (ان بعض الكنائس الانجيلية تعتبر بعض العوائد الكنسية التى تسلسلت منذ القديم فى الكنيسة المسيحية . مما لا يضاد مطلقاً الكتاب المقدس كاعتبار عيد الفصح وعيد الميلاد وغيرهما)

﴿ الأعياد التى تحتفل بها الكنيسة ﴾

أما الأعياد التى تحتفل بها الكنيسة القبطية فهي : —

أولا الأعياد السيدية [1] السبعة الكبيرة وهى :

---

(١) دعيت هذه الأعياد بالسيدية نسبة الى السيد المسيح

(١) عيد البشارة (لو ١ : ٢٦ — ٣٨) ويقع فى ٢٩ برمهات (٢) عيد الميلاد (لو ٢ : ١ — ١٣) ويقع فى ٢٩ كيهك اذا كانت السنة بسيطة وفى ٢٨ كيهك اذا كانت السنة السابقة كبيسة. وفى مثل هذه السنة تحتفل الكنيسة بالعيد فى يومى ٢٨ و ٢٩ [١].

---

(١) تحتفل الكنائس الشرقية ولا سيما كنيستنا القبطية بهذا العيد المجيد فى اليوم السابع من يناير (كانون الثانى) وهو الموافق ٢٩ كيهك.

أما الكنائس الغربية فتحتفل به فى اليوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر (كانون الاول) على أن المرجح أن السيد المسيح له المجد ولد فى اليوم السابع من شهر يناير الموافق ٢٩ كيهك وذلك طبقاً لما جاء فى أقدم التواريخ وأصدقها

فقد ورد فى سجل تاريخ كنسى قديم مجلد ٢ ص ١٩٢ ما يأتى : —

(وقد وقع اختلاف عظيم فى أول الأمر على انتخاب اليوم الذى يعين لهذا العيد. وسبب هذا الاختلاف انما هو كون اليوم أو الشهر الذى ولد فيه المسيح غير معروف بالتحقيق. ولكن الايام التى ترجح حفظها له هى اليوم السابع من كانون الثانى

(٣) عيد الظهور ويعرف بعيد (الغطاس) وسمى بعيد الظهور لأن فيه ظهر الثالوث الأقدس أثناء عماد السيد له المجد (مت ٣ : ١٣) ويقع فى ١١ طوبه

(٤) عيد الشعانين ومعناه عيد الزيتونة وهو تذكار دخول السيد له المجد الى أورشليم راكباً على أتان (مت ٢١ : ١) ويقع فى الأحد السابع من الصوم المقدس .

(٥) عيد القيامة المجيد ويقال له عيد الفصح ويقع فى الأحد الثامن من الصوم المقدس (مت ٢٨ : ١ — ٤)

(٦) عيد الصعود وهو تذكار صعود ربنا يسوع المسيح الى السماء ويقع بعد عيد القيامة بأربعين يوماً (مر ١٦:١٩)

(٧) عيد الخمسين ويقال له بالعبرانية العنصرة وباليونانية البنديكستى . وهو تذكار حلول الروح القدس على

والخامس والعشرون من كانون الأول . فالبعض من الكنائس الشرقية اختاروا الأول . والكنائس الغربية اختاروا الثانى . وبالتدريج تغلب اليوم الخامس والعشرون من كانون الأول (كتاب ريحانة النفوس ص ٢٠)

التلاميذ ويقع بعد عيد القيامة بخمسين يوماً — ومن ثم دعى عيد الخمسين — (اع ٢ : ١ — ٤)

ثانياً الأعياد السيدية السبعة الصغيرة وهى : —

«١» عيد الختان وهو تذكار ختان ربنا يسوع المسيح ويقع فى ٦ طوبه (لو ٢ : ٢١)

«٢» عيد عرس قانا الجليل وهو أول تذكار لأول معجزة عملها ربنا وهى تحويل الماء خمراً (يو ٢ : ١) ويقع فى يوم ١٣ طوبه .

«٣» عيد دخول السيد الى الهيكل حيث حمله سمعان الشيخ على ذراعيه وبارك الله (لو ٢ : ٢) ويقع فى يوم ٨ أمشير

«٤» عيد خميس العهد وهو تذكار اعطاء ربنا جسده ودمه لتلاميذه ليلة آلامه (مت ٢٦ : ٢٦) ويقع قبل عيد الفصح بيومين

«٥» عيد الأحد الجديد [١] أى أحد توما وهو يوم ظهور ربنا له المجد لتلاميذه ومعهم توما (يو ٢٠ : ٢٤) ويقع فى الأحد التالى لعيد القيامة.

«٦» عيد دخول السيد الى أرض مصر (مت ٢ : ١٣) ويقع فى ٢٤ بشنس.

«٧» عيد التجلى (مت ١٨ : ١) ويقع فى ١٣ مسرى

ثالثاً أعياد الشهداء والقديسين كأعياد القديسة مريم [٢] والرسل والملائكة اكراماً لهم واعادة ذكرهم

---

(١) سمى هذا الاحد بالجديد لانه أول أحد حفظ لتقديسه بعد الغاء النظام القديم.

(٢) للقديسة مريم خمسة أعياد فى السنة وهى (١) عيد ميلادها (٢) دخولها الهيكل (٣) نياحتها (٤) صعود جسدها الطاهر الى السماء (٥) تكريس أول كنيسة بنيت على اسمها الكريم.

أما صعود جسدها الطاهر الى السماء فلا نعده أمراً غريباً أو عظيماً على هذه القديسة المباركة . لان من حملت فى بطنها رب السماء ليس بعجيب أن يصعد جسدها الى السماء . لان السماء عند

بالمجد والتطويب . وقد أشار ربنا له المجد بوجوب حفظ أعياد القديسين ودوام ذكرهم بقوله عن المرأة التى مسحت قدميه بالطيب : « حيثما يكرز بالانجيل فى كل العالم يخبر بما فعلته هذه المرأة تذكاراً لها » (مر ١٤ : ٩)

التحقيق ليست هى إلا كرسياً فقط للمسيح . أما مريم فهى أم المسيح. وفرق عظيم بين كرسى الملك وأمه. فاذن مريم أشرف من السماء وليست السماء أشرف منها . وبالتالى ليس هنالك ما يمنع صعود جسدها اليها . وحسبها أن تكون مساوية لايليا وأخنوخ (٢ مل ٢ : ١ ، تك ٥ : ٢٢)

أما صعود ذلك الجسد الطاهر فقد أثبته ديونسيوس الاريوباغى: وهاك خلاصة ما قاله فى ذلك بحسب ما ورد فى كتاب ريحانة النفوس للقس بنيامين البروتستانتى ص ٤٣ (انه عند وفاة مريم اجتمع جميع الرسل بسرعة من جميع أقطار الارض حيث كانوا يبشرون الى أورشليم الى بيت هذه المباركة وحينئذ أتى يسوع مع ملائكته وأخذ نفسها وأحضرها الى ميخائيل رئيس الملائكة . وفى اليوم التالى وضع الرسل الجسد فى القبر وحرسوه منتظرين ظهور الرب . فظهر المسيح ثانية ونقل جثتها المقدسة الى السماء فى سحابة وهناك اتحد أيضاً الجسد بالنفس وفاز بالسعادة الابدية)

ثم نطق الروح القدس على فم القديسة مريم بما يثبت ذلك فقالت : هوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى لأن القدير صنع بى عظائم (لو ١ : ٤٨) كما أنه صرح على فم صاحب المزمور بما يؤدى هذا المعنى عينه فقال : ذكر الصديق يدوم الى الأبد (مز ١١٢ : ٦) ولا يمكن أن يتم هذا الاكرام على الوجه المرغوب فيه إلا بالطرق الاحتفالية لأنها هى التى تعلن ذلك الاكرام بصورة واضحة جلية ذات تأثير فائق بحيث لا يمحى من الذاكرة ولا ينسى .

وليس أدل على ذلك من أن نجد ذكر القديسين الذين تحتفل الكنيسة بأعيادهم على أفواه جميع المؤمنين كبيرهم وصغيرهم عالمهم وجاهلهم بيد أن الذين لم تحتفل بأعيادهم يكاد يكون ذكرهم مجهولاً لدى الجميع اللهمّ إلا العلماء منهم وأولئك نفر قليل بنسبة العامة. وعليه لو فرض ان الكنيسة أهملت الاحتفالات بأعياد سائر القديسين لتلاشى ذكرهم بلا محالة من الاذهان وكان نسياً منسياً وهيهات اذا تمت أوامر الكتاب القائلة (أذكروا مرشديكم — أنظروا الى

نهاية سيرتهم . ذكر الصديق يدوم الى الابد) .

ولم يكن احتفال الكنيسة القبطية بأعياد الشهداء والقديسين بدعة ابتدعتها ولكنها سارت فى ذلك على ما كانت تسير عليه كنيسة المسيح منذ نشأتها .

قال صاحب كتاب تاريخ الكنيسة الذى طبعه البروتستانت سنة ١٨٣٩ ص ١٠١ (وكان المسيحيون يكرمون الشهداء ويعبرون عن ذكر يوم مكابدتهم الآلام بمولدهم ويعيدون الأعياد عند قبورهم بغاية السرور والمحبة والاحسان)

وأنك لتندهش حقاً عندما ترى معظم الطوائف البروتستانية تحتفل بأيام ميلاد ووفاة عظمائها وأبطالها الذين حازوا شهرة ممتازة فى الأمور العالمية كالحروب والاختراعات والاكتشافات وتقيم لهم التماثيل والدمى فى أمهات المدن والقرى تعظيماً لأسمهم وتخليداً لذكرهم ، ومع ذلك يبخلون بمثل هذه الاحتفالات أو أقل منها على رجال الله الابطال

الذين شرفوا المسيحية وعظموا شأنها ورفعوا قدرها بما أتوه من جلائل الاعمال ومحامد الخصال .

ومما هو أدعى للأسف العميق أن الذين لا يهتمون بأعياد القديسين وإكرامهم يعتقدون أن تكريم القديسين والاحتفاء بهم ينقص من مجد الله وتكريمه وهو زعم فى أقصى حدود الخطأ والخطل . لأنه أى نقص يلحق مجد الله من إكرامنا خواصه وأصفياءه ونحن لم نكرمهم ونعظم شأنهم إلا لانهم سفكوا دماءهم وضحوا بكل ما يملكون فى الحياة فى سبيل تمجيده وتعظيم اسمه ولولا ذلك لما استحقوا منا مثقال ذرة من المجد والكرامة . فاكرامهم اذن نتج من انتسابهم اليه ، ومجدهم منح لهم لعلاقتهم به ، كما يكرم العبد لأجل سيده والابن لأجل أبيه . وهل يهان الآباء وتنقص كرامتهم اذا أكرم أبناؤهم الأعزاء ؟ وهل تحتقر الملوك اذا أكرم أعوانهم وخدمهم الأمناء ؟ حقاً أن الادعاء بذلك ينسب لله الغيرة والحسد تعالى اسمه وتقدس . وكفى دليلاً على بطلان هذا الزعم قوله لتلاميذه

(ان من يكرمكم يكرمني) فالله لا يهان بالاكرام الذى يقدم لقديسيه بل يسر به ويعتبر أنه أهين بخدامه اذا أنكر عليهم الاكرام الواجب لهم .

هذا فضلاً عن أن الأعياد لها ميزات أخرى أدبية وسياسية واجتماعية ولذلك عنيت بها سائر الأمم المتمدينة عناية خاصة فى كل زمان ومكان . قال هيرودوتس المؤرخ (كان للمصريين والرومان واليونان أعياد كثيرة فلم يخل شهر من عيد دينى لهم فأثر ذلك عندهم تأثيراً عظيماً من جهة الدين والسياسة وتقوت بها وحدتهم)

وقال أحد علماء الكتاب شرحاً على أعياد بنى اسرائيل التى رتبها الله لهم بقصد احياء قوة الدين فى قلوبهم واعادة ذكر حسناته عليهم وبركاته التى شملتهم كأعياد الفصح والبنديكستى والمظال والكفارة واليوبيل . (ان الاسرائيليين كانوا يجتمعون فى أعيادهم المعروفة لعبادة الاله الحق ولتقوية مواثيق الوحدة مع أنهم كانوا أسباطاً متميزة)

ولو علم الذين لايهتمون بالأعياد أن فى الأعياد يكثر التزوار الذى يجدد أواصر المحبة ويقوى ربطها . وفيها يجود المحسنون على المحتاجين فيجبرون قلوبهم المنكسرة ، ويكفكفون دموعهم المنسجمة ، وفيها يتفقد الاصحاء المرضى ، والفرحون الحزانى، فتزول السخائم والاحقاد ويحل الصفاء محل الجفاء . لوعلموا كل ذلك لما أحجموا عن الاهتمام بالاعياد والاحتفاء بها ولاتخذوا ربهم وسيدهم الذى أحترمها وأحتفل بها وهو فى غنى عنها مثلا لهم أعلى (راجع يو ٢ : ١٣ ، ٧ : ٢ ، ١٠ : ٢٢ ، مت ٢٦ : ١٩ ، لو ٢ : ٤٢ ، مر ١٤ : ٤).

---

(٩) ❁ شفاعة القديسين وإكرامهم ❁

لقد حد بعض علماء الكتاب الشفاعة بقولهم (الشفاعة هى توسط ذى مكانة لدى صاحب نعمة لصالح شخص يرى ذاته غير مستحق أن يسأل لنفسه شيئاً بدون وساطة وسيط أو شفاعة شفيع . فهى والحال هذه وساطة ثالث بين اثنين

متفاوتين قوة وجاهاً . وغايتها جلب نعمة من الرفيع الى الوضيع . ولا تتم هـذه الغاية إلا اذا كان الوسيط ممن لهم منزلة أو حظوة فى عين صاحب النعمة) .

وحيث أن الكنيسة تعتقـد حسب تعليم الكتاب المقدس أن للقديسين الأحياء عـلى الارض والمنتقلين الى السماء مقاماً رفيعاً امام الله وقبولا حسناً لدى عرشه الالهى (رؤ ٣ : ٢٩) فمن ثم تطلب احتياجاتها من الله بوساطة هؤلاء القديسين ويدعى ذلك الطلب استشفاعاً .

على أن هذه الشفاعة لا تتعارض مع شفاعة ربنا يسوع المسيح التى نص عنها الرسول بقوله : لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الانسان يسوع المسيح (١ تى ٢ : ٥) لأن هذه الشفاعة انما هى عبارة عن كفارة عامة لخطايا جميع العالم فلا يتدخل فيها مخلوق ما انساناً كان أو ملاكاً ، بل هى خاصة بربنا وإلهنا يسوع المسيح الفادى الأعظم وحده . أما الاستشفاع بالقديسين فعبارة عن الاستعانة بصلواتهم للنجاة من ضيقات هـذه الحياة

وللحصول على نعم الله المتنوعة .

واذا اعترض البعض على هذه الشفاعة بحجة أن القديسين لا يعرفون ما يحدث على الأرض ومن ثم لا يستطيعون أن يسمعوا استغاثة المستغيثين بهم . أجبناهم بأن القديسين ولا شك يعلمون أفكار الناس وما يحدث فى العالم ليس علماً ذاتياً بل بحسب الالهام الربانى والمشيئة الالهية . لأنه اذا كان جلّ شأنه منّ عليهم بهذه الهبة السامية وهم خاضعون لنير الخطية محاطون بظلامها الدامس، فمن باب أولى أن يكافئوا بهذه الهبة الربانية ويتمتعوا بها بعد جهادهم ضد الخطية وانتصارهم الكامل عليها . وبما أنهم منحوا هذه الهبة جزاء انتصارهم على الخطية جزئياً ، فطبيعياً تزداد وتعظم لا أن تضعف وتسلب منهم عند انتصارهم على الخطية كلياً .

فبطرس الذى علم ما فعله حنانيا وسفيرة أمرأته (اع ٥ : ١٠) وهو فى زمرة الخطاة لا يجهل البتة ما يحدث على الارض وهو ينعم بعشرة القديسين وسكان السماء .

وبولس الذى علم بارتداد بعض المؤمنين فى الأيام المقبلة وهو محاط بسحابة الجسد الكثيفة لا تسلب منه هذه النعمة وقد أضحت لديه الأسرار والخفايا واضحة معروفة بل سافرة مكشوفة (راجع ١ كو ١٣ : ١٢)

ليت شعرى ألم يقرر بولس نفسه هذه الحقيقة باعترافه فى أحدى رسائله بأن معرفة القديسين بعد انتقالهم الى السماء تكون أسمى وأرفع مما كانت عليه وهم بعد فى هذه الحياة حيث قال : اننا ننظر الآن فى مرآة فى لغز لكن حينئذ وجها لوجه . الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عرفت (١ كو ١٣ : ١٢) وهو قول يدل صراحة على أن النفس الناطقة اذا ما فارقت هذا الجسد الذى هو شبه غمامة مظلمة يحجب عنها نور المعرفة الكاملة فانها تستنير وتكمل بالاعلانات الآلهية المفاضة عليها من نعم البارى جل شأنه .

ألم يعلم ابراهيم بموسى والأنبياء مع أنهم ظهروا فى الوجود بعد موته بآلاف السنين ؟ (لو ١٦ : ٢٩)

وهل لم يعرف صموئيل النبي بعد موته كل ما أتاه شاول الملك من طغى وبغى وما كان مزمعاً أن يلاقيه هذا الملك هو وأبناؤه جزاء تمرده وعصيانه ؟ (١صم ٢٨: ١٥ـ١٩)

وأم لم يدرِ إيليا النبي بعد مغادرته هذا العالم بأن يورام بن يوشافاط ملك يهوذا لم يسر فى طريق أبيه البار بل سار فى طرق ملوك اسرائيل الفجار وأدخل عبادة البعل وقتل اخوته بالسيف ؟ (٢ أى ٢١ : ١٢ ـ ١٦)

ثم ألم يشعر الملائكة بتوبة الخاطىء وهم فى السماء فيفرحون برجوعه الى الله ؟ (لو ١٥ : ١٠) إذن القديسون يعلمون كل ما يحدث على الأرض كما كانوا يعلمون قبل انتقالهم الى السماء وبالتالى يستطيعون أن يشفعوا فى المؤمنين

أما شفاعتهم فمؤيدة بالنصوص والحوادث الكتابية تأييداً لا سبيل لانكاره والريب فى صحته . واليك بعض النصوص والحوادث الدالة على ذلك .

قال سليمان الحكيم فى توسلاته لدى الله جل شأنه فى بعض الامور الخطيرة التى كانت تعترضه فى الحياة :

لاجل داود عبدك لا ترد وجه مسيحك (مز١٣٢ : ١٠)

وقال جل شأنه فى خلال كلامه الخاص بمدافعته عن أورشليم : وأحامى عن هذه الدينة لأخلصها من أجل نفسى ومن أجل داود عبدى (٢ مل ١٩ : ٣٤ ، ٢٠ : ٦) وقال لسليمان على أثر غضبه عليه لمخالفته وصاياه : «لانى لا أمزق منك المملكة كلها بل أعطى سبطاً واحداً لابنك لأجل داود عبدى» (١ مل ١١ : ١٢)

وجاء عن موسى النبي انه شفع فى شعب اسرائيل الذى صنع من حلى نسائه عجلا مسبوكا وسجد امامه وذبح له . فقبل الله الشفاعة وصفح عن هذ الشعب الخاطىء بعد أن كان قد أضطرم قلبه عليه وأراد أن يفنيه عن بكرة أبيه (خر ٣٢ : ١١ — ١٤).

وشوهد ملاك الرب مصلياً عن شعب ومدينة اورشليم قائلاً : «يا رب الجنود الى متى لا ترحم أورشليم ومدن يهوذا التى غضبت عليها هذه السبعين سنة» (زك ١ : ١٢)، وقد أجاب الله طلبته قائلاً : «قد رجعت الى اورشليم

بالمراحم فبيتى يبنى فيها » (زك ١ : ١٦)

ولما فشا الوبأ فى بنى إسرائيل لتذمرهم على موسى وهرون وأخذ الموت يحصدهم حصداً ذريعاً حركت الشفقة قلب هرون فأخذ مبخرته . ووقف بين الأحياء والأموات فرحمهم الله ورفع عنهم ضربة الموت لا لتوبتهم بل لشفاعة هرون فيهم (عد ١٦ : ٤٨)

ولما مات ابن أرملة صرفة صيدا صرخ إيليا الى الرب وقال: يارب إلهى لترجع نفس هذا الولد الى جوفه فقبل الرب شفاعة إيليا فى الغلام ومنّ عليه بالحياة مرة ثانية حيث رجعت نفس الولد الى جوفه فعاش (١ مل ١٧ : ٢١)

وقد ورد فى سفر الرؤيا أن الملائكة تقدم صلوات شعب الله الذين على الأرض أمام الحضرة الالهية حيث قيل : « وجاء ملاك آخر ووقف عند المذبح ومعه مبخرة من ذهب وأعطى بخوراً لكى يقدمه مع صلوات القديسين جميعهم » (رؤ ٨ : ٣)

ومن هذه النصوص والحوادث الصريحة يتضح أن

شفاعة القديسين ذات شأن عظيم أمام عرش نعمة الله . ولم تكن شفاعتهم مقبولة ومحترمة لديه تعالى فحسب بل كثيراً ما كان هو تقدس اسمه يرشد الناس الى الالتجاء اليها وقت الملمات ويحرّضهم على القيام بها لتقيهم شر النوازل . وأبلغ دليل على ذلك ما جاء عن أصحاب أيوب الثلاثة حيث ألزمهم جلّ شأنه بأن يستشفعوا بعبده أيوب لئلا يحمى غضبه عليهم فيفنيهم بقوله لهم بعبارة صريحة لا لبس فيها ولا ابهام : « والآن خذوا لانفسكم سبعة ثيران وسبعة كباش واذهبوا الى عبدى أيوب واصعدوا محرقة لاجل أنفسكم وعبدى أيوب يصلى من أجلكم لانى أرفع وجهه لئلا أصنع معكم حسب حماقتكم لانكم لم تقولوا فىّ الصواب كعبدى أيوب » (أى ٤٢ : ٨) ولم يلزم أصحاب أيوب بذلك فقط بل ألزم أبيمالك ملك جرار ليفعل هذا الفعل عينه مع ابراهيم لينجو هو ونساؤه من الكارثة التى أصابتهم بقوله له : « رد امرأة الرجل فانه نبي وهو يصلى لأجلك فيحيّ ابيمالك ودعا ابراهيم ورد له سارة امرأته فصلى

ابراهيم الى الله فشفى الله أبيمالك وأمرأته وإمائه فولدن لأن الرب كان قد أغلق كل رحم فى بيت ابيمالك بسبب سارة امرأة ابراهيم » (تك ٢٠ : ١ — ١٨)

ولو علم المعترضون أن بولس الرسول نفسه طلب من جمهور المؤمنين الأتقياء أن يستشفعوا فيه لما انكروا قوة الشفاعة ومنفعتها. وحسبنا ما جاء فى رسالتيه الى روميه وتيموثاوس عن هذا الموضوع فان فيهما الدليل الكافى على ذلك. حيث قال فى الاولى : اطلب إليكم أيها الاخوة بربنا يسوع المسيح وبمحبة الروح أن تجاهدوا معى فى الصلوات الى الله من أجلى (رو ١٥ : ٣٠) وقال فى الثانية : اطلب قبل كل شىء أن تقام تضرعات وصلوات وتوسلات وتشكرات من أجل جميع الناس (١ تى ٢ : ١)

أما اذا قالوا إن القديسين يشفعون وهم أحياء فى هذا العالم فقط وبعد انتقالهم لا تكون لهم شفاعة، قلنا اذا كانت الشفاعة متيسرة للقديسين وهم بعد فى هذه الحياة فانها تكون لهم أيسر وهم فى السماء لأنهم يكونون حينئذ قد

كفوا عن الخطيئة وتحرروا من سلطانها القاسى ، الأمر الذى يصيرهم أكثر دالة وقربى لدى العرش الالهى . ولو علموا أن الله إله أحياء لا أموات (مت ٢٢ : ٣٢) لما كان هناك سبيل الى انكار الصلة التامة والصلوات المتبادلة بين الكنيسة المنتصرة والكنيسة المجاهدة .

ومما هو جدير بالالتفات اليه أن الله نفسه أشار إشارة جلية الى شفاعة القديسين المنتقلين من هذا العالم وذلك بقوله لأرميا النبى عن موسى وصموئيل بعد موتهما : « ان وقف موسى وصموئيل أمامى لا تكون نفسى نحو هذا الشعب » (أر ١٥ : ١٠) وهو قول صريح يدل على أن موسى وصموئيل كانا معتادين أن يقفا أمامه تعالى ليشفعا فى بعض البشر ولكن شر أورشليم الفظيع وقتئذ جعله أن يرفض شفاعتهما ويعلن رفضها لنبيه بهذه الصورة .

واذا قالوا لماذا يصلى القديسون من أجلنا وهم فى السماء ، قلنا انهم يصلون من أجلنا كما نصلى نحن المؤمنين الواحد عن الآخر . لان القديسين وإن كانوا فارقوا الارض

إلا أنهم ما زالوا اعضاء معنا فى جسد المسيح الخفى الواحد أى كنيسته كما يقول بولس الرسول : فانه ان كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه وان كان عضو واحد يكرم فجميع الاعضاء تفرح معه (١ كو ١٢ : ٢٦)

والخلاصة : ان شفاعة الكفارة التى بها حصلنا على المصالحة مع الله والغفران والحكمة والخلاص وكل نعمة انما هى خاصة بالمسيح يسوع وحده . أما الأستشفاع بقديسيه القائمين أمام منبره العظيم أو الذين هم بعد فى هذه الحياة للنجاة من ضيقات العالم الحاضر وبلاياه المتنوعة فلا سبيل لانكارها ورفضها لأن كل آيات الكتاب مؤيدة لها وناطقة بصحتها .

---

(١٠) ﴿ صور القديسين ورفاتهم وآثارهم ﴾

تعتقد الكنائس البروتستانتية أن اكرام صور القديسين وتعظيم رفاتهم واحترام آثارهم مخالف لتلك الوصية القائلة : « لا تصنع لك صورة ما مما فى السماء من

فوق وعلى الارض من تحت لا تسجد لهن ولا تعبدهن »
(خر ٢٠ : ٤)

وقد نسوا أو تناسوا أن الله أمر موسى أيضاً أن يصنع كروبين (أى صورة ملاكين) على تابوت العهد (خر ٢٥ : ١٠) فاذا شرحت الوصية الأولى حسب زعمهم وهو النهى عن اتخاذ الصور على الاطلاق لكان الله جل شأنه مناقضاً نفسه لأن ما نهى عنه فى الوصية الأولى عاد فأمر به فى الوصية الثانية وهو ما تجل عنه الذات الألهية اجلالاً فائقاً : لانه ليس انساناً فيكذب ولا ابن آدم فيندم (عد ٢٣ : ١٩)

اذن ينتج بالبداهة أن النهى عن اتخاذ الصور والتماثيل فى الوصية الأولى انما كان للتحذير من عبادتها فقط كما يؤخذ من آخر الآية فى قوله (ولا تعبدهن) أما الأمر باتخاذها فى الوصية الثانية فقد كان للعبرة والتذكار

وحيث أن الكنيسة القبطية لم تتخذ صور القديسين للعبادة بل للتذكرة والعبرة فهى لذلك لم تخطىء فى عملها

لأن الصور إن هى الا كتاباً يعلمنا وهو صامت بأبلغ عبارة ما كان عليه أولئك القديسون من الطهر والعفاف وما قاساه الشهداء من الاضطهاد والعذاب من أجل كلمة الله فنقتدى بأعمالهم وننسج على منوالهم عملاً بقول بولس الرسول : اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله انظروا الى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم (عب ١٣ : ٧) قال لوثر (من هو ذاك الذى بلغ به العمى الى هذا الحد حتى يرى أنه من الخطأ تصوير الحوادث التاريخية المسيحية ونقشها ووضعها فى البيوت والهياكل المقدسة . أنا لا أرى خطأ فى ذلك)

وقال أيضاً (انه مسموح لكل مسيحى أن يتخذ صور القديسين لانها حروف هجائية تذكرنا بالمرسومين عليها وتشخصهم لنا)

ولقد أصاب فى قوله هذا غاية الاصابة لأن العناصر المحسوسة تعين النفس على ادراك الحقائق الروحية ، إذ أن النفس لا تعرف ولا تفهم شيئاً ما لم تتنبه الحواس الخارجية التى هى بمنزلة أبواب تدخل منها المعلومات حتى تتصل

بالنفس وهناك ترسمها المخيلة وتنقشها الذاكرة فى ألواح العقل . وهذا ظاهر فى كل أمور الحياة . فما لم تسمعه الاذن وتشاهده العين لا يمكن أن تعرفه النفس . ومن ثم نرى المدارس لا يمكنها تبليغ أكثر الحقائق العلمية بطريقة راسخة إلا بواسطة التصوير كما هو الواقع من رسم الخرائط الجغرافيــة فانه بواسطته يتعرف الطالب موقع كل بلد وتحديده الجغرافى

ولسنا نوضح خافياً اذا قلنا إن الصور لم تكن حديثة العهد فى الكنيســة المسيحية بل وجدت فيهــا منذ فجر النصرانية كما يظهر من قول بولس الرسول لأهل غلاطية « أيها الغلاطيون الأغبياء من رقاكم حتى لا تذعنوا للحق انتم الذين أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً » (غل ٣ : ١)

وقــد اتفق مشاهير شراح الكتاب المقدس على أن هــذه الآية تدل صراحة على أن صورة صلبوت المسيح كانت مرسومة بالحس أمام أعين أهل غلاطية . ومن ثم

كان الشاهد الموضوع أمام هذه الآية يشير الى الحية النحاسية التى هى صورة حسية (راجع غل ٣ : ١ و سفر العدد ٢١ : ٩ فى التوراة ذات الشواهد)

واذا قال المعترض إن اتخاذكم الصور للتذكار أمر مستحسن غير أن التقبيل والسجود والتبخير لها أمور غير لائقة بها لأنها لم تخرج عن كونها قطعة من الخشب أو معدناً من المعادن . قلنا لا حرج علينا فى ذلك . فكما أن كهنة اليهود كانوا يرقصون ويسجدون أمام التابوت وبأيديهم المجامر وفيها البخور (خر ٣٠ : ٣٦) ولم يلحقهم من ذلك خطأ ما ، لأن السجود لم يكن لخشب التابوت وطلائه ، وانما لله جلّ شأنه . هكذا نحن عند ما نسجد أو نبخر لصورة الصلبوت ونقبّلها لم يكن ذلك للخشب والطلاء ولكنه لصاحب الصورة نفسه وهو يسوع المسيح ربنا .

قال لوثر[1] « انى اذا سجدت قدام ايقونة الصلبوت

---

(١) تاريخ الاصلاح الجزء الاول طبعة بيروت سنة١٨٧٦ص٦٤

لا أكون بذلك سجدت لايقونة المسيح مصلوباً ولا لخشبة علّق عليها الفادى انما أكون قد سجدت لذات الفادى بتكريمى الخشبة . ومن فهم خلاف ذلك فقد أخطأ . واذا وجد من تورط بمثل هذا التكريم وانتقل منه الى التعبد المحض فقد تجاوز الحد واقتضى اصلاحه . ولا يليق بنا أن نرذل تكريم الايقونات اذا وجد من أساء التصرف بها . واذا كان هناك من لا يدرك حقيقة تكريم الايقونات وانتهى الأمر به الى أن عبدها فهل نلزم لذلك بالكف عن تكريمها ؟

هب أنه وجد من أساء زيجة سنها الله فهل تهجرون بسبب فعله نساءكم وتطردونهن من بيوتكم . واذا وجد من أساء تعاطى الخمر فهل تهرقونها على الأرض وتنقطعون عن شربها مكتفين بالماء »

هذا ولا يغرب عن الاذهان أن السجود نوعان سجود عبادة [1] وسجود اكرام . فالنوع الأول لا يقدم إلا لله

(١) سجود العبادة نوعان — أولها ما هو واجب بالنظر الى

وحده وللقربان المقدس .

أما النوع الثاني فيمكن تقدمه للأشخاص والمواد. كما سجد يوماً كاملاً يشوع بن نون امام تابوت العهد الذى صنعته ايدى البشر من مادتى الخشب والذهب (يش ٧ : ٦ — ١٠)وكما سجد ابراهيم لبنى حث(تك ٢٣ : ٥)ويعقوب لعيسو (تك ٣٣ : ٣) وموسى ليثرون حميه (خر ١٨ : ٧)، وبنو يعقوب ليوسف اخيهم (تك٤٢ : ٦) وناثان النبي لداود الملك (١مل ١ : ٢٣)

ذات المسجود له . والثانى ما هو واجب بالنظر الى العرض الموضوع عن الذات المسجود لها . فالأول كالسجود لذات الله والثانى كسجودنا للقربان المقدس من حيث ان سيدنا يسوع المسيح الموجود فيه هو إلهنا مبدع كل الخيرات وخالق جميع البروءات .

والسجود المختص بالله يقوم أولا بالاجلال الباطنى لحضرته الالهية . وثانياً ببعض علامات خارجية دالة على التهيب والتوقير والخضوع لعظمته ومن ثم نجثو على ركبنا أمامه تعالى دلالة على حقارتنا نظراً الى جلاله الالهى ثم نضم جباهنا على الأرض معترفين بذلك اننا كلا شيء نظراً الى ذاتنا أمام سيادته الالهية .

ومما أدعى للذكر هنا ان الله نفسه قد اباح السجود للبشر سواء أكانوا كهنة ام ملوكاً اتقياء بقوله تعالى لعالى الكاهن : واقيم لنفسى كاهناً اميناً ويكون أن كل من يبقى فى بيتك يأتى ليسجد له (١ صم ٢ : ٣٥) وقوله لكاهن كنيسة فيلادلفيا : هانذا اصيرهم يأتون ويسجدون امام رجليك ويعرفون انى انا احببتك (رؤ ٣ : ٩).

نعم لقد جاء عن يوحنا الرسول أنه لما أراد أن يسجد أمام الملاك الذى كان يريه تلك المناظر منعه بقوله : انظر لا تفعل انا عبد معك ومع اخوتك الذين عندهم شهادة يسوع (رؤ ١٩ : ١) غير أن ذلك كان لأمرين إما لمكانة يوحنا ومنزلته عند الله التى وان لم تزد عن منزلة الملاك الذى كان يريه تلك المناظر فهى مساوية لها ، ومن ثم منعه عن ذلك . وإما لأن يوحنا ظن الملاك أنه المسيح لما رآه عليه من الاجلال والشرف والبهاء فأراد ان يسجد له كأنه إله معبود فاستشعر الملاك بظنه فمنعه عن ذلك . ولهذا السبب عينه منع بطرس الرسول كرنيليوس من السجود له

وكذلك رفاة القديسين وآثارهم يجب أن تكرم وتحترم فى أقصى حدود الكرامة والاحترام لأن ما اثبته الله من الكرامة الفائقة لعظام اليشع النبي التى أقامت ميتاً وأعادت له الحياة أوجب على الناس اكرام رفاة القديسين واحترام آثارهم (راجع ٢ مل ١٣ : ٢١ ، ٢ : ١٣ و ١٤ ، اع ١٩ : ١٢)

ولقد جرت عادة الكنيسة منذ عصر الرسل أن تكرم صورة السيد المسيح والقديسة مريم وتقبل رفاة القديسين باحترام كلى حتى القرن الثامن حيث أمر الملك لاون الذى تبوأ عرش القيصرية سنة ٧١٦م بانزال سائر الايقونات من الكنائس لزعمه أن السجود لها انما هو عبادة أوثان . ثم أمر باضطهاد من يسجد للأيقونات وقد بلغ الأمر بالمضطهدين أنهم كانوا يكسرون الأيقونات على رؤوس من يجدونها فى بيته . ولما مات هذا الملك اجتمع نواب سائر بطاركة العالم وحرموا محاربى الايقونات فى مجمعين عقدا سنة ٨٦٩ و ٨٧٩ وقرروا

بان الايقونات يجب أن تعلق فى الكنائس والبيوت وأن يقدم ما يليق لها من السجود والتقبيل لا للعبادة الدينية ولكن للاكرام فقط . كما أنه يقدم لها البخور وتوقد أمامها المصابيح اكراماً لعنصرها الاصلى.

---

(١١) ﴿ بتولية السيدة العذراء مريم ﴾

لقد دعيت القديسة مريم منذ الأجيال الأولى بمريم العذراء . وان لفظ عذراء هو النعت الخاص بها واللازم لاسمها الكريم حيثما ذكر لأن ابنها المولود منها قد خرج من مستودعها خلواً من فساد بتوليتها كما ينفذ نور الشمس من الزجاج خلواً من كسر أو انثلام .

وقد كان لائقاً بصانع العجائب وينبوعها أن يولد هكذا بنوع عجيب ومغاير للعادة . ومن ثم فهى دائمة البتولية قبل الولادة وحال الولادة وبعد الولادة أيضاً .

ولقد تقدمت العبارة عن ميلاد ربنا يسوع المسيح

من سيدتنا القديسة مريم خلواً من فساد بتوليتها بذلك الباب الناظر الى المشرق الشاهد من حزقيال النبي برؤياه التي يخبرنا عنها بقوله « ثم أرجعني الى طريق باب المقدس الخارجي المتجه للشرق وهو مغلق فقال لي الرب هذا الباب يكون مغلقاً لا يفتح ولا يدخل منه انسان لأن الرب إله اسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً » (حز ٤٤ : ١ ـ ٣)

وقد فسر القديس اغسطينوس هذا النص بقوله (ما هو معنى « باب مغلق في بيت المقدس » إلا أن القديسة مريم تكون على الدوام عادمة الدنس مالكة لخاتم بتوليتها . وما هو معنى قوله « لا يدخل منه انسان » إلا أن القديس يوسف لم يعرفها قط . وما هو معنى « لأن الرب إله اسرائيل دخل منه » إلا أن الروح القدس حل فيه . وما هو معنى « هذا الباب يكون مغلقاً لا يفتح » إلا أن مريم قد كانت قبل الولادة عذراء وبقيت بعد الولادة عذراء أيضاً)

على أنه بالرغم من ذلك نجد بعضاً من البروتستانت

الذين أخذوا عن البديوس[١] وأبيون وبوفيناس الهراطقة[٢] يقولون إن القديسة مريم ولدت المسيح وهى عذراء فقط كنبوة أشعياء القائلة « هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل » (اش ٧ : ١٤) .

أما بعد ولادة المسيح فلم تظل هكذا بل عادت واقترنت بيوسف وولدت أولاداً هم (يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا ـ مت ١٣ : ٥٥) مستندين فى ذلك على كلمة (حتى) الواردة فى ذلك النص القائل : « ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر » (مت ٢ : ٢٥) مع أن كلمة (حتى) اذا كانت مسبوقة بنفى فغالباً ترد فى الكتاب بمعنى القطع بعدم وقوع ما تعلقت به فى الماضى دون اثبات وقوعه فى

---

(١) ظهر هذا الهرطوقى سنة ٣٨٢ م وأخذ ينشر بدعته هذه الشنيعة بين المسيحيين غير أنها لم تلبث ان ماتت بموته ثم جددها البروتستانت مرة أخرى

(٢) الفرق بين الكفر والهرطقة . ان الكفر عدم الايمان ـ والهرطقة ضلال المؤمن .

المستقبل . ولقد وردت آيات كثيرة فى الكتاب المقدس بهذا المعنى منها قوله « ولم تلد ميكال بنت شاول حتى ماتت » (٢ صم ٦ : ٢٣) ومعنى ذلك أنها لم تلد بعد موتها بالطبع .

وما أحسن ما قاله القديس ايرونيموس فى هذا الصدد (لو قلنا إن البديوس لم يتب حتى مات فهل يؤخذ من ذلك أنه تاب بعد موته. كلا . اذن كلمة (حتى) لا يستدل منها بتاتاً على أن يوسف عرف القديسة مريم بعد أن ولدت السيد له المجد)

أما اخوة المسيح الوارد ذكرهم فى الانجيل فليسوا هم أولاد القديسة مريم وانما هم أولاد يوسف خطيبها من الزيجة الأولى على رأى بعض العلماء ، أو أولاد كاوبا أى حلفا أخى يوسف على رأى البعض الآخر . غير أن الرأى الأول أسد وأرجح .

واذا قال المعترض ألم تدل لفظة (البكر) الواردة فى نص الانجيل « ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر » على أن مريم ولدت أولاداً غير المسيح ؟ قلنا إن متى دعا المسيح بكر

مريم لأنها لم تله مولوداً قبله لا لأنها ولدت بعده لا سيما وان الكتاب اعتاد أن يدعو المولود الأول بكراً ولو كان وحيداً كما دعا الشعب الاسرائيلى بكر الله مع أنه لم يكن له سواه (خر ٤ : ٢٢) وكما دعا المسيح له المجد بكر الله الآب مع أنه وحيده (عب ١ : ٦ ، يو ٣ : ١٦!)

وأن من تصفح سفر الخروج بامعان يتضح له أن اليهود كانوا يسمون كل فاتح رحم بكراً بصرف النظر عن كونه متبوعاً بغيره أو لا (راجع خر ١٥ : ٢ ، ٣٤ : ١٩) والا لو كانت هذه الدعوى صحيحة لما كان ممكناً للشعب الاسرائيلى أن يقدس البكر إلا بعد الانتظار أ يولد له اخوة أم لا

ويظهر فساد هذا التعليم بنوع أخص مما يأتى : —

(١) من قول القديسة مريم للملاك حين البشارة : « كيف يكون لى هذا وأنا لست أعرف رجلاً » (لو ١ : ٢٤) ذلك القول الذى دل دلالة صريحة على أنها كانت عازمة على حفظ بتوليتها حتى النهاية . واذا كانت وهى شابة حديثة

السن فاقدة الأبوين لم تعرف ماذا يكون مصيرها بعد وقبل أن تتشرف بميلاد ابن الله منها وتتقدس بفعل الروح القدس كان عندها هذا العزم الوطيد فكيف يعقل بعد أن أفيضت عليها تلك البركات والنعم بغزارة فائقة تعود فتصير زوجة لرجل، ان ذلك لباطل بالبداهة .

(٢) من قول المخلص لها وهو على عود الصليب عن يوحنا « هذا ابنك » وقوله ليوحنا « هذه أمك » (يو ١٩ : ٢٦) وهو قول دل بلا أقل شبهة أنه لم يكن للقديسة مريم أولاد غير ربنا يسوع المسيح وإلا كان سلمها لهم بالضرورة

(٣) من أقوال الآباء القديسين كباسيليوس وترتليانوس وابيفانيوس واوريجانوس .

قال القديس باسيليوس (ان المسيحيين لا يطيقون أن يسمعوا بزواج العذراء بعد ولادتها السيد المسيح لأنه على خلاف ما تسلموه من آبائهم)

قال العلامة اوريجانوس (لقد وصل الينا من التقليد

أن بتولية العذراء الدائمة كانت من الحقائق التى تداولتها الكنيسة المسيحية من أول نشأتها)

أما اذا قيل لماذا تزوجت القديسة مريم من يوسف اذا كانت عازمة على حفظ بتوليتها كل أيام حياتها ؟ قلنا لتكون محفوظة عنده كزوجة دفعاً للأوهام وحفظاً لشرفها ومنعاً لتصور الناس انها زانية . وكل ذلك كان بتدبير إلهى لحفظ حياتها المباركة المقدسة .

---

(١٢) ﴿ تسمية القديسة مريم بوالدة الاله ﴾

لقد أنكر بعض البروتستانت هذا اللقب الشريف وهو أم الله على القديسة مريم رغم كونه ثابتاً ومحققاً من النصوص الالهية الكثيرة الصريحة التى تؤيده وتدعمه .

فقد قالت اليصابات أم يوحنا المعمدان لهذه القديسة عند زيارتها لها : « من أين لى هذا أن تأتى أم ربى الى » (لو ١ : ٤٣) وقال جبرائيل الملاك لها حين بشرها : « ان

القدوس [1] المولود منك يدعى ابن الله » (لو ١ : ٣٦)
وقال الملاك للرعاة حين بشرهم : « فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب إنه ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب » (لو ٢ : ١٢) وقال اشعياء النبي : «هوذا العذراء تحبل و تلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا » (مت ١ : ٢٣) وقال زكريا لابنه يوحنا « أنت أيها الصبي نبي العلى تدعى لأنك تتقدم أمام وجه الرب لتعد طرقه » (لو ١ : ٧٦)

ومن هذه الآيات البينات يتضح تمام الايضاح أن القديسة مريم بحق تدعى والدة الأله لانها ولدت المسيح الله الذى ظهر فى الجسد (١ تى ٣ : ١٦) ومن يقول بغير ذلك فيكون قد أنكر لاهوت السيد المسيح وتورط فى الكفر والضلال وسقط فى هرطقة نسطور الكافر الذى رفض أن يلقب القديسة مريم بأم الأله قائلا انها أم المسيح

---

(١) القدوس أى الكثير القداسة وهو من أقطع الأدلة على لاهوت ربنا يسوع المسيح لانه مما لا ينعت به الا الله وحده .

بدعوى أن اللاهوت لا يمكن أن يولد من امرأة . وقد فاته ان الذى ولدته القديسة مريم انما هو إله متأنس . وكما يقال عن التى تلد بولس مثلاً أنها أم بولس مع انها لم تلد نفسه التى خلقها الله، هكذا بحق وصواب يقال عن القديسة مريم انها أم الله لانها حملت باله متجسد فى احشائها . لا كأنها منحت الابتداء للاهوت لكن لانها منحت الابتداء للشخص الذى به اتحدت الطبيعة الالهية مع الطبيعة البشرية المأخوذة من دمها الطاهر .

قال القديس يعقوب السروجى (هذا هو الابن الذى صوّر أمه فى بطن أمها وهو تصور فيها جسدياً وصار منها — زين أمه بصورة أبيه حين خلقها . وفى آخر الزمان جاء فتصور فيها وصار منها . بالامس خلقها واليوم ولد منها فانه أقدم وأحدث من والدته)

قال القديس كيرلس (وبقولنا ان مريم والدة الاله لا يفهم منه أن طبيعة الكلمة أو اللاهوت أخذ بدايته من هذه القديسة بل ان منها قد تصور الجسد المقدس بنفس

ناطقة وبه أى بالجسد اتحـد الـكلمة اتحاداً اقنومياً . فمن ثم يقال ان الـكلمة قد ولد حسب الجسد . وهكذا فى نظام الطبيعة فالامهات لا يشتركن بنوع من الأنواع البتة فى خلقة النفس ومع ذلك لايمنع القول بأنهن أمهات الانسان كله ولسن أمهات الجسد فقط)

وقد دحض هذا القديس (اى كيراس)بدعة نسطور الفظيعة هذه وأرسل للمؤمنين منشوراً يقول فيه هـكذا (انى لأعجب من وجود قوم يرتابون فى تلقيب العذراء بوالدة الأله . لأنه اذا كان المسيح إلهاً فكيف يضن على التى ولدته بلقب أم الله)

واذ جاهر نسطور بهذا المعتقد الفاسد انعقد ضده المجمع الثالث المسكونى فى أفسس سنة ٤٣١ م تحت رآسة كيرلس الـكبير بابا الاسكندرية وأصدر ضده الحـكم الآتى :—

(من المجمع المقدس الملتئم فى عاصمة أفسس الى نسطور يهوذا الثانى — اعلم انك منزوع من كل وظيفة ودرجة فى

الـكنيسة من المجمع المقدس بمقتضى القوانين البيعية وذلك من أجل خطبك الغير المهذبة واصرارك وعنادك ضد القوانين المقدسة)

وعلى أثر ارفضاض المجمع أرسل أعضاؤه الى الملك رسالة هذا نصها (نحن نؤمن ان عمانوئيل هو الأله المتأنس وأما نسطور فلم يشأ أن يشاركنا فى هـذا الايمان ولذلك فهو غريب من الآب والابن والروح القدس . غريب من ميراث الرسل . غريب من البيعة الواحـدة المقدسة الجامعة الرسولية هو وكل من لا يقول ان العذراء مريم ولدت الـكلمة متجسداً . يسوع هو الخالق ، يسوع هو الغالب ، يسوع هو المخلص ـ له المجد الى الأبد آمين)

ثم وضع هذا المجمع أيضاً مقدمة دستور الايمان التى تثبت أن القديسة مريم هى والدة الأله وهى (نعظمك ياأم النور الحقيقى ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الأله لانك ولدت مخلص العالم كله أتى وخلص نفوسنا. المجد لك ياسيدنا وملـكنا المسيح فخر الرسل اكليل الشهداء تهليل الصديقين

ثبات الكنائس غافر الخطايا نكرز ونبشر بالثالوث المقدس لاهوت واحد نسجد له ونمجده يارب ارحم يارب بارك آمين.)
(انظر المجلد الأول ـ لاهوت المسيح)

الرهبانية (١)

الرهبانية طريقة زهد وعبادة يختارها بعض المؤمنين الذين يقصدون الكمال عائشين فيها عيشة مشتركة تحت قانون معيّن . قال صاحب المجموع الصفوى فى وصفها (الرهبنة فلسفة الشريعة المسيحية . والرهبان ملائكة أرضيون وبشر سمائيون)

وان من تصفح كتاب الله بترو وامعان يتضح له

---

(١) الراهب من ترهب أى تبتل لله واعتزل عن الناس الى الدير طلباً للعبادة . جمعه رهبان . وهى راهبة جمعها راهبات ورواهب .

أنه وجد في كلا العهدين رجال آثروا هذه العيشة عيشة الطهر والقداسة فهجروا ملاذ العالم وأنكروا ذواتهم عائشين لله لا يلهيهم عن عبادة ربهم وتحصيل القداسة والخلاص شيء من الأشياء . كأيليا وأليشع في العهد القديم ، ويوحنا وبولس في العهد الجديد . وذلك بخلاف المتزوجين فانهم ينشغلون بمهمات بيوتهم وأمور زوجاتهم وقلما يتفرغون لعبادة ربهم وعمل خلاصهم . ومن ثم قال بولس الرسول : « غير المتزوج يهتم في ما للرب كيف يرضي الرب وأما المتزوج فيهتم في ما للعالم كيف يرضي امرأته . ان بين الزوجة والعذراء فرقاً . غير المتزوجة تهتم في ما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً وأما المتزوجة فتهتم في ما للعالم كيف ترضي رجلها » (١ كو ٧ : ٣٢ — ٣٤)

قال أحد القديسين (ان الاقامة على البتولية حسنة وهي جليلة لما فيها من الطهارة ، وشهية لما فيها من الحرية ، ونافعة لما فيها من الثواب الجزيل . فان منزلة البتولية فوق مقام الطبيعة البشرية وبها البشر يشابهون الملائكة لكن

يفوقونهم من جهة الغلبة . فان الملائكة أدركوا الغلبة بغير الجسد والمتبتلون يدركون الغلبة فى الجسد)

وكفى الرهبانية فخراً أنها دعوة إلهية أى أن الله سبحانه وتعالى يدعو بعنايته التى لا حدّ لها بعض المؤمنين لهذه الطريقة ويمنحهم الوسائل والنعم اللازمة للحصول عليها والقيام بواجباتها .

ولقد شهد أكثر الرهبان الفضلاء أن هناك إلهاماً خصوصياً يوقع فى قلب المدعو حركة باطنية شديدة يندفع بها الى السير فى هذه الطريقة كأنه مسحوب اليها سحباً

وهذا الاختبار يؤيده قوله تعالى عن الذين يفضلون عيشة البتولية عن الزواج « ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطى لهم » (مت١٩ : ١١)

غير أن البتولية وان كانت لها هذه المنزلة السامية فى نظر الكنائس الرسولية إلا أنها لم تحرم الزواج على الاطلاق بل تعده مقدساً وطاهراً (عب ١٣ : ٤) وسراً من أسرار الكنيسة الذى لشرفه وسمو مقامه شبه باتحاد المسيح

بكنيسته (اف ٥ : ٣٢) وفوق ذلك فانها تعتبر المنع عنه من أسوأ تعاليم المرتدين عن الايمان (١ تى ٤ : ١) لأنه النظام الوحيد الذى استحسنه الخالق الحكيم فرتبه لبقاء الذرية البشرية ولحفظ الكون وعمرانه (تك ٢ : ١٨) ومن ثم لم تفرض البتولية على أبنائها فرضاً وتحتم عليهم الالتزام بها تحتيماً بل تركت أمر قبولها وعدمه لحريتهم اعتقاداً منها أن من يتزوج يفعل حسناً ومن لم يتزوج يفعل أحسن . تبعاً لتلك المشورة الحكيمة التى نصها (من استطاع أن يقبل فليقبل) تتمة للآية القائلة : (لانه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ويوجد خصيان خصاهم الناس ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات) (مت ١٩ : ١٢)

﴿ مؤسس الرهبانية ﴾

يرجع تأسيس الرهبانية رسمياً الى القديس انطونيوس الذى ولد سنة ٢٥١ م فى بلدة قمن من أعمال الواسطى باقليم

بني سويف من أبوين غنيين وقد مات أبواه وهو في العشرين من عمره .

وفي ذات يوم ذهب الى الكنيسة للصلاة وأخذ يتأمل في نفسه كيف ترك الرسل كل شيء وتبعوا سيدهم وكم كانت سعادتهم . وبينما هو مستغرق في هذه الأفكار سمع قول الرب للشاب الغني « ان أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك واعطِ الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني » (مت ١٩ : ٢١)

فاعتقد القديس ان كلمة الانجيل لم تقع اتفاقاً بل موجهة اليه(١) . ومن ثم لم يلبث ان عاد الى بيته حتى باع كل ممتلكاته ووزع ثمنها على الفقراء والمساكين ثم انفرد في البرية الشرقية للنسك والعبادة هازئاً بزخارف الحياة وأباطيلها . وقد امتاز بصبره وثباته وصدق جهاده حتى ضربت به الأمثال وذاع صيته في سائر الأمصار والأقطار فسمع الناس بأمره

---

(١) تعتبر امثال هذه الحادثة عند علماء الشريعة الموسوية نوعاً من الاوحية التي يعلن بها الله ارادته لعبيده .

وذاعت بينهم أخبار تقواه وفضيلتـه فقصـدوه زرافات ووحداناً فابتنى لهم الاديرة التى أشهرها الدير المعروف باسمه الى اليوم بجبـل القلزم . ثم سن لهم القوانين التى يسيرون عليها فى حياتهم النسكية وظل على ذلك حتى توفى بالغاً من العمر ١٠٤ سنوات

ولقد ساعد هـذا القديس فى تأسيس الرهبنة الآباء القديسون بولا وباخوميوس ومكاريوس المصرى . غير أن القديس بولا كان أسبق الجميع فى سلوك هـذه الطريق الصالحة .

---

(١٤) ﴿ الصلاة على أنفس المنتقلين الصالحين ﴾

تمهيد : تعتقد كنيسة المسيح الجامعة اعتماداً على ما ورد فى الـكتب الالهية أن الأرواح لا تنال ثوابها أو عقابها على أثر انفصالها من أجسادها بل تأخذ عربوناً فقط على التعاسة اذا كانت طالحة أو السعادة اذا كانت صالحة ثم

تستريح قليلا ليوم النشور حيث تلبس أجسادها التى تنال معها ما تستحقه من ثواب كامل أو عقاب شامل . وذلك لأن عدالة الله لا ترضى أن تسعد النفس أو تشق قبل أن تتحد بجسدها الذى كان شريكاً لها فى الطيب والخبيث من أعمالها (رؤ ٩ : ٦) ومن ثم فهى تصلى الى الله طالبة منه أن يحسن المكافأة العتيدة لا للخطاة الذين أمعنوا فى الشرور والمعاصى بل للذين ساروا سيرة صالحة مقدسة ولكنهم كبشر ضعفاء قهرتهم الخطية فوقعوا فى السهوات والخطايا المستترة التى يصفها ويستغفر عنها صاحب المزمور ربه بقوله : « السهوات من يشعر بها . من الخطايا المستترة ابرئنى » (مز ١٩ : ١٢) وكأنى به يقول : « انى وان كنت حفظت وصاياك يا إلهى وأيضاً أحفظها بحسب استطاعتى ومع ذلك لا يمكنى أن أحتسب نفسى بريئاً أمامك وذلك لأسباب ثلاثة (١) لضعف فهمى الذى أصبح كفيفاً بكثرة الخطايا المميتة ومظلماً بكثرة النقائص العرضية (٢) لكثرة التعديات والمخالفات الصادرة منى التى تعتبر فى عددها كرمال

البحـار وأوراق الأشجار (٣) لتشتت عقلى وتفرقـه بأفكار وأقوال لا عدد لها خلواً من الفطانة والتمييز ولذلك أنساها سريعاً ولا استغفر عنها لأنها لم تزل لاحقة بعضها ببعض بغاية الاسراع

هذا وصف صاحب المزمور لسهواته وخطاياه المستترة التى كان يأتيها هو ويأتيها جميع الناس مرغمين فى كل زمان ومكان . أما استغفار ربه عنها فلأنه كان يعلم أن السهوات التى يأتيها الانسان بلا علم والخفيات التى لا يشعر بها والخطايا الغير المدركة منه وان كانت فى نظره ونظر الجميع نتيجة الضعف البشرى إلا أنها ليست هكذا فى نظر العدل الالهى . وحسبنا ما قيل عنها لموسى النبى « واذا أخطأ أحد وعمل واحدة من جميع مناهى الرب التى لا ينبغى عملهـا ولم يعلم كان مذنباً وحمل ذنبه » (لا ٥ : ١٧) وفى ذلك دليـل واضح على أن السهوات وإن نسيها مَن صنعها فهى ليست منسية أمام الله بل لا بد وان يدينه تعالى على جميعها لأن جهله بها غير معذور

أما كون الانسان لا يخلو من الخطية ما دام لابساً الجسد الترابى مهما تناهى فى الصلاح فواضح من شهادة الكتاب الذى يقول « ان قلنا إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا » (١ يو ١ : ٨) وهذا ليس تعليم الكتاب واعتقاد الكنيسة القبطية فحسب ، بل هو اعتقاد الكنائس المسيحية جمعاء . فقد قال صاحب كتاب علم اللاهوت البروتستانتى (ان كنيسة المسيح مقدسة لكنها ليست خالية من النقائص والشوائب . وحالها تشبه النفس المتجددة فانها مقدسة من وجه ومن وجه آخر غير كاملة التقديس)

وقال الدكتور وليم ادى الأمريكانى فى شرحه الاصحاح السابع من رسالة روميه (إنه لا أحد من الناس ينال القداسة التامة فى كل مدة حياته الارضية بدليل ما شهد بولس على نفسه وعلى غيره من المؤمنين) (رو ٧ : ١٤ ـ ٢٥)

وحيث أن الكنيسة عامة تعتقد ان الارواح لا تنال ثوابها أو عقابها على أثر انفصالها من اجسادها ، بل أرجىء

جزاؤها الكامل لليوم الأخير . وحيث أن أرواح الصالحين لا تخلو من السهوات والخطايا المستترة مطلقاً ، فاذن الصلاة ولا ريب تنفع تلك الأرواح الصالحة لأن باب الرجاء ما زال مفتوحاً أمامها . وإليك الايضاح

الفصل الأول

فى

الأدلة على ارجاء الجزاء الكامل لليوم الأخير

لقد سبق أن قلنا إن الكنيسة تسلمت من البداية أن أنفس الصالحين لم تتمتع حتى الآن بملكوت السموات بل تنعم فى جنة عدن حيث عيّن الله هذا المكان مسكناً للمتوفين من الاتقياء قبل قيامة الاجساد للدينونة (لو ٢٣ : ٤٣) وكذلك أنفس الاشرار لم تطرح حتى الآن فى الجحيم

الأبدى بل هى معتقلة فى محل عذاب ليوم الحساب

قال العلامة القس ابو الفرج المعروف بالمشرقى فى شرحه حادثة لعازر الواردة فى انجيل لوقا (١٦ : ٢٢) (أما حضن ابراهيم الذى حملت إليه نفس لعازر فهو كناية عن مكان الراحة والأمن الذى تنتقل اليه نفس المؤمن بعد الموت لان النفس الصالحة وان كانت لا تنال السعادة الكاملة إلا بعد القيامة إلا انها تتمتع الى ذلك اليوم بعربون السعادة . وكما أن الصالحين لا يتمتعون بالسعادة الكاملة إلا بعد القيامة كذلك الاشرار لا يتعذبون العذاب الكامل إلا بعد القيامة . ومن يوم موتهم الى يوم الرب يتألمون بما يسمى عربون الشقاء والتعاسة)

وحيث أن الأنفس المنتقلة لم تصل الى حال الطوباويين ولا تمتعت بالملكوت ولا حكم عليها بالنار المؤبدة فى جهنم فساغ للكنيسة أن تصلى لله وترفع القرابين عنها رجاء التغاضى عما لحقها من توانٍ وكسل وتفريط حتى تصير أهلا لمشاهدة جلاله الالهى . قال صاحب الرؤيا واصفاً حالة الصالحين المتوفين:

ولما فتح الختم الخامس رأيت تحت المذبح نفوس الذين قتلوا من أجل كلمة الله ومن أجل الشهادة التى كانت عندهم وصرخوا بصوت عظيم قائلين حتى متى أيها السيد القدوس والحق لا تقضى وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الارض فأعطوا كل واحد ثياباً بيضاً وقيل لهم أن يستريحوا زماناً يسيراً حتى يكمل العبيد رفقاؤهم واخوتهم ايضاً العتيدون أن يقتلوا مثلهم (رؤ ٦ : ٩) وقال بطرس الرسول واصفاً الحالة الراهنة للملائكة الاشرار : لأنه إن كان الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا بل فى سلاسل الظلام طرحهم فى جهنم وسلمهم محروسين للقضاء (٢ بط ٢ : ٤) ومن هذين النصين يتبين جلياً أن أنفس الأبرار فى حالة راحة مؤقتة حتى اليوم الأخير وحينذاك تنال أجرها الكامل وكذلك أنفس الأشرار فى حالة اعتقال ليوم الدينونة ووقتئذ تنال قصاصها النهائى .

وقد أعلن ربنا له المجد بأن ثواب الابرار وعقاب الاشرار لا يكون إلا بعد نهاية العالم بقوله : ومتى جاء

ابن الانسان فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسى مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم. . . ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار اذهبوا عنى ياملاعين الى النار الابدية المعدة لابليس وملائكته . . . فيمضى هؤلاء الى عذاب أبدى والابرار الى حياة أبدية (مت ٢٥ : ٣١ — ٤٦)

ومن نص هذا الحكم النهائى يتضح جلياً أن المنتقلين من هذا العالم لم يدانوا حال خروجهم منه بل هم فى حال انتظار . وهذا ليس معتقد الكنيسة القبطية فقط بل يكاد يكون معتقد سائر الكنائس المسيحية. قال صاحب كتاب كنز التفسير وهو بروتستانتى المذهب ص ٦٢٥ (إن نفوس المؤمنين تنتقل فى ساعة وفاتهم الى الراحة والسعادة الابدية نعم انها لا تتمتع بكمال المجد والسعادة حتى يوم القيامة

ولـكن لا يوجد فى اثناء هذه المدة ما يكدرها أو يزعجها مطلقا) وقال صاحب كتاب علم اللاهوت البروتستانتى (ولا أهمية لمعرفة أن سماء المؤمن التى يذهب اليها حالا عند موته أمسكنه الابدى عينه أو مسكن وقتى . غير أن الكتاب يعلمنا أن ذلك النصيب غير كامل فى بعض الوجوه الى حين القيامة والدينونة والحكم النهائى إما بالحياة الابدية وإما بالموت الابدى . فالابرار يتوقعون نوال أحياءهم عند القيامة ودخولهم بالنفس والجسد معاً الى السعادة السماوية والاشرار يتوقعون أحياءهم كذلك والذهاب بعد الدينونة الى الشقاء الابدى) مجلد ٢ جزء ٤



الفصل الثاني

في

الادلة على انتفاع أرواح المنتقلين الصالحين بالصلاة

قال ربنا له المجد : وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا في هذا الدهر ولا في الآتي (مت ١٢ : ٣٢) وبهذا النطق الالهي ثبت أن الخطية نوعان أحدهما لا يغفر في هذا العالم ولا الآتي. والآخر يمكن مغفرته في الحياة الحاضرة والعتيدة معاً . ومن ثم فالصلاة عن المنتقلين ذوي الانفس المرضية عند الله المتصفة بنعمته ولكنها لم تصل الى درجة النقاوة الكاملة اللائقة لمشاهدته تعالى لا بدّ وأن تنفعهم وتكفر عن هفواتهم . ودونك الأدلة الكتابية والتقليدية على ذلك

(١) الادلة الكتابية : انه فضلاً عن النص السابق الكريم

الذى أيّد به ربنا حقيقة الغفران فى العالم الآتى فقد قال بولس الرسول عن انسيفورس الذى كان انتقل وقتئذ من هـذا العالم بدليل أن الرسول لم يهده السلام كغيره مع انه سلم على أهل بيته ولو كان حياً لقدمه عليهم جميعاً لـكونه رب العائلة وله خدم وأفضال جليلة على الـكنيسة : ليعطه الرب أن يجد رحمة من الرب فى ذلك اليوم (اى يوم الدينونة) (٢تى ١ : ١٨) ومما لاريب فيه أنه لو كان بولس الرسول يعلم أن الصلاة عن المنتقلين ليست حقاً ولم تقدهم فائدة تذكر لما تضرع الى الله طالباً منه راحة ذلك الانسان فى اليوم الاخير وإلا تساوى بمن يجهلون الحقائق الدينية وذلك لا يتفق ومركزه الرسولى. وقال يوحنا الرسول : ان رأى أحـد اخاه يخطىء خطية ليست للموت يطلب فيعطيه حياة للذين يخطئون ليس للموت. توجد خطية للموت ليس لاجل هذه اقول أن يطلب (١يو ٥ : ١٦) واذا اعترض أحد بأن هذا القول موجه للخطاة الأحياء لا المنتقلين. قلنا نعم، وان كان هذا القول يشمل الخطاة الاحياء المصرين على خطاياهم وعنادهم

ونبذهم كل دواء وعلاج الا أن المقصود به بنوع أخص الخطاة المنتقلين. لأن كل خاطىء مهما كانت جسامة خطيته فانه لا يعدم وسيلة لغفرانها بنعمة المسيح المجانية ما دام حياً. هذا فضلا عن أن قصر الصلاة وحدها على غفران خطايا اولئك المصلى عنهم دون الحض على ارشادهم ووعظهم يدل دلالة قاطعة على أنهم انتقلوا من هذه الحياة ولم يبق امامهم سوى وسيلة واحدة لمغفرة خطاياهم وهى الصلاة والدعاء لهم. وإلا لو كانوا أحياء لقال علموهم وارشدوهم ثم صلوا واطلبوا لاجلهم لأن الوسيلة التى عينها الله لهداية الخطاة الأحياء الى طريق الخلاص وتقديس نفوسهم ليست الصلاة وحدها ولكن الارشاد والتعليم ايضاً.

ومما هو جدير بالذكر هنا أن عادة الصلاة عن المنتقلين لم تبتدىء من الكنيسة المسيحية فقط بل تقدمت فوجدت عند اليهود الذين كانوا على الدوام يقدمون الصلوات والتضرعات لاجل الموتى حتى انهم الى الآن لم ينقطعوا عن ذلك فى مجامعهم

ولقد ورد فى سفر المكابيين[١] أن يهوذا الجبار جمع صدقة وأرسل الى اورشليم اثنى عشر الف درهما من الفضة لتقرب عن خطايا الموتى قربانًا ومن اجل انه كان يفكر أن اولئك الذين قبلوا الوفاة بالتقوى تكون نعمة جيدة جديدة محفوظة لهم (١ مك ٢٢ : ٤٢)

---

(١) لقد اثبتنا فى المجلد الاول ص ٧٤ قانونية هذا السفر وغيره من شهادات الآباء الأول ثم نزيد على تلك الشهادات بانه عند ما طعن البروتستانت فى قانونية هذه الأسفار أعلنت الكنيسة الغربية رأيها بقرار المجمع التريدنتينى الذى عقد سنة ١٥٤٥ م وقرر قانونية هذه الاسفار وحرم كل من يطعن فيها

ثم أن الكنيسة اليونانية عندما سئلت عن رأيها فى هذه الاسفار عقد البطريرك ذوسيثاوس بطريرك اورشليم مجمعاً سنة ١٦٧٢ وأصدر قراراً هذا نصه (اننا نعد هذه الاسفار قانونية ونعتقد أنها الكتاب المقدس، لاننا تسلمناها من الكنيسة القديمة منذ القدم)

اما لوثر زعيم البروتستانت فقد قال عن هذا السفر (انه جدير بان يشغل مكانا بين الاسفار القانونية) انظر دائرة المعارف البروتستانتية المطبوعة في باريس سنة ١٨٧٧ المجلد الاول ص ٤١٣

(٢) الادلة التقليدية

يستدل مما جاء فى التقليد الشريف أن هذه العادة وهى الصلاة على أرواح المنتقلين وجدت فى الكنيسة المسيحية منذ صعود ربنا يسوع المسيح

(١) قد جاء فى الدسقولية ما نصه (اجتمعوا بلا كسل الى البيع واقرأوا الكتب المقدسة وتلوا على من رقد من الشهداء والقديسين المتقدمين واخوتكم الذين رقدوا وهم مؤمنون بالرب ثم اصعدوا قداس الشكر الذى هو الجسد المقدس والدم الجليل الذى للملك فى كنائسكم

وفى توديع الذين رقدوا — ابتدئوا بالمشى قدامه والترتيل ان كان مؤمناً بالمسيح — يقول داود النبي (كريم أمام الرب موت اتقيائه) وأيضاً (ارجعى يا نفسى الى راحتك فان الرب قد أحسن اليك) والذين آمنوا بالله ليسوا أمواتاً كما قال للصدوقيين دسق ف ١٣ و ٢٣)

هذا فضلاً عن أن الصلوات التى لم تزل تتلى يومياً فى القداس الآلهى عن الموتى هى من أقوى الأدلة التقليدية

على صحة هذه العقيدة . وليس من يشك فى أن القداسات وضعت منذ العصر الرسولى . وحسبنا ما جاء عنها فى دائرة المعارف البريطانية مجلد ١٤ ص ٧٠٧ تحت عنوان قداسات القديس مرقس الرسول الاسكندرى ما نصه (يشمل هذا القسم من القداسات . القداسات اليونانية للقديسين مرقس وباسليوس واغريغوريوس)

(٢) قال القديس ترتوليانوس الذى عاش فى الجيل الثانى (اننا نقرب قرابين من أجل الموتى فان سألنا أحد عن أصل هذه العادة فنجيبه أن أصلها هو اقتفاء فرائض المتقدمين وثبوت العادة واستعمال الأمانة) وقال ايضاً (ان الذبيحة الغير الدموية تقدم عن الأحياء والاموات)

(٣) وقال القديس اغسطينوس الذى عاش فى اوائل الجيل الرابع بعد ايراده نص سفر المكابيين وشهادته لهـذا السفر بأنه من الأسفار المقدسة (انه لو فرضنا اننا لم نجد فى الكتب المقدسة الوصية بالصلاة لاجل الموتى فتكفينا عادة البيعة المقدسة الواضحة جداً حيث أنه فى اكثر الصلوات

المقدمة على المذبح نجد تذكار الموتى)

(٤) وقال القديس ديونسيوس (انه بصلاة الكاهن وتضرعه يغفر للميت الفضلات من ذنوبه الصادرة من قبل الضعف البشرى وينتقل الى الضياء ومكان الحياة أى حضن ابراهيم واسحاق ويعقوب)

(٥) وقال فم الذهب فى عظته ٤١ على رسالة القديس بولس الرسول الى أهل كورنثوس (انه اذا توفى أحد خاطئاً فيجب علينا أن نعينه على قدر قوتنا لا بيكائنا ونوحنا بل بالصلوات والصدقات والقرابين لان هذه الوسائط لا نستعملها سدى ولا نذكر الموتى فى الاسرار الآلهية متضرعين من أجلهم الى الحمل الذى حمل خطايا العالم باطلا بل لكى تحصل لهم تعزية وراحة . لانه اذا كان قربان أيوب الصديق المقدم عن بنيه كان يفيد تطهيرهم فكم بالحرى يفيد المؤمنين المائتين القربان المقدس من أجلهم)

ولرفع كل شبهة عن الأقوال التقليدية التى أوردناها آنفاً نذكر ما جاء عنها فى كتاب ريحانة النفوس للقس

بنيامين ثيندر البروتستانتى ص ١١٤ حيث قال (ان الصلاة لأجل الموتى . . . ابتدأت فى الأجيال القديمة للديانة المسيحية)

ثم اعقب شهادته هذه بشهادات الآباء الذين عاشوا فى القرون الأولى كترتوليانوس واوريجانوس وكبريانوس وكيرلس وغيرهم

فقد قال ترتوليانوس (اننا تقدم تقدمات كل سنة من أجل الموتى فى أيام ميلادهم أى أيام موتهم)

وقال اوريجانوس (انه فى ايامه كان المسيحيون يظنون أنه أمر جايز ومفيد أن يذكروا القديسين فى صلواتهم الجهارية وانهم يستفيدون بواسطة ذكر افضالهم)

وقال كبريانوس (انه كان من عادتهم فى أيامه أن يقدموا قرابين وذبائح تذكاراً للشهداء ثم يتكلم عن الصلوات المقدمة لأجل أعضاء الكنيسة المتوفين)

وقال كيرلس (اننا نصلى لأجل آبائنا واساقفتنا الأطهار ولاجل جميع الذين رقدوا قبلنا ظانين أنه يفيد

أنفسهم كثيراً أن يصلى لاجلهم) وكذلك فم الذهب عند ما يتكلم عن موت الاشرار يوصى المسيحيين بالصلاة لأجلهم

ومما يحسن ذكره هنا أن هذه العقيدة لم تعترف بها جميع الكنائس الشرقية والغربية فقط وهى القبطية واليونانية والرومانية والسريانية والمارونية والارمنية بل أشهر الكنائس البروتستانتية ايضاً حيث أعلن رئيس أساقفة كنتربرى بتاريخ ١٣ ديسمبر سنة ١٩٢٧ (ان تذكار الموتى لم يكن فى وقت من الاوقات مخالفاً لعقيدة الكنيسة الانجليزية فان الحرب العامة جاءت بما يزيد ضرورة توسيع الشعائر المتعلقة بالموتى)

وفى هذا الاجماع دليل حى لا يكذب على صدق هذه العقيدة بل هو جدير بالاحترام والقبول حتى مع عدم نصوص كتابية تسنده وتؤيده لأنه لا بد وأن يكون قد اخذ فى البداية عن مصدر صحيح

(١٥) ﴿ نزول المسيح الى الجحيم ﴾

تعتقد الكنيسة القبطية وسائر الكنائس الرسولية[١] اعتماداً على ما جاء فى كلام الوحى الالهى أن ربنا يسوع المسيح بعد موته ذهبت نفسه الطاهرة وهى متحدة باللاهوت الى الجحيم وأخرجت نفسى آدم وحواء وجميع الانفس المسجونة بطائلة الخطية الاصلية وماتوا على الرجاء واصعدتهم الى الفردوس (لو ٢٣ : ٤٣)

أما الكنائس البروتستانتية فترفض هذه العقيدة وتستنكرها مع أنها مؤيدة بنصوص كتابية عديدة صريحة وحسبنا ما جاء عنها فى النصوص الآتية : قال بطرس الرسول : فان المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل خطايانا

---

(١) لعلماء الكنيسة الكاثوليكية رأيان فى هذه العقيدة. فبعضهم يقطعون بصحتها بقولهم (يجب علينا أن نؤمن بذلك ايمانا صريحا) وبعضهم يرتابون فيها بقولهم (لسنا ملزمين أن نعتقد بذلك صريحا اذ المؤمنون لا يدركون بسهولة معنى هذا النزول) اللاهوت الادبى للاب بطرس غورى جزء ١ ص ٢٥٦

البار من أجل الائمة لكى يقربنا الى الله مماتاً فى الجسد ولكن محيي فى الروح الذى فيه أيضاً ذهب فكرز للارواح التى فى السجن (الجحيم) (١ بط ٣ : ١٨) وقال بولس الرسول : اذ صعد الى العلا سبى سبياً وأعطى الناس عطايا وأما انه صعد فما هو إلا انه نزل أيضاً أولا الى أقسام الارض السفلى الذى نزل هو الذى صعد أيضاً فوق جميع السموات لكى يملأ الكل (اف ٤ : ٨) وقال أيضاً : أو من يهبط الى الهاوية (الجحيم) أى ليصعد المسيح من الاموات (رو ١٠ : ٧) وقال صاحب المزمور : لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية (الجحيم) ولا تدع قدوسك يرى فساداً (مز ١٦ : ١٠، اع ٢ : ٢٧) راجع أيضاً (زك ٩ : ١١، اش ١٤ : ١٥)

وفضلا عن ذلك فان التقليد الكنسى يؤيد هذه العقيدة ويثبتها . حيث جاء عنها فى كتاب الدر الثمين الذى حوى اعترافات الآباء فى بعض الموضوعات اللاهوتية ما نصه (وبعد اسلام الرب يسوع الروح على عود الصليب

فى الحين الذى أراده كمشيئته الصالحة مضت نفسه وهى متحدة باللاهوت الى الجحيم وحلت وثاق الأنفس) وقال أيضاً (لما أكمل الرب كل تدبيره الحسن سبى الجحيم وأخرج الانفس المحبوسة هناك وفتح باب الفردوس وأعاد آدم الى رتبته الاولى)

قال القديس اثناسيوس الرسولى (مضى الرب الى أسافل الجحيم ليس بجسده بل بنفسه . دمه أهرق على الارض ليحفظ الأرض ومن عليها . وجسده كان مرفوعاً على الصليب ليحفظ العناصر . ونفسه مضت الى أسافل الجحيم وخلصت الذين هناك)

وقال القديس ساويرس بطريرك انطاكية (الله الكلمة فتح باب الفردوس للص ومضى الى المساكن التى فى الجحيم وقال للذين فى الوثاق أخرجوا والذين فى الظلام انظروا)

وقال القديس أبيفانيوس (ترك الجسد فى القبر ثلاثة أيام متحداً باللاهوت . وأكمل اللاهوتُ والنفسُ معاً السرّ ـ أى اخراج من ـ فى الجحيم) .. .

ثم ورد فى خدمة القداس ما يؤيد هذه الشهادات وهو قوله (نزل الى الجحيم من قبل الصليب)

الخلاصة : أن جميع الآباء والابرار الصالحين من عهد آدم كانوا يمكثون فى الجحيم أو الحبس بعد موتهم معتقلين الى أن أتى المسيح فخلصهم وأدخلهم نعيم الفردوس لأنهم لو كانوا ورثوا هذا النعيم منذ موتهم لما شعروا بفائدة موت المسيح عنهم (راجع ١ بط ٣ : ١٨ ، لو ٢٣ : ٤٣)

---

(١٦) ﴿ الاسفار المحذوفة ﴾

تعتقد الكنائس القبطية واليونانية والرومانية وسائر الكنائس الرسولية بقانونية الاسفار المحذوفة التى تسميها بعض الكنائس (الاسفار القانونية الثانوية) وبعضها تسميها (أسفار الابوكريفا) وهى أسفار طوبيا ويهوديت والحكمة وابن سيراخ والمكابيين الاول والثانى وبروخ وبعض قطع من سفرى أستير ودانيال

أما الكنائس البروتستانتية فتعتبرها غير قانونية . وبما اننا أثبتنا قانونية هذه الاسفار فى المجلد الاول ص ٧٠ — ٧٩ فلتراجع فى موضعها

---

(١٧) ﴿ الدرجات الكهنوتية ﴾

تعتقد الكنيسة القبطية وسائر الكنائس الشرقية والغربية والانكايكانية ان درجات الكهنوت ثلاث ، وهى الاسقفية والقسيسية والشماسية . أما الكنائس البروتستانتية فتعتقد أن لخدام الكنيسة درجتين فقط وهما القسيسية والشماسية . أما الاسقفية فهى القسيسية نفسها

(راجع المجلد الثانى ص ٥٣٧)

---

(١٨) ﴿ اللقان ﴾

لقان كلمة يونانية معناها مغسل . وقد يكاد هذا الاسم (اى لقان) أن يكون علماً فى الكنيسة على حاذذ

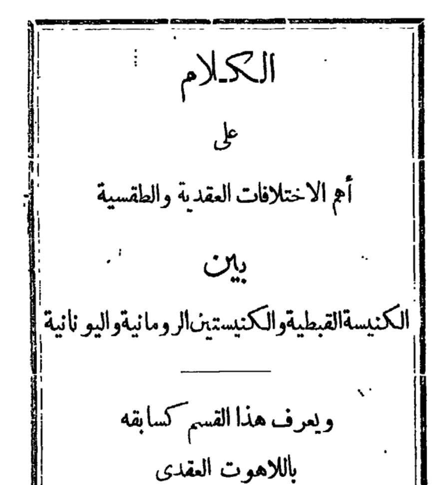
معينة اتاها السيد له المجد مع تلاميذه فى ليلة صلبه ليعطيهم مثالا حياً فى التواضع والمحبة . ومن ثم اتخذت الكنيسة هذه العادة الحميدة وسيلة لتذكير أبنائها بهاتين الفضيلتين لانه اذا كان التلاميذ مع سمو آدابهم ومكارم أخلاقهم كانوا فى حاجة لما يذكرهم بالاخلاق السامية الكريمة ، فالمؤمنون الآن اكثر حاجة منهم لما يذكرهم بجميل الخصال وحميد الفعال . لا سيما وان السيد نفسه حض تلاميذه على الاقتداء به فى هذا العمل المشكور بقوله : كما صنعت انا بكم تصنعون انتم ايضاً (يو ١٣ : ١٦) والتلميذ لا يأنف مما رضيه المعلم والرسول لا يتكبر من أن يقوم بما قام به السيد

ولقد شرح الانجيلى هذه الحادثة بقوله : أما يسوع قبل عيد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم الى الآب اذ كان احب خاصته الذين فى العالم احبهم الى المنتهى ... قام عن العشاء وخلع ثيابه واخذ منشفة واتزر بها ثم صب ماء فى مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التى كان متزراً بها ... فلما كان قد غسل

ارجلهم واخذ ثيابه واتكأ ايضاً قال لهم أتفهمون ما قد صنعت بكم . انتم تدعونني معلماً ورباً وحسناً تقولون لاني انا كذلك فان كنت وانا الرب والمعلم قد غسلت ارجلكم فانتم يجب عليكم ان يغسل بعضكم ارجل بعض لاني اعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت انا بكم تصنعون انتم ايضاً (يو ١٣ : ١ ــ ١٦)

ومن هذا النطق الالهي يتضح ان الاحتفال بعمل (اللقان) ليس امراً مستحسناً فقط بل واجباً ايضاً وان الكنيسة قد احسنت صنعاً بالاحتفال بعمله في يومي خميس العهد وشهادة القديسين بطرس وبولس لما في ذلك من حميد الذكرى وجميل العبرة





الكلام

على

أهم الاختلافات العقدية والطقسية

بين

الكنيسة القبطية والكنيستين الرومانية واليونانية

ويعرف هذا القسم كسابقه

باللاهوت العقدى

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد

الباب الرابع

فى

أهم الاختلافات العقدية والطقسية بين الكنيسة القبطية والكنيستين الرومانية واليونانية

---

(١) الكنيسة الرومانية

تعتبر الكنيسة الرومانية أو البابوية من الكنائس الرسولية . ولقد كانت بعد الافتراق العام تؤلف مع الكنيسة اليونانية كنيسة واحدة ثم انفصلت عنها سنة ١٠٥٤ م

أما أهم الاختلافات العقدية والطقسية بين هذه

الكنيسة وكنيستنا القبطية فهى [1] : —

(١) انبثاق الروح القدس من الآب والابن

(٢) طبيعتا المسيح اللاهوتية والناسوتية

(٣) المطهر

(٤) صكوك الغفران

(٥) زوائد فضائل القديسين

(٦ و ٧ و ٨) رآسة بطرس . ورآسة البابا . وعصمته

(٩) الحبل بالقديسة مريم من غير دنس

(١٠) تحويل قانون الاعتراف الى قصاص

(١١) ابدال عادة التغطيس فى المعمودية بالرش

(١٢) منح مسحة الميرون للراشدين فقط

(١٣ و ١٤) استبدال الخبز المختمر بافطير ومنع العامة التناول من الدم الكريم

---

(١) لقد دحضنا هذه الاختلافات فى الموضوعات المتعلقة بها فى المجلدين الاول والثانى فيجب مراجعة كل منها في موضعه بعد الاطلاع على ما جاء عنها فى هذا الباب

(١٥) تحريم الزواج على الاكايروس بوجه الاجمال

(١٦) تأخير مسحة المرضى لقرب الوفاة

(١٧) تعميد الجنين فى بطن أمه

(١٨) نصب التماثيل فى الكنائس عوضاً عن الصور والايقونات

(١٩) تحريم الطلاق على الاطلاق

(٢٠) حصر تقديس الميرون وممارسته فى الاساقفة وحدهم

(٢١) عبادة القديسين وذخائرهم

(٢٢) تحليل أكل اللحم والبيض فى الصوم الاربعينى ووجوب صوم السبوت

(٢٣) منع العامة امتلاك الكتب المقدسة

---

(١) ﴿ انبثاق الروح القدس من الآب والابن ﴾

لقد بحثنا هذا الموضوع اللاهوتى الخطير بحثاً دقيقاً مستفيضاً فى بابى التثليث والتوحيد وألوهية الروح القدس . ثم فندنا حجج الذين يعتقدون انبثاق الروح القدس من

الآب والابن ببراهين صريحة مقنعة معتمدين فيها على نصوص الكتاب وشهادة أشهر علماء اللاهوت . ونزيد هنا شهادة أخرى للقديس اثناسيوس الرسولى وهى :

قال هذا القديس العلاّمة جواباً على سؤال يتعلق بهذا الموضوع وهو كيف ينبثق الروح القدس من الآب ؟ (ينبغى أن لا تسأل عن هذا الأمر لأنه لا يفسر انما أعلم هذا وهو أنه كما أن نسمة الانسان تنبثق من نفسه هكذا الروح القدس ينبثق من الآب . وكما أن حواء لم تكن مولودة ولا غير مولودة لكنها متوسطة ، هكذا الروح القدس ينبثق من الآب . لأن آدم غير مولود . وشيث مولود . أما حواء فنبثقة . لأن حواء لم تكن مولودة كما ولد شيث ولا هى غير مولودة كآدم لكنها خارجة من جنب آدم

فآدم غير مولود على رسم الآب الغير المولود

وشيث مولود على رسم الابن المولود

وحواء منبثقة من جنب آدم على رسم الروح الكلى .

قدسه . لأن الثالوث الاقدس قد رسم أجدادنا الاولين .
الا أن آدم وشيث وحواء كانوا ذوى أجسام ومفترقين
بعضهم من بعض ومنفصلين . أما الله الآب والابن والروح
القدس فليسوا ذوى أجسام ولا منفصلين بعضهم من بعض
وانما قد يلاحظ رسم عدم ولادة الآب فى آدم الغير المولود
ورسم ولادة الابن فى شيث المولود . ورسم الروح القدس
قد يلاحظ فى حواء المنبثقة) (راجع المجلد الاول
ص ٢٨٤ — ٢٩٨ والمجلد الثانى ص ٦٢ — ٦٨)

---

(٢) ﴿ طبيعتا السيد المسيح اللاهوتية والناسوتية ﴾

لقد بحثنا هذا الموضوع أيضاً بحثاً مسهباً فى القسم
الخاص بلاهوت السيد المسيح وأثبتنا صحة اعتقاد
الكنيسة القبطية فيه بآيات كتابية وأقيسة عقلية مع ذكر
طائفة لا يستهان بها من شهادات وأقوال آباء الكنيسة
الأول الذين يعتمد على آرائهم فى مثل هذه المباحث اللاهوتية
الخطيرة بعد أقوال الوحى الالهى .

واننا نزيد هنا على تلك الشهادات شهادة أخرى للقديس كيرلس . قال هذا القديس فى رسالته الى سوقينوس

(اذا تأملنا الآن فى المسير الذى لا ضرر فيه قائلين ان الطبائع قبل الاتحاد طبيعتان . وأما بعد الاتحاد فلا نفرق الطبيعتين من بعضهما . ولا نقول انهما ابنان ولا نفصل ذلك الذى لم ينقسم بل نقول ان الابن واحد كما قال الآباء . وكيان الله الكلمة المتجسد واحد)

وقال فى رسالته الى أكاكيوس (نعلم الاشياء التى تقوم منها الواحد وحده الابن والرب يسوع المسيح . نقبل ذلك بالفكر ونقول ان الطبيعتين اتحدتا . ومن بعد الاتحاد قد بطل الحكم فى الاثنينية . ولذلك فاننا نقر أن للابن طبيعة الكلمة هى واحدة بالحقيقة من بعد التجسد والتأنس)

وقال فى رسالته الى الثاولوغس (يلزم الاقرار بالوحدانية اذ لا يمكن أن تنفصل الطبائع المتحدة من بعضها لأن الكلمة المتجسم هو ابن واحد وكيان واحد)

والنتيجة التى يجب أن لا تغيب عن ذهن كل مسيحى هى أن القول بأن للمسيح طبيعتين بعد الاتحاد يشعر بافتراق الطبيعة اللاهوتية عن الطبيعة الناسوتية وذلك يجعل موته له المجد ذا ثمن غير كاف لخلاص الجنس البشرى . وهذه هى العلة الوحيدة التى حملت آباء الكنيسة القبطية على الاهتمام بهذه العقيدة والاستماتة فى المدافعة عنها .

(راجع المجلد الاول ص ٤٩٠ ـ ٥٢٣)

---

(٣) ﴿ المطهر ﴾

تعتقد الكنيسة الرومانية أن هناك مكاناً يتميز عن النعيم والجحيم يدعى المطهر تعتقل فيه نفوس عبيد الله المرضية له التى وان كانت متصفة بنعمته إلا انها لم تصل الى درجة النقاوة الكاملة اللائقة لمشاهدته تعالى[1] . ومن ثم تمسكت

---

(١) أو بعبارة أوضح أن الذين يموتون قبل أن يتمموا القوانين الوقتية المفروضة عليهم فى هذه الحياة يكابدون تلك القصاصات فى النار المطهرية

فى هذا المكان منفية من جماعة القديسين الطوباويين ومن معاشرة الملائكة متعذبة بعذابات أليمة جداً حتى أنها بتعذيبها أو بصلوات المؤمنين تفى ما بقى عليها من الدين للعدل الالهى وتتطهر من الخطايا العرضية والهفوات الصغيرة وتقتبل المغفرة من الله لكى تستحق الدخول الى السماء التى لا يدخلها شيء دنس أو رجس

هذا هو اعتقاد الكنيسة الرومانية فى المطهر أو المكان المتوسط بين النعيم والجحيم . وهو اعتقاد لا تقره كنيسة المسيح ولا تعترف به لأنه بنى على غير أساس ولا يمكن أن توجد آية واحدة فى الكتاب المقدس تؤيده وتسنده . بل على العكس كل آيات الكتاب تنفى هذا المكان المتوسط للموتى وتثبت لهم مكانين فقط مع عدم تغيير هذين المكانين وهما إما النعيم أو الجحيم حيث جاء عن ذلك فى صلب الحكم الأخير ما نصه : فيمضى هؤلاء الى عذاب ابدى والابرار الى حياة ابدية (مت ٢٥ : ٤٦) ثم جاء فى الانجيل أيضاً ما أثبت أن الانسان على أثر خروجه من هذا العالم

يحصل على عربون ميراث أحد هذين المسكانين دون غيرهما بقوله : فمات المسكين وحملته الملائكة الى حضن ابراهيم . ومات الغنى أيضاً ودفن ورفع عينيه فى الهاوية وهو فى العذاب ورأى ابراهيم من بعيد ولعازر فى حضنه (لو ١٦ : ٢٢)،

نعم تعتقد الكنيسة القبطيـة أن الصـلاة عن المنتقلين تمحو فضلات خطاياهم . غير أن المطهر شيء والصلاة شيء آخر فعقيدة المطهر فى الكنيسة الرومانية تتضمن دينونة خاصة ذات آلام وعذاب للميت مع تقييد لسلطة الله جلّ شأنه بصكوك الغفران . أما عقيدة الصلاة فى الكنيسـة القبطية فلا يقصد بها سوى التوسل الى الله بطلب الرحمة فى يوم الدينونة للمنتقلين الصالحين الذين لم يصلوا الى درجة النقاوة الكاملة مع ترك الحرية الكاملة لله فى استجابة الصلاة من عدمها . وطبعاً هناك فرق عظيم بين العقيدتين فالأولى تفيد تعذيب الميت وتقييد سلطة الله . والثانية تفيد راحة الميت وترك الامر لمشيئته الصالحة فى أن يستجيب هذه الطلبات أو لا يستجيبها .

أما أصل الاعتقاد بأن الأنفس تتطهر بنوع من النار فقد امتد رويداً رويداً فى الكنيسة الرومانية حتى الجيل السادس حيث تثبت بعناية البابا اغريغوريوس الكبير الذى وصف بمبالغة كاملة العذابات التى تكابدها الانفس المنتقلة. ومن ذلك الوقت فصاعداً لم يزل هذا التعليم يزداد قبولاً وظهوراً حتى وصل الى ما هو عليه الآن . إلاّ أنه لم يتثبت قاعدة من الايمان حتى مجمع فلورنسا المنعقد سنة ١٤٣٩ م ثم أن المجمع التريدنتينى أيضاً فى الجيل السادس عشر حكم بوجوب قبوله من الكنيسة كتعليم حقيقى . ومن ذلك الوقت صار من جملة تعاليم الكنيسة الرومانية .

أما النص الذى تدعم به الكنيسة الغربية معتقدها فى المطهر فهو قول بولس الرسول : ولكن ان كان أحد يبنى على هذا الأساس ذهباً فضة حجارة كريمة خشباً عشباً قشاً فعمل كل واحد سيصير ظاهراً لأن اليوم سيبينه لانه بنار يستعلن وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو إن بقى عمل

أحد قد بناه عليه فيأخذ أجرة إن احترق عمل أحد فيخسر وأما هو فيخلص ولكن كما بنار (١ كو ٣ : ١٢)

هذه هي حجة أصحاب تلك العقيدة وهي حجة واهية ضعيفة. لأن هذه الآية لا تشير اليها تصريحاً ولا تلميحاً بل المقصود منها أن العاملين الذين بنوا على أساس المسيح الراسخ بلا شك يثبت بناؤهم ويستمر ويأتي بابناء كثيرين للمسيح. أما الذين بنوا على أساس غير متين فيتلاشى بناؤهم ويصير كالهشيم أمام اللهيب

أو بعبارة أوضح أن المراد (بالأساس) هو ربنا يسوع المسيح حجر الزاوية. والمراد (بالذهب والفضة والحجارة الكريمة) التعاليم المسيحية الصحيحة الخالصة. والمراد (بالخشب والعشب والقش) التعاليم المسيحية المختلطة بالفلسفة العالمية والمشوبة بالتيه والباطل وكل ما يخالف البساطة الانجيلية. والمراد (باليوم) إما يوم الدينونة، أو الامتحان. والمراد (بالنار) إما نار الدينونة، أو بلايا هذه الحياة. أما كون صاحب هذا التعليم (يخلص كما بنار) أي

أنه اذا كان فعل ما فعل ببساطة وبسلامة نيّة ثم تاب أيضاً فانه يخلص . غير أن خلاصه يكون كخلاص من احترق بيته وأثاثه ونجا هو بحياته فقط .

والخلاصة : ان هـذه الآية لا تشير فى مبناها ولا معناها الى المطهر للأسباب الآتية :

(١) لأنها لا تشير الى كل المؤمنين بل الى فئة خاصة وهم بعض المعلمين . وواضح أن المطهر ليس لفئة مخصوصة ولكنه لعامة الناس

(٢) ان النار المذكورة موجبة لخسارة صاحبها ، بيد أن المطهر وُضع للربح لا للخسارة

(٣) ان المعرّض للأحتراق هى الأعمال وليست الاشخاص ، بيد أن المطهر يحرق الاشخاص لا الأعمال .

ولقد شرح بعض علماء الكنيسة الغربية هذا النص بما يتفق وشرحنا هذا فقال:

« ان أساس كنيسة الله هو يسوع المسيح وتعليمه

الطاهر . والبناء القائم على هذا الاساس من الذهب والفضة والحجارة الكريمة هو التعليم الصحيح بانجيل يسوع المسيح والعمل به . والاشارة هنا بالبناء الذى جمع من الخشب والحشيش والتبن الى تعليم أولئك المعلمين الذين وان لم يزّلوا فى حقائق الايمان كانوا يضيفون على تعليمهم زخارف باطلة من الألفاظ والمسائل التى لا طائل تحتها. والحكم على هذه الاعمال انما يقطع به فى يوم دينونة الله جل جلاله حيث يظهر بتمحيصه لها ما كان كل واحد منها مما يتعذر الحكم عليه فى هذه الحياة . فكل تعليم يثبت على نيران هذا التمحيص يرجع على صاحبه بالثواب الأبدى لبقاء عمله. وكل تعليم كان مخالفاً فانه يحترق ويضمحل . على أن صاحب هذا التعليم اذا كان فيما خلا ذلك بريئاً من اللائمة فانه لا يهلك فى هلاك عمله لأن بناؤه من الجهة الأخرى كان صحيح الاساس ولذلك يخلص ولكن خلاص من احترق عمله وقد عرى من كل شيء خلا حياته وحدها . فيخسر عمله ولا ينال جزاء مبشر بالانجيل اصلا »

هذا هو شرح علماء الكنيسة الغربية الخالين من الغرض لهذا النص · وبه قد اعترفوا أن النار الممحصة لم تكن نار المطهر كما يدعى انصار هذه العقيدة بل نار دينونة الله العادلة . وهو المعنى الصحيح لنص كتاب الله.

وقد شرح علماء الكنيسة اليونانية هذا النص أيضاً فقالوا (إن قوماً من قدماء المفسرين قد اعتبروا هذه الاقوال الرسولية العسرة الفهم كموجهة الى المعلمين والى أنواع تعاليمهم من قويمة وخلاصية أو سيئة ومفسدة للنفس . وقال آخرون إنها موجهة الى جميع المؤمنين والى انواع فضائلهم أو خطاياهم. وتسهيلا لادراك معانى هذه الأقوال يجب أن نفهم (بالذهب والفضة والحجارة الكريمة) تعليم الدين الأرثوذكسي البهي والكلي الشرف والمعطى من الله(وبالخشب والعشب والقش) تعاليم الهراطقة العديمة الجدوى والدنيئة والويلة . وقد أراد الرسول بقوله « لأن اليوم سيبينه » الوقت الذى يبين الأمور ويكشف الصالحات منها والطالحات كما تكشف النار وتبين الاجسام العسرة الاحتراق

من الأجسام السهلة الاحتراق . وأراد بقوله « ستمتحن النار » ما فى الكنيسة من انارة الروح القدس المعطى على شكل ألسنة نارية . الانارة التى بها يميز الحسنو العبادة التعليم القويم من غيره . وبقوله (كما يخلص من يمر بالنار) الغم الذى يسببه توبيخ الكنيسة للهراطقة . لأن الغم يحرق كما تحرق النار على حد قول المرتل (جزنا بالنار والماء مز ٦٥ : ١٢) وأما فى قوله «فسيخلص» فمن اللازم أن تقدر عبارة (اذا تاب) كما يقدر أيضاً فى قول بولس نفسه قد حكمت أن يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكى (اذا تاب) تخلص الروح فى يوم الرب يسوع (١كو ٥:٥)[1] هذا هو شرح الكنيسة اليونانية لهذه الآية وهو لا يشير أقل اشارة لعقيدة المطهر

وهناك آية أخرى يستند عليها الذين يعتقدون بالمطهر وهو قول السيد له المجد : « الحق أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفى الفلس الأخير » (مت ٥ : ٢٦)

---

(١) تفسير رسائل الآحاد لمطران استراخان ص ١١٨

فيشرحونها بقولهم « اتفق أنت مع خصمك الذى اهنته بقولك له » (رقاً أو احمق) قبل أن يلقيك الله فى سجن العذاب حتى تفى كل دين الجريمة فى (المطهر) لان بلفظة (حتى) قوة لاثبات المطهر اذ تشير الى امكان نهاية العذاب

وقد فاتهم أن (حتى) كما أنها تفيد امكان نهاية العذاب كذلك تفيد التأييد أيضاً . أى أن عذاب جهنم يدوم ما دام الذنب باقياً . وواضح أن الذنب دائم وغير متناه لاقترافه ضد الجلال الالهى

وحيث أن هذا التعبير يحتمل المعنيين فلا يسوغ لنا أن نؤوله بحسب الوجه الذى يلائم أغراضنا ونترك الوجه الآخر الذى يتفق مع الحقيقة لأن فى ذلك تلاعباً بكلام الوحى الالهى قد يؤدى الى دينونة عظمى (يع ٣ : ١)

---

(٤) ﴿ اوراق الغفران ﴾

تعتقد الكنائس المسيحية جمعاء أن مغفرة الخطايا لا يمكن أن تصير بدون توبة وانسحاق قلب ولا يمكن

لا حد أن يبيعها أو يهبها . وبعكس ذلك الكنيسة البابوية فانها تعتقد أن مغفرة الخطايا يمكن أن توهب بلا توبة ، لأن الكنيسة لها الحق أن تعطى من تريد الغفرانات التى تتناولها من ذخيرة استحقاقات المسيح والقديسين . ومن ثم أثبتت فى قوانينها أن الخطاة يمكنهم أن يعتقوا من القصاصات الحاضرة والمستقبلة بمجرد ابتياعهم أوراق الغفران .

وترى فى تلك الأوراق أن من تلا صلاة صغيرة للقديس يوسف يصير له غفران ٣٠٠ يوم وغفران ١٠٠ سنة مقدماً لمن تلا الوردية البابوية . وغير ذلك كثير

وليس ابتياع أوراق الغفران هو الذى يعتق من القصاصات الحاضرة والمستقبلة بل أن زيارة الكنائس أيضاً تمنح أصحابها غفراناً كاملاً حيث جاء فى كتاب علم اللاهوت للاب بطرس غورى ص ١٠٤٩ جزء ٢ تحت عنوان (عفران القديس مارى فرنسيس)

(س ـ ما القول فى زيارة كنائس رهبنة القديس

ماري فرنسيس في اليوم الثاني من شهر آب . هل يربح زائرها في هذا اليوم غفراناً كاملاً متعدداً بحسب تعدد دخوله الكنيسة حيث يصلي فيها ولو قليلاً — ج — بالايجاب)

وان نفع الغفران لم يكن قاصراً على الأحياء فقط بل يصرف الى النفوس المطهرية أيضاً . حيث جاء في كتاب علم اللاهوت المذكور ص ١١٠ ما يأتي : —

(س ـ ما القول في نفع الغفران الذي يصرف الى النفوس المطهرية هل نفعه لهم مقطوع به بحيث يمتنع انتفاؤه ؟

ج ـ اجاب بعضهم بالايجاب وبرهانهم أن المسيح خوّل الكنيسة سلطاناً وكيداً بحيث يمتنع عدم نفوذه بقوله تعالى (كل ما حللتم) هذا وان منح الغفران من أجل الموتى هو فعل حقيقي من أفعال المفاتيح لصدوره عن سلطان رسولي . ومن المعلوم أن المفتاح يصيب الفتح بلا محالة حيث كانت الشرائط مستوفاة[1] اذن الغفران فعّال قطعاً دائماً وابداً

---

(١) أما من جهة الشرائط فغير مستوفاة لان الرب في سلطانه القائل (كل ما تحلونه على الارض ...) يشير بقوله على الارض

سواء أكان فى حق الاحياء أو الموتى)

هذا هو تعليم الكنيسة الرومانية ومعتقدها فى أوراق الغفران وهو تعليم لا تستنكره الكنيسة القبطية وسائر الكنائس المسيحية جمعاء فقط بل يستنكره كثيرون من علماء الكنيسة الرومانية نفسها . فقد قال الكردنيال (نيش) (إنه ما دام الناس لم يكن لهم فكر عن المطهر لم يفتشوا عن الغفرانات لأن كل اعتبار الغفرانات هو المطهر . وحيث أن المطهر لم يكن معروفاً عند الكنيسة الجامعة إلا فى أجيالنا الأخيرة فليس بعجب اذا كان فى أول الكنيسة لم تكن الغفرانات موجودة . فالمطهر ربما لم يوجد ذكره قط فى كتب الآباء الأقدمين . والروم حتى يومنا هذا لا يؤمنون به . واللاتينيون قبلوه ليس فى وقت واحد بل رويداً رويداً) (نقض لوثر قضية ١٨)

لا الى الراعى الذى يحل الخطايا فقط . بل الى التائب الذى يحل منها ـ أى انه يكون كلاهما على الارض ـ وبذلك صار استنادهم على هذا السلطان فى حل الذين ليسوا على الارض باطلا

وقال الكردينال كاتيانوس (انه لو كان لنا خبر محقق كيف دخلت عادة الغفرانات فى الكنيسة كان ذلك يعيننا فى الفحص عن المطهر ولكن لا يوجد ذكر هذه الأشياء أصلا فى الكتب المقدسة ولا فى كتب المعلمين ان كانوا روماً أو لاتينيين) (عن الغفران رأس ٢)

أما أوراق الغفران هذه فقد ظهرت فى أواسط القرن الخامس عشر أى حوالى سنة ١٧٤٢ م حيث شرع سكستينوس الرابع بابا رومية أن يوزعها للصفح التام عما ارتكبه شعبه من الخطايا فى الماضى وما يرتكبه فى المستقبل أيضاً .

(راجع سر التوبة ٤٨١ المجلد الثانى)

---

(٥) ﴿زوائد فضائل القديسين﴾

تعتقد الكنيسة الرومانية أن الأبرار والقديسين ليسوا فقط قد أتموا على الأرض ناموس المسيح كله أى جميع الفضائل . بل فقد فعلوا أيضاً من الأعمال الصالحة

أكثر من الواجب عليهم. وان زوائد فضائلهم هذه محفوظة عند بابا رومية يوزعها على الخطاة المتوفين بأثمان معلومة. أو بعبارة أوضح أن زوائد فضائل القديسين تقدم عن الخطاة المتوفين الى الله بصوت البابا أو بواسطة البابا.

وهذا التعليم لا أساس له مطلقاً فى الكتاب المقدس الذى يعلمنا أن الغفران هو لله وحده وهو استحقاق آلام فادينا العظيم يسوع المسيح ربنا الذى ليس بأحد غيره الخلاص. وأن فضائل القديسين مهما كانت عظيمة لا يمكن أن تكون زائدة عما يجب ويفضل عنها حتى يوزع منها على الغير. لأنهم مهما اجتهدوا لا يستطيعون عمل ما هو فوق الواجب عليهم. لأن خدمتهم لله دين حق عليهم فلا فضل لهم فيها. وبالأولى لا يمكنهم أن يأتوا أعمالاً نافلة يجبر بها نقص غيرهم. قال له المجد: « ومن منكم له عبد يحرث أو يرعى يقول له اذا دخل من الحقل تقدم سريعاً واتكىء بل ألا يقول له أعدد ما أتعشى به وتمنطق واخدمنى حتى آكل وأشرب وبعد ذلك تأكل وتشرب انت. فهل

لذلك العبد فضل لأنه فعل ما أمر به. لا أظن. كذلك أنتم أيضاً متى فعلتم كل ما أُمرتم به فقولوا اننا عبيد بطالون لأننا انما عملنا ما كان يجب علينا » (لو ١٧ : ٧ — ١١) وقد أدرك رسول الامم العظيم غرض مولاه فى ذلك فقال رغم ما كان عليه من الكمال المسيحى : « ليس انى قد نلت أو صرت كاملاً ولكنى أسعى لعلى أدرك الذى لأجله ادركنى أيضاً المسيح يسوع . أيها الاخوة أنا است احسب نفسى انى قد ادركت. ولكنى أفعل شيئاً واحداً اذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد الى ما هو قدام . أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا فى المسيح يسوع. فليفتكر هذا جميع الكاملين منا وان افتكرتم شيئاً بخلافه فالله سيعلن لكم هذا أيضاً » (فى ٣ : ١٢ — ١٥) ويؤخذ من هذا التصريح أن القديس بولس العظيم كان يعتقد فى نفسه أنه لم يحصل على الكمال المقتضى بعد ولا صار كاملاً كما يجب . فاذا كان بولس الذى وصل من الكمال الى ما لا يمكن أن يصله بشرى غيره يعتقد فى ذاته هذا الاعتقاد ، فاذن عقيدة

زوائد فضائل القديسين باطلة . وحسبنا مسألة العذارى الحكيمات اللواتى طلب اليهن تكميل نقص زيت غيرهن وهو المكنى به عن الأعمال الصالحة فكان جوابهن « لعله لا يكفى لنا ولكن » (مت ٢٥ : ٦)

والخلاصة : أما أنه لا يوجد انسان يعمل أعمالاً تفوق الشريعة الأدبية وتنتج استحقاقات متزايدة فهذا مجمع عليه . إلا الكنيسة الرومانية فانها خالفت هذا الاجماع فاعتقدت أن الانسان يستطيع أن يعمل أعمالا أعلى وأكمل مما أمر به تعالى . كالفقر الاختيارى ، وشظف العيش ، والتقشف ، والبتولية وأمثالها ، فيحصل بذلك على استحقاقات زائدة .

(راجع سر الاعتراف ص ٤٧٩ مجلد ٢)

———

(٨،٧،٦) ﴿ رآسة بطرس على الرسل ﴾

ورآسة البابا على الكنيسة المنظورة

وعصمته من الغلط

تعقتد الكنيسة الغربية (أن بطرس الرسول أقيم من المسيح نائباً على الأرض ورئيساً على الرسل ورأساً منظوراً للكنيسة حاوياً السلطان المطلق على الرسل والكنيسة. وهو مصدر الحقوق والنعم اللازمة لهذه الكنيسة

أما سائر الرسل فكانوا يستعيرون من بطرس كمن ينبوع وحيد أو وسيط وحيد بينهم وبين المسيح جميع الحقوق والمواهب الرسولية ويتصرفون بها حسب ارشادات بطرس. أو بالحرى أخذوا حقوق الرسولية من المسيح ذاته إلا أنهم كانوا يتصرفون بهذه الحقوق تحت شرط الانقياد لبطرس والخضوع له خضوع المأمور لآمره. فبطرس هو الراعى الأعلى أصلياً واخوته رعاة استمداداً أو فرعياً.

وكذلك أسقف روميه المحتسب خليفة لبطرس هو رأس الكنيسة المنظور ورئيسها العام المتوسط بينها وبين المسيح فى استمداد الحقوق والنعم الضرورية لها . بل هو وحده المالك من المسيح بواسطة بطرس تثبيت الحقوق والمواهب الكهنوتية التى يستمدها رعاة الكنيسة من بطرس وسائر الرسل بواسطة الشرطونية . وعلى كلٍ هو المشترع الوحيد فى الكنيسة ومهما قاله بشأن الايمان وعن السدة يكون كلاماً معصوماً يجب امتثاله من قبل الجميع افراداً واجمالاً سواء أكانوا علمانيين أو كهنة أو بهيئة مجمع أو كنيسة

فالمجامع المسكونية والكنيسة الكاثوليكية برمتها ينبغى أن تقوم بالخضوع للكلمة البابوية الصادرة بشأن الايمان وعن السدة)

هذا هو اعتقاد الكنيسة الرومانية فى رآسة بطرس على التلاميذ ورآسة البابا على الكنيسة المنظورة وعصمته من الغلط ـ وهو بجملته مغاير للحقيقة ومضاد لروح

المسيحية كما ترى فيما يلى :

(٦) *(رآسة بطرس)*

أما رياسة بطرس فدعوى كاذبة ومنقوضة من السيد المسيح نفسه . لأنه لما دعا تلاميذه وعينهم للتبشير باسمه لم يقم بطرس رئيساً عليهم بل ساوى بينهم جميعاً فى سائر الامور ولم يخصص أحداً منهم بما يرفعه على سائرهم وذلك بأن :

(١) منحهم رتبة واحدة متعادلة

(٢) أعطى لجميعهم سلطاناً متساوياً على اخراج الأرواح النجسة واقامة الموتى وشفاء المرضى

(٣) ساواهم فى سلطان حل الخطايا وربطها

(٤) ساواهم فى سلطان الرسولية والمناداة باسمه فى العالم .

(راجع مت ١٠ : ١٠ ، مر ٣ : ١٥ ، لو ٩ : ١ ، مت ٢٨ : ١٩ ، يو ٢٠ : ٢٢)

هذا فضلاً عن كونه حذرهم مرات عديدة طلب الرآسة وحضهم فى ظروف مختلفة على وجوب تركها وتجنبها بقوله : اذا أراد أحد أن يكون أولا فيكون آخر الكل وخادماً للكل (مر ٩ : ٣٥) وعندما رآهم رغبوا فيها وأخذوا يتباحثون عمن يكون الأعظم بينهم وبخهم توبيخاً عنيفاً بقوله : ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات (مت ١٨ : ٣)

وهكذا أيضاً عندما غضبوا من طلب أم ابنى زبدى دعاهم وقال لهم : أنتم تعلمون أن رؤساء الامم يسودونهم والعظماء يتسلطون عليهم فلا يكون هكذا فيكم بل من أراد أن يكون فيكم أولا فليكن لكم عبداً كما أن ابن الانسان لم يأت ليُخدم بل ليخدمِ وليبذل نفسه فدية عن كثيرين (مت ٢٠ : ٢٧)

وفوق ذلك فان بطرس نفسه لم يتصرف مع اخوته التلاميذ تصرف الرآسة فى شىء كما أنهم هم لم يعاملوه معاملة الزعيم بل على العكس ، فانه لما آمن أهل السامرة أرسلوه

اليهم هو ويوحنا (اع٨ : ١٤) وكونه مرسلا من قبل الرسل يدل على انه لم يكن ذا سلطان عليهم بل انه واحد منهم مطيع لما أجمعوا عليه. وقد ظهرت هذه الحقيقة ظهوراً جلياً من معاملة بولس إياه فى انطاكيه تلك المعاملة التى شرحها بقوله : ولكن لما أتى بطرس الى انطاكيه قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً (غل ٢ : ١١) وزاد على ذلك بقوله : لم أنقص شيئاً عن فائقى الرسل (٢كو ١٢ : ١١) فأثبت بالقولين الأول والثانى مساواته لبطرس مساواة تامة. لأنه لا يعقل أن مرؤساً يوبخ رئيسه مواجهة. واذا جاز له ذلك سراً فلا يجوز له علانية. كما انه لا ينتظر من مرءوس ذى ضمير حى أن يقول عن رئيسه أنه لم ينقص عنه شيئاً. واذا جاز ذلك لعوام الناس فلا يجوز لرسول المسيح الذى يتحتم عليه الصدق فى القول والعمل. وإلا عدّ من ذوى الكبرياء والزهو. وحاشا لبولس ولسائر رسل المسيح أن توجد فيهم هذه الروح الغالية البغيضة

اذن ينتج من ذلك أن رآسة بطرس على التلاميذ

باطلة لأنه لم توجد آية أو حادثة واحدة فى الكتاب تؤيدها وتقوى دعائمها .

أما استناد الكنيسة الرومانية فى رآسة بطرس على قول ربنا له المجد : ولكنى طلبت من أجلك لكى لا يفنى ايمانك وأنت متى رجعت ثبت اخوتك (لو ٢٢ : ٣٢) فهو استناد واه ضعيف اذ ليس فى هذا القول أدنى دلالة على أن ربنا منح بطرس شرفاً أو خوّله سلطة على سائر الرسل . بل على العكس يشير الى أن بطرس كان عتيداً أن يسقط سقوطاً أشنع من سقطات بقية الرسل ولم ينجه من ذلك السقوط إلا صلاة المسيح من أجله. نعم أن ربنا ميزه عن بقية الرسل بصلاة خاصة إلا أن ذلك لا يدل على سمو مقامه ورآسته على اخوته ، بل يدل على انه كان محتاجاً الى هذه الصلاة أكثر من غيره (راجع مت ٢٦ : ٦٩ — ٧٥)

وكذلك استنادهم على قول الانجيل (الأول سمعان بطرس) لا يستدل منه على تقدم بطرس فى الرتبة والمقام بل يدل على أنه هو الأول فى عدد الرسل فقط حسبما هو

واضح من النص نفسه . لأن الانجيل بعد أن ذكر الرسل اجمالاً بقوله (ودعا تلاميذه الاثنى عشر) أخذ فى تفصيل أسمائهم فقال (الأول سمعان بطرس) وكذلك قول ربنا لبطرس : « انت بطرس وعلى هذه الصخرة ابنى كنيستى » (مت ١٦ : ١٦) لا يقام دليلاً على رآسة بطرس وزعامته ، لأن المقصود بالصخرة التى بنيت عليها كنيسة المسيح ليس شخص بطرس وانما اعترافه الصحيح بالسيد المسيح بانه ابن الله

قال القديس كيرلس فى شرحه لهذه الآية (يجب أن تفهموا بالصخرة ايمان بطرس غير المتزعزع) وقال القديس اغسطينوس (ان قول السيد المسيح لبطرس على هذه الصخرة أبنى كنيستى أى على ايمانه الذى أقر به وهو قوله (انت المسيح ابن الله الحى) وقال فم الذهب (على هذه الصخرة أبنى كنيستى أى على اقرار الرسول وهو « انت المسيح ابن الله الحى »)

وهذا هو عين الحق والصواب . بل هذا هو الشرح

الذى يستريح له العقل والضمير . لأنه حاشا لمولانا الحكيم أن يبنى كنيسته على انسان ضعيف مائت أنكر سيده ثلاث مرات متوالية أمام أحقر الناس وأضعفهم

أما قول السيد المسيح لبطرس بعد قيامته ثلاث مرات (يا سمعان بن يونا أتحبنى أكثر من هؤلاء . . . ارع غنمى) فلم يكن القصد منه منح بطرس الرآسة العامة على الكنيسة كما يظن الذين يأخذون الأمور على ظاهرها وانما كان ذلك توبيخاً لطيفاً لبطرس لأجل انكاره سيده ثلاث مرات متوالية رغم وعده أن يبقى أميناً لمولاه مهما أصابه . ولذلك خاطبه له المجد ثلاث مرات باسمه الأول وكنيته لا بالاسم الذى سماه به وهو بطرس (أى الصخرة) لأنه بانكاره سيده أعلن أنه لا يستحق أن يسمى بهذا الاسم . وإلا لو كان الأمر كما يزعمون لما حزن لهذا التكرار واكتئب ، بل كان الأجدر به أن يسر ويبتهج ويعد ذلك مفخرة عظمى لتقلده سلطان الرآسة العامة على الكنيسة . أما وأنه حزن فقد دل مظهره على أنه فهم من

قول سيده التوبيخ لا تقليد الرآسة . وليس من شك فى أن بطرس أصدق فى فهم كلام مولاه من أى انسان عداه .

قال القديس اغريغوريوس الثاولوغوس (ان الرب بتثليث السؤال والاقرار يشفى تثليث الجحود والانكار)

واننا لنعجب كل العجب من الكنيسة الرومانية لاعتقادها أن المسيح أسس كنيسته على بطرس بينما بولس الرسول يجاهر بكل صراحة بأن بطرس وبولس وأمثالهما لم يكونوا سوى خدام المسيح ، ثم ينحى باللائمة على من يعتبرهم أكثر من ذلك بقوله : ان كل واحد منكم يقول أنا لبولس وأنا لابلوس وأنا لصفا (أى بطرس) فمن هو بولس ومن هو ابلوس بل خادمان آمنتم بواسطتهما أنا غرست وابلوس سقى لكن الله كان ينمى . اذاً ليس الغارس شيئاً ولا الساقى بل الله الذى ينمى . والغارس والساقى هما واحد ولكن كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه فاننا عاملان مع الله وأنتم فلاحة الله بناء الله (١ كو ١ : ١٢ ، ٣ : ٥ — ١٠)

وحيث أن ما ورد فى هذه النصوص الالهية فى شأن هذه القضية كاف لاقناع قوم لا يتوخون فى أمورهم سوى الحق والصواب فحسبنا ما ذكرناه

---

(٧) ﴿ رآسة البابا على الكنيسة المنظورة ﴾

أن هذه الرآسة الموهومة لا أساس لها فى كتاب الله ولا قوانين الكنيسة . غير أن بابوات رومة تمكنوا من أن يقنعوا سكان أوربا والعالم أجمع بأن بابا رومة هو رئيس الكنيسة العام وذلك بأقوال نسبوها الى بعض آباء الكنيسة زوراً . وفى الواقع أن الذى ساعد بابوات رومة على اكتساب هذا المركز هو الضرورة المدنية والظروف العالمية ، أذ كانت رومة عاصمة المملكة الرومانية . وهذا المركز كما يعلم من له دراية بالحقائق هو مركز مدنى محض غير ناشىء عن سلطان إلهى ولا مأمور به من الكتاب المقدس .

(٨) ﴿ عصمة البابا ﴾

تعتقد الكنيسة الرومانية فى عصمة البابا انها لا تتجاوز وظيفته الى شخصه . بل هو تحت طائلة الغلط فى سائر أعماله وأفكاره كغيره من البشر ولكنه متى تكلم فى الأمور الدينية رسمياً يكون آلة فى يد الروح القدس ولذلك يكون معصوماً .

ولقد ورد فى قانون الايمان للبابا بيوس الرابع عن هذه العصمة التى تقررت رسمياً سنة ١٨٧٠ فى مجمع مؤلف من ٧٠٠ اسقف بابوى ما نصه (واقر أيضاً وأقبل بدون ريب كل الأشياء الأخر ولا سيما ما كان فى شأن رآسة الحبر الرومانى وسلطانه المعصوم)

وهذه العصمة البابوية بلا شك هى باطلة بل ضلالة منكرة . وليس أدل على بطلانها من قرارات المجامع المسكونية التى انعقدت وحكمت على كثير من البابوات بالهرطقة والمروق عن العقيدة الصحيحة فى الامور الدينية

فالبابا ليباريوس [١] فى القرن الرابع كان اريوسياً والبابا زوسيموس فى القرن الخامس كان ينكر الخطية الجدية . وكذلك أيضاً البابوان ويجيلوس وانوريوس فانهما انحرفا عن الايمان القويم وعقد ضدهما مجمع وحكم بهرطقتهما . ناهيك بالانشقاق المروع الذى حدث فى القرن الرابع عشر وكانت بدايته اتخاذ البابا مدينة افنينون الفرنسية مقراً له عوضاً عن رومة فأدى ذلك الى تقسيم الكنيسة الرومانية الى قسمين متضادين متحاربين بالاسهم الروحية (أى الحروم) ولم ينته هذا النزاع إلا بتنزيل

---

(١) قال صاحب تاريخ الارتقات وهو الفونسوس ماريادى ليكورى المطبوع سنة ١٨٦٤ (أما البابا ليباريوس الذى كان منفياً الى بيريا منذ ثلاث سنوات فغشات روحه من الاهانات والانفراد لا سيما من حزنه لدى مشاهدته فاليكس شماسة البابا الكاذب جالساً فى الكرسى الرومانى فامضى احدى الصور المذكورة (الاريوسية) شاجباً القديس اثناسيوس ومشاركا الاساقفة الاريوسيين) ، (راجع أيضاً تاريخ الانشقاق ص ١٣٤ و ٢٨٢)

غريغوريوس الثانى عشر وبناديكتوس الثالث عشر المدعين البابوية زوراً واقامة مرتينوس الخامس[١] وحده بابا قانونياً واذا أضفنا الى ما ذكرناه، الأحكام التى كانت تصدر من ديوان التفتيش باسم البابا وكان أكثرها باطلا كالحكم بالحرق على من قال أن الأرض دائرة، لثبت بلا أقل شبهة أن العصمة البابوية باطلة بل هى فرية يستنكرها الدين المسيحى ويتبرأ منها لأنها مضادة لكلام الوحى الالهى الذى يحذرنا من الوقوع فى هذه الضلالة الشنيعة بقوله: ان قلنا انه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا (١ يو ١ : ٨)

أما رأس الكنيسة المعصوم من الخطأ حقاً وبلا ريب، الصالح القدوس على الاطلاق، مصدر جميع الخيرات المخلوقة خلواً من نقص وتغيير وانتهاء بحسب نص الكتاب وتقليد الكنيسة الصحيح فهو ربنا يسوع المسيح وحده رئيس خلاصنا ومؤسس الدين المسيحى القويم (يو ٨ : ٤٦).

---

(١) خلاصة تاريخ الكنيسة المطبوع بمطبعة اليسوعيين ص ١٢٥

(٩) ﴿ الحبل بالقديسة مريم من غير دنس ﴾

تعتقد الكنيسة الرومانية أن القديسة مريم حبل بها من غير دنس . وقد كانت هذه القضية علة مخاصمة شديدة في الكنيسة الرومانية، كما أن الجدل بسببها كان عنيفاً ولاسيما بين رهبان مار فرنسيس والرهبان الدومينيكيين[١] حيث أثبت الأولون الحبل بلا دنس وأنكره الآخرون ومن ثم عند ما اجتمع القصاد الثلاثة المرسلين من البابا في المجمع التريدنتيني حصل بينهم انقسام فأحدهم وهو الكردينال دي مونتي مال الى رأى الحبل بلا دنس . والثاني وهو الكردينال ستنا كروشي قاوم ذلك . أما الثالث وهو الكردينال بولى فلم يدون رأيه . غير أن الحزب القائل بالحبل بلا دنس تغلب على الحزب الآخر فتقرر هذا الاعتقاد في عهد البابا بيوس التاسع في آخر الجيل التاسع عشر

---

(١) أنظر الباب الخامس في الكلام على الكنيسة الغربية لمعرفة هذين الحزبين

(سنة ١٨٥٤) واليك نص قرار البابا فى هذه القضية

(اننا بسلطان يسوع المسيح والرسولين الطوباويين بطرس وبولس وبسلطاننا نعلن ونثبت ونحدد أن التعليم المختص بالطوباوية مريم بحيث وجدت من الدقيقة الاولى للحبل بها بنعمة وهبة خصها بهما الله الكلى القدرة باستحقاقات يسوع المسيح مخلص الجنس البشرى فجعلها مصانة ومنزهة من دنس الخطية الأصلية)

هذا هو نص القرار البابوى الخاص بهذه العقيدة .

والحقيقة المستقاة من الكتب الالهية أن القديسة مريم شرف الله ذكرها وعظم اسمها . وان كانت أجل وأشرف مخلوق فى السماء من فوق وعلى الأرض من تحت . إلا انه حبل بها وولدت حسب الطبيعة كما يولد سائر البشر . غير أن نعمة الروح القدس التى حلت عليها وملأتها فقد قدستها وطهرتها وميزتها عن غيرها (راجع لو ١ : ٣٠)

(١٠) ﴿ تحويل قانون الاعتراف الى قصاص ﴾

تعتبر الكنيسة القبطية الارثوذكسية القانون الذى يفرضه الكاهن على التائب نوعاً من القصاص ، لا ليفى العدل الالهى حقه ولكن ليؤدب التائب ويقوّمه وينهضه ويحمله على تنكب الطريق المعوج والسلوك فى السبيل المستقيم . فهو بهذا الاعتبار لم يخرج عن كونه بمثابة دواء يشفى الأمراض الروحية ويستأصلها كما تشفى العقاقير المرة الأمراض الجسدية وتزيلها .

وقد أخذت الكنيسة هذا المبدأ عن بولس الرسول لأن خطته الرشيدة التى اتبعها مع الرجل الزانى فى تقويمه واصلاحه كانت من هذا النوع حيث أدبه وعالجه بفصله من شركة المؤمنين . ولما رأى أن هذا القانون أو العلاج أثمر وأفلح فى شفائه واصلاحه أمر باعادته الى شركة المؤمنين مرة اخرى (راجع ١كو ٥ : ١ — ٥ ، ٢كو ٢ : ٧)

أما الكنيسة الرومانية فتعتقد أن هذه القوانين

قصاصات وقتية يتكبدها التائب عن خطاياه وفاء للعدل الالهي . وهو اعتقاد خاطىء بعيد عن الصواب ومخالف لقول الكتاب الذي ينص صريحاً بأن العدل الالهي نال حقوقه كاملة بتقديم يسوع المسيح ربنا نفسه ضحية وقرباناً وافياً عن خطايا جميع العالم . ولا يعقل أن الله يطلب الوفاء عن الخطيئة مضاعفاً أي من ابنه يسوع المسيح ربنا ومن الخاطىء أيضاً لأن ذلك لا يتفق وعدله الالهي . كما أنه يشعر بنقص تلك الكفارة وتحقيرها وذلك خطأ عظيم بل كفر شنيع . قال بولس الرسول : « فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً الى التمام الذين يتقدمون به الى الله اذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم . لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات . الذي ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة ان يقدم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب لأنه فعل هذا مرة واحدة اذ قدم نفسه (عب ٧ : ٢٥ — ٢٧) وقال أشعياء النبي : « قد دست المعصرة وحدي

ومن الشعوب لم يكن معى أحد . فدستهم بغضبي ووطئتهم بغيظى فرش عصيرهم على ثيابي فلطخت كل ملابسى . لأن يوم النقمة فى قلبى وسنة مفديى قد أتت . فنظرت ولم يكن معين وتحيرت اذ لم يكن عاضد فخلصت لى ذراعى وغيظى عضدنى » (اش ٦٣ : ٣ — ٦)

ومن هذه الأقوال الالهية ينتج صدق اعتقاد الكنيسة القبطية فى قصاص الخطاة أى أنها لم تبغ منه سوى تقويمهم واصلاحهم . لأن عدل الله بالمسيح موفى . والخلاص بواسطته معد . ولا يعوز الخطاة سوى التوبة والايمان المقرون بالأعمال الصالحة . أما القوانين التى تفرضها عليهم من دموع وتنهدات وصلوات وأصوام وصدقات وأعمال تقوية لم تكن سوى وسائط فعالة فى استئصال مرض الخطيئة من نفوسهم واحرازهم عوائد صالحة واخلاق حميدة كما أنها تكون وسائل محسوسة بها يدرك الخاطى فظاعة الخطيئة وقبحها

(راجع الفصلين ٧ و ٨ من سر الاعتراف ص ٤٧٧ مجلد ٢)

(١١) *(ابدال عادة التغطيس بالرش)*

لقد كانت الكنائس الرسولية جمعاء شرقية وغربية تتمم سر المعمودية بالتغطيس كما تسلمت من الرسل حتى القرن الثالث حيث غيرت الكنيسة الرومانية هذه العادة الرسولية وأخذت تتمم هذا السر بطريقة الرش . مع أن أحواض المعمودية التي لم تزل باقية في أقدم كنائس رومية حتى الآن دليل قاطع على كيفية ممارسة الكنيسة لهذا السر في بدء المسيحية . وإلا لو كانت فريضة العماد تتم بالرش لما كانت هناك ضرورة لوضع تلك الأحواض في الكنائس .

هذا فضلاً عن أن الكتاب يشبه العماد والمعمودية دائماً بالقبر ، والدفن ، والقيامة . ولا يكون هذا التشبيه صحيحاً إلا اذا تمت المعمودية بالطريقة الجارية في الكنيسة القبطية وهي التغطيس . فالمعمودية (قبر) والتغطيس (دفن) والانتشال (قيامة) قال بولس الرسول : مدفونين معه في

المعمودية التى فيها أقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذى أقامه من الأموات (كو ٢ : ١٢ ، رو ٦ : ٣)

ومن هذه النصوص الالهية والآثار الكنسية يتبين أحقية عمل الكنيسة القبطية وانحراف الكنيسة الرومانية فى قيام كل منهما بطقس المعمودية

(راجع الفصل الثالث من سر المعمودية ص ٣٢٦ مجلد ٢)

---

(١٢) ﴿ منح مسحة الميرون للراشدين فقط ﴾

لقد كانت العادة المتبعة فى الكنيسة منذ عهد الرسل أن يمسح المتعمد بالميرون على أثر خروجه من المعمودية سواء أكان راشداً أم قاصراً . غير أن الكنيسة الغربية خالفت هذه العادة المرعية وقررت منح هذه المسحة للراشدين فقط . مع انه ظاهر من الكتاب المقدس والتاريخ الكنسى أن مسحة الميرون كانت تمنح للمتعمد على أثر

نواله سر المعمودية . وحسبنا ما فعله بولس الرسول مع مؤمنى أفسس فانه بعد أن عمدهم وضع اليد عليهم فى الحال (اع ١٩:١— ٦) وهكذا كان يفعل سائر التلاميذ والرسل وعنهم أخذت الكنيسة بشهادة الآباء الأول .

قال القديس كيرلس الأورشليمى (بعد خروجنا من جرن المجارى المقدسة أعطيت المسحة التى مُسح بها المسيح فهذه هى الروح القدس)

وقال القديس ترتوليانوس الذى عاش فى الجيل الثانى (بعد خروجنا من حميم المعمودية مسحنا بزيت مقدس تبعاً للتكملة القديمة كما كانوا قديماً يدهنون بزيت القرن لنوال الكهنوت)

(راجع الفصلين ٩ و ١٠ من سر الميرون ص ٣٧٣ مجلد ٢)

(١٣و١٤) ﴿ استبدال الخبز المختمر بالفطير ﴾
(ومنع العامة التناول من الدم الكريم)

لقد استبدلت الكنيسة البابوية الخبز المختمر بالفطير في سر الشكر . كما أنها منعت عامة الشعب التناول من الدم الكريم . بيد أن الأول مخالف لنص الكتاب الذي يشهد أن مادة سر الشكر كانت خبزاً مختمراً لا فطيراً بقوله : « أخذ يسوع الخبز وبارك » (مت ٢٦ : ٢٦) والآخر مناقض لعمل السيد المسيح نفسه الذي أعطى هذا السر المقدس تحت الشكلين وأمر تلاميذه بالتناول من كليهما ولا سيما الكأس بقوله : « اشربوا منها كلكم » (مت ٢٦ : ٢٧) ثم أن التلاميذ بدورهم أمروا المؤمنين بالتناول من الشكلين وأعلنوا أنهم هكذا تسلموا من الرب كما هو ثابت من قول بولس الرسول لأهل كورنثوس : « لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً أن الرب يسوع في الليلة التي اسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسّر وقال خذوا كلوا

هذا هو جسدى المكسور لأجلكم اصنعوا هذا لذكرى .
كذلك الكأس أيضاً بعد ما تعشوا قائلا هذه الكاس هى
العهد الجديد اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى فانكم كلما
أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب
الى أن يجىء » (١ كو ١١ : ٢٣ — ٢٦)

(انظر الفصلين ١٠ و ١١ من سر الشكر ص ٤٣١ مجلد ٢)

---

(١٥) ﴿ تحريم الزواج على الاكليروس بوجه الاجمال ﴾

أوجبت الكنيسة القبطية زواج الشمامسة والقساوسة
مرة واحدة فقط قبل شرطونيتهم (وضع الأيدى) فلا
ترسم قساً إلا اذا تزوج حتى لا يصطدم بالتجارب المحيطة به
أثناء قيامه بواجباته الدينية كالاعتراف وفض المشاكل
العائلية . ثم أوجبت انتخاب البطاركة والأساقفة من
طائفة الرهبان تفرغاً لمهام هذه الوظيفة السامية وتجنباً لمشاغل
الحياة الزوجية

أما الكنيسة الرومانية فقد حرمت الزواج على الاكليروس بالاجمال من بابوات وكرادلة وأساقفة وقسوس وشمامسة وما دونهم لاعتقادها (ان زواج الاكليروس عمل قبيح وأنه يجعلهم عبيداً للشهوات والنجاسة — مجمع لاتراني ثان قانون ١٦ مجلد ١٠ ص ١٠٠٣)

وقد كان أول من منع زيجة الاكليروس البابا سيريكيوس (٣٨٥ — ٣٩٨) ولكن حكمه قاومه كثيرون الى أيام غريغوريوس السابع (سنة ١٠٧٣ — ١٠٨٠) الذى منعها بحرم قاطع

وذلك ولا ريب مناف كل المنافاة لأوامر ربنا الكريمة ووصايا رسله الصريحة التى تنص على أنه (اذا أخرج القس أو الشماس زوجته لأجل خدمة الله فليفرق . فاذا لم يرد يدخل بها فليقطع . وكذلك اذا أخرجها لعلة الزهد والرهبنة) راجع أيضاً (١ تى ٣ : ١ ، تى ١ : ٦)

(١٦) ﴿ تأخير سر مسحة المرضى لقرب الوفاة ﴾

لقد أوجب الكتاب المقدس استدعاء الكاهن ليمسح المريض بالزيت المقدس كلما أصيب بمرض ما، حيث قيل: « أمريض أحد منكم فليدع شيوخ الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلاة الايمان تشفى المريض والرب يقيمه وان كان قد فعل خطية تغفر له » (يع ٥ : ١٤)

أما الكنيسة الرومانية فلا تمسح المريض بهذا الزيت المقدس إلا عند قرب أجله واشرافه على الوفاة لكى يقويه فى نزاع الموت، وبذلك تحدت وصية إلهية صريحة لا لبس فيها ولا ابهام وهى اقامة هذا السر فى كل مرض بحسب الطلب

(راجع الفصل الخامس من سر مسحة المرضى ص ٤٩١ مجلد ٢)

---

(١٧) *(تعميد الجنين وهو فى بطن أمه)*

لما كانت المعمودية لازمة وضرورية للخلاص وبدونها.

لا يمكن الحصول على الحياة الأبدية كما قال له المجد : من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن (مر ١٦ : ١٦) لهذا قررت الكنيسة الجامعة حباً فى سعادة سائر أبنائها تعميد الطفل بلا ابطاء ولو على أثر ولادته . أما الكنيسة الرومانية فبالغت فى ذلك بأن أقرت تعميده وهو جنين فى بطن أمه

وحيث أن ذلك لم ترد عنه نصوص صريحة أو ضمنية فى الكتاب تؤيده ، فهو بلا شك خارج عن دائرة اختصاص الكهنة وبالأولى ليسوا مكلفين القيام به ، فلا يلامون اذا أهملوه بل يلامون اذا فعلوه

(راجع الفصل السابع من سر المعمودية ص ٣٤٤ مجلد ٢)

---

(١٨) *(نصب التماثيل فى الكنائس)*
عوضاً عن الايقونات

لقد اتخذت الكنيسة القبطية صنع الايقونات ووضعها فى الهياكل والمعابد ووجوب اكرامها واحترامها

من تصريح الله لموسى النبي باقامة أمثال هـذه الصور فى أقدس أمـكنة العبادة وهو قدس الأقداس بقوله تعـالى : « وتصنع كروبين (أى صورة ملاكين) من ذهب صنعة خراطة وتضعهما على طرفى الغطاء » (خر ٢٥ : ١٨) وقد انتحى نحوه سليمان الملك حيث زين بيت الله بشتى الصور الملائـكية فحاز عطفه تعالى ورضاه (راجع ١ مل ٦ : ٢٩ ، ٩ : ٣) غير أنها لم تسمح بعمل أيقونات بارزة ومنحوتة على شـكل تماثيل بل تصنعهـا مصورة بالرسم فقط حتى لا يختلط مظهرها بالمظاهر الوثنية البغيضة .

أما الـكنيسة الرومانية فتتخذ التماثيل عوضاً عن الصور وتضع الأساور والأطواق فى أعناقها ومعاصمها . وهو عمل وإن خلا من سائر المحظورات فهو مغاير للعادة القديمة التى جرت عليها الكنيسة منذ نشأتها .

(راجع ص ١٧٩ و ص ٤٦٩)

(١٩) ﴿ تحريم الطلاق على الاطلاق ﴾

ليس من شك فى أن سعادة الاسرة تتوقف على الالفة الكاملة والدالة المتبادلة بين الزوجين . وذلك لا يتم إلا اذا كان عقد الزواج غير قابل الانحلال

ثم أنه من الغدر وعدم الصواب ابقاء صلة الزواج مرتبطة مع خيانة أحد الزوجين ونقض شروط العهد التى تكفل الاثنان بمراعاتها والمحافظة عليها

ولهذا قضت شريعة ربنا شريعة العدل والكمال أن تدوم رابطة الزواج ما دامت الحياة فى سائر الاحوال ، إلا فى حال الزنا ، فانها تفصل فصلا مطلقاً حيث قيل « إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزنى» (مت ٥ : ٣٢)

وقد كان على الكنيسة الرومانية أن تراعى حرمة هذه الشريعة وتقدسها ولكنها خالفتها وتحدتها ومنعت الطلاق منعاً باتاً ، لا لهذه العلة ولا لغيرها. واكتفت بالهجر الدائم فقط اذا وقعت هذه الخطية من أحد الزوجين

فهذه الشريعة الجديدة التى استنتها لنفسها فضلا عن كونها مضادة للتعاليم المسيحية الصريحة فانهـا لا تتفق مع المبادىء الأدبية الحقة ، ولا تساير العقلية المنصفة ، بل قد تساعد على عيشة الدنس والفساد لوهن الانسان وضعفه أمام ميله الفطرى فى قضاء الفعل الجنسى (راجع ١كو٧ : ٣ـ٦)

---

(٢٠) *(حصر تقديس الميرون)*
ومممارسته فى الأساقفة وحدهم

تحصر الـكنيسة الرومانيـة حق تقديس الميرون وممارسته فى الاساقفة وحدهم حيث جاء فى أحد قوانينها ما نصه (من قال الخادم الرسمى للتثبيت المقدس ليس الاسقف فقط ، بل أيضاً كل كاهن بسيط فليكن محروماً)

غير أنها تصرح للكاهن بممارسة هذا السر بأذن خاص من البابا وإلا وجب اعادته ابطلانه

وهذا بخلاف الجارى فى الـكنيسة القبطية وبقيـة

الكنائس الرسولية فانها تشرك الكهنة مع الأساقفة فى تقديس الميرون كما انها تعطى الحق للكهنة فى ممارسة هذا السر كالاساقفة.

---

(٢١) *(عبادة القديسين)*

تعتقد الكنيسة الرومانية أن عبادة القديسين وذخائرهم أمر مفروض لازم حيث جاء فى كتاب اللاهوت الادبى للأب بطرس غورى ص ٣٢٩ جزء ١ ما نصه (لا يجوز لنا تقديم العبادة الاحتفالية والجمهورية لمن ينتقل من هذه الدنيا بصيت كبير من القداسة ما لم يحصه الحبر الأعظم فى درج القديسين أو الطوباويين)

أجل أن هذا النوع من العبادة وان كان لم يخرج عن كونه اكراماً ممتازاً إلا أن العبادة مهما كان نوعها ولو كانت دون غيرها من العبادات فلا يجب أن تقدم إلا لله وحده حيث قيل: « للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد » (تث ٤ : ١٠)

(٢٢) *(تحليل أكل اللحم والبيض فى الصوم)* الأربعينى ووجوب صوم سبوته

تصرّح الكنيسة الرومانية لأبنائها بأكل اللحم والبيض فى الصوم الأربعينى كما يتبين من قول الأب بطرس غورى فى كتابه اللاهوت الأدبى ص ٦٠٧، فانه بعد أن قال (محرّم على كل مؤمن مميز أن يأكل لحماً فى أيام الصوم . عاد فقال ـ ولكن فى يومنا هذا يفسح للمؤمنين تفسيحاً عاماً من هذه الشريعة فى بلدان كثيرة وقد يستثنى بضعة أيام بل أن كثيراً من الاساقفة بحسب تفويض الحبر الرومانى يفسحون لابروشياتهم من هذه الشريعة حتى من أكل اللحم فى قسم كبير من مدة الصوم الاربعينى)

وفوق ذلك فانها لا تفرض الصوم إلا على من بلغ الاحدى والعشرين سنة كما أن الصوم لا ينفسخ فى عرفها بشرب القهوة والشاى وغيرهما من السوائل . (اللاهوت الادبى ص ٥٩٨)

وهذه التفسيحات لا تقرها الكنيسة القبطية اللهم إلا فى أحوال استثنائية كالمرض ، لأنها مخالفة لوضع الكنيسه الأصلى

ومما هو أدعى للدهشة أنها فسحت لأكل اللحوم فى الصوم الأربعينى ثم أوجبت صوم سبوته خلافاً لقوانين الرسل التى حرمت صوم السبوت على الاطلاق ما عدا سبتاً واحداً وهو المعروف بسبت الفرح لأن جسد ربنا كان فيه مدفوناً فى القبر

---

(٢٣) *(منع العامة امتلاك الكتب المقدسة)*

لقد منعت الكنيسة البابوية امتلاك الكتب المقدسة وقراءتها من دون اذن خطاً من الأسقف أو أحد أعضاء ديوان التفتيش . وذلك لان جمعية القضاة التى أقامها المجمع التريدنتينى [1] لاجل الحكم على الكتب الجائزة والممنوعة

---

(١) المجمع التريدنتيني أو مجمع ترنت هو المجمع العشرون للكنيسة الرومانية استدعاه البابا بيوس الرابع ، وقد استمر من سنة ١٥٤٥ الى سنة ١٥٦٣ م

حكمت على الكتاب المقدس بما يأتى : —

(بما أنه ظاهر من الاختبار أنه اذا كان الكتاب المقدس المترجم الى اللغة الدارجة يُؤذن به من غير تمييز لكل واحد فان جسارة الناس تنتج منه شراً أكثر من الخير . فقد حُكم فى هذه القضية أن الأساقفة وأعضاء ديوان التفتيش بحسب نظرهم ورأى الخورى أو المعرّف يأذنون بقراءة الكتاب المقدس المترجم الى اللغة الدارجة من أحد المعلمين الكاثوليكيين لأولئك الاشخاص الذين يرون أن ايمانهم وتقواهم ينموان ولا يضران من ذلك . وهذا الاذن يجب أن يكون لهم بالكتابة . ولكن اذا تجاسر أحد على قراءته أو امتلاكه من دون هذا الاذن خطأ لا يعطى له الحل إلا بعد أن يكون قد سلّم أولاً مثل هذا الكتاب للقاضى الكنسى

أما بايعو الكتب الذين يبيعون أو يعطون نسخ الكتاب المقدس باللغة الدارجة لأحد الأشخاص الذين ليس معهم مثل هذا الاذن يخسرون ثمن الكتب فيستعمله

الاسقف فى باب تقوى ويكونون خاضعين للاسقف فى تأديبات أخرى مما يراه الاسقف مناسباً حسب كيفية الذنب . وأما الرهبان فلا يجب أن يستعملوا ولا يشتروا مثل هذه الكتب المقدسة من دون اذن خصوصى من رؤسائهم)

هذا هو نص حكم المجمع التريدنتينى الخاص بالذين يملكون الكتاب المقدس ويقرأونه وهو مخالف لروح الكتاب الذى لم يوجد فيه تحذير واحد من أن يقرأه أحد الناس او يفهمه بنفسه بل على العكس يأمر الجميع بقراءته ويحث على تفتيشه ، قال له المجد : « فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهى تشهد لى » (يو ٥:٣٩)

وقال يوحنا فم الذهب فى تفسيره انجيل متى عظة ٥ (يجب على الشعب حالما يرجعون من الكنيسة أن يفتحوا الكتب المقدسة ويجمعوا نساءهم وأولادهم للمفاوضة فى الاشياء التى سمعوها)

الكلام

على

أهم الاختلافات العقدية والطقسية

بين

الكنيستين القبطية واليونانية

الكنيسة اليونانية

ليس من ينكر أن الكنيسة اليونانية هى أقرب الكنائس ذات الاختلافات للكنيسة القبطية فيما يختص بالعقائد والطقوس

فطقوس الكنيستين تكاد تكون واحدة إلا فى قليل كالتسبيح التثليثي فانها ترتله هكذا (قدوس الله ، قدوس القوى ، قدوس الذى لا يموت ارحمنا) بحذف (الذى ولد وصلب وقام) لاعتقادها ان هذه العبارات فيها ما يشعر بألم اللاهوت وهو اعتقاد غير صحيح . لان الكنيسة القبطية باضافتها هذه العبارة على التسبيح التثليثي لا تعتقد بتألم اللاهوت ، بل بالوحدة الكاملة بين لاهوت ربنا وناسوته

وكاضافة مادة الخمر على المواد المصنوع منها الميرون وصوم يوم عيد قطع رأس يوحنا المعمدان وبعض اختلافات فى نسق العبادة وفى السياسة الكنسية ، وفى التراتيل وأشياء اخرى أمثال هذه .

أما العقائد فأهم الخلاف القائم بين الكنيستين بشأنها هو ما كان خاصاً بطبيعة ربنا له المجد ومشيئته. فالكنيسة القبطية تعتقد بالطبيعة والمشيئة المتحدة . أما الكنيسة اليونانية فتعتقد بالطبيعتين والمشيئتين

وحيث أننا بحثنا هذا الموضوع بحثاً دقيقاً فى باب الكلام على لاهوت السيد المسيح فليراجع فى موضعه ؟



الكلام

على

عامة الكنائس واعتقاداتها واعترافاتها
ودساتيرها الرسمية

ويُعرف هذا القسم باللاهوت الدستوري

بسم الآب والابن والروح القدس اله واحد

الباب الخامس

فى

الكلام على عامة الكنائس المسيحية واعتقاداتها واعترافاتها الرسمية والموضوعات الخلافية التى بين كل واحدة منها وبين كنيستنا القبطية الأرثوذكسية

تمهيد يُعرف هذا القسم باللاهوت الدستورى الذى هو عبارة عن شرح تعاليم الكنائس المسيحية المختلفة التى يتضمنها دستور ايمان كل منها ومقابلة بعضها بالبعض الآخر .

الفصل الأول

في

أنواع الكنائس التي تنحصر فيها الجامعة المسيحية

تنحصر الجامعة المسيحية اجمالاً في ثلاث كنائس وهي : —

(أولاً) الكنيسة الأرثوذكسية أو الشرقية وهي تشمل الكنيسة القبطية وربيبتها الكنيسة الحبشية . ثم الكنائس الأرمنية ، والسريانية (اليعاقبة) واليونانية

(ثانياً) الكنيسة الكاثوليكية أو الغربية أو البابوية أو الرومانية

(ثالثاً) الكنيسة البروتستانتية وهي مؤلفة من ثلاث كنائس شهيرة وبعض شيع مختلفة .

الفصل الثانى

فى

الكنائس الارثوذكسية أو الشرقية

(أولاً) الكنيسة القبطية أو المصرية وهى الكنيسة المبنية على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية (أف ٢ : ٢٠) وكذلك ربيبتها الكنيسة الأثيوبية.

أما دستور ايمانها واعترافاتها الرسمية فتستند الى الكتاب المقدس والمجامع المسكونية والتقليد الشريف وقد شرحناها شرحاً وافياً فى هذا المؤلف بأجزائه الثلاثة. وتتلخص هذه المعتقدات فيما يلى : —

(١) الله جل شأنه واجب الوجود، علة العلل ورب الأزل. وهو واحد فى ثلاثة أقانيم متساوية فى الجوهر والمجد والكرامة والقدرة وهم الآب والابن والروح القدس

(٢) الابن مولود من الآب قبل كل الدهور كولادة شعاع الشمس من جرمها

(٣) الروح القدس منبثق من الآب وحده

(٤) ربنا يسوع المسيح إله متجسد وهو رأس الكنيسة ومؤسس الدين المسيحى القويم وبه خلقت السموات والارض من لا شىء لمجده تعالى وسعادة مخلوقاته وهو الذى يدين الاحياء والاموات فى اليوم الأخير

(٥) نفس الانسان خالدة

(٦) الملائكة أخيار وأشرار . ويقال للأشرار شياطين

(٧) الأموات يقومون فى اليوم الأخير وهنالك يحظى كل منهم إما بالنعيم الدائم أو العذاب المؤبد

(٨) الانسان مخلوق على صورة الله وهى العقل والحرية والحكمة والقداسة والبر الأصلى (أى خلود الجسد) غير أنه فقد بالخطية القداسة الأولى والبر الأصلى فقط . وبقى العقل والحرية ولكنهما فى درجة أقل مما كانا عليه أولا .

ومن ثم فهو يولد الآن على نوع من الفرق الذى لم يكن فيه منذ ابتداء الجنس البشرى

(٩) خطية آدم عمت جميع نسله عدا المسيح وحده له المجد . لأن الانسان لم يرث الخطية الأصلية عن الأم بل عن الأب الذى يولد منه بحسب المبدأ الزرعى. وجسد ربنا لم يولد من زرع بشر ، بل كونه الروح القدس من دماء القديسة مريم بعد أن قدسها وطهرها وباركها على غير مقتضى نظام الطبيعة .

أما علة انتقال خطيئة آدم الى سائر أعقابه فلاعتبارهم انساناً واحداً من حيث اتفاقهم فى الطبيعة التى يتلقونها منه . ومن ثم دعيت هذه الخطية بخطية الطبيعة (اف ٢:٣)

أما الخطايا الأخرى المفعولة من الأب الأول أو من الآباء القريبين فلا تفسد الطبيعة فيما هو من قبيل الطبيعة بل من قبيل الشخص فقط ، لأنها خطية شخصية محضة ، والانسان يلد نظيره فى النوع لا فى الأحوال الشخصية وإلا كان العالم يلد عالماً والجاهل يلد جاهلاً . وذلك باطل .

(١٠) المخلص الوحيد للبشر هو ربنا يسوع المسيح الذى حمل فى جسده قصاص الخطية ووفى العدل الالهى حقه بتقديمه ذاته كفارة عن الجميع مختارين ومرذولين . ثم أنار العالم بتعاليمه السامية ونفعه بقدوته الصالحة التى هى خير مثال تتمثل به الانسانية

(١١) ان ربنا يسوع المسيح تجسد من القديسة مريم والروح القدس بطبيعة متحدة بلا اختلاط ولا امتزاج ولا انفصال ولا تغيير

(١٢) الخلاص والتجديد (أى التبرير) يتوقفان على الايمان بربنا يسوع المسيح المقرون بالأعمال الصالحة لأن الايمان بلا أعمال ميت

(١٣) ان نعمة التجديد أى الولادة الجديدة التى يتصالح بها الانسان مع الله تقدم للجميع بلا استثناء من قبل الروح القدس لأنه يريد أن الجميع يخلصون والى معرفة الحق يقبلون . غير أن كثيرين منهم يرفضون هذه النعمة فيهلكون . لأن عمل التجديد مشترك بين ارادة الانسان

وعمل الروح القدس . أما الذين يعتقدون أن نعمة التجديد لا تقدم إلا لمن سبق الله فعينهم للخلاص ، ومن ثم لا بد من خلاصهم أرادوا أم أبوا ، فلا يتفق اعتقادهم هذا وعدالة الله الكاملة . لأن ارادتنا بذاتها خلواً من النعمة الالهية لا تستطيع أن تستحق شيئاً . وهكذا النعمة الالهية خلواً من طاعة ارادتنا لن تستطيع أن تكتب لنا الحياة الأبدية .

(١٤) الدين المسيحي هو اعلان إلهي يتضمن حقائق كانت مجهولة عند البشر لسموها عن ادراكهم . فأعلنها لهم ربنا يسوع المسيح ورسله الكرام في كتابه الالهي الذي هو مصدر تلك الحقائق لأجل خلاصهم وسعادتهم . ومن ثم يجب على العقل البشري أن يسلم بها ويخضع لها من دون أن يحكم فيها لأنها ليست من اختصاصه

(١٥) الكتاب المقدس بجملته موحى به على أفواه الأنبياء والرسل فلم يهملوا أمراً مما أراد الله تسطيره ولم يضيفوا اليه ما لم يشأ تبليغه

(١٦) علامات الكنيسة هى : واحدة ، مقدسة ، جامعة ، رسولية .

(١٧) الأسرار علامات منظورة بواسطتها ينال المؤمن نعمة الروح القدس المجددة الغير المنظورة

(١٨) أسرار الكنيسة سبعة وهى : المعمودية ، الميرون ، الاعتراف ، التناول ، مسحة المرضى ، الزيجة ، الكهنوت . وأن أسرار المعمودية والميرون والتناول ضرورية للجميع . وليس ثمة خلاص بلا معمودية لأنها هى التى تمحو الخطية الجدية محواً كاملا . أما ما يرى فى الانسان من الميل الى الخطية بعد العماد وهو ما يسميه بولس الرسول الانسان العتيق (اف ٤ : ٢٢) فيمكن ازالته تدريجيا بالوسائط الروحية ، ومن ثم لا يؤخذ دليلا على أن الخطية الجدية ما زالت باقية

(١٩) درجات الكهنوت ثلاث وهى : الاسقفية ، والقسيسية والشماسية . وأن واجبات الكهنة المشاعة هى الكرازة بكلمة الله وتتميم الأسرار الستة أى المعمودية

والميرون والاعتراف والتناول ومسحة المرضى والزيجة . أما السر السابع وهو الكهنوت فيختص تتميمه بالأسقف وحده ، كما أن الشمامسة لهم أن يعاونوا الأساقفة والقسوس فى تتميم الأسرار

(٢٠) المجامع المسكونية التى اجتمعت فى نيقيه وافسس والقسطنطينيه مجامع مقدسة لم تخطىء فيما قررته لأنها اجتمعت بتحريك الروح القدس وارشاده حيث انه هو الذى يسوس الكنيسة ويرشدها ويدعو الناس لخدمتها ورعايتها

(٢١) التقليد الشريف حفظ فى الكنيسة صحيحاً سالماً بمساعدة الروح القدس وعنايته فيجب مراعاته واحترامه وإلا أصبحت الكنيسة فى حالة فوضى بلا رابطة ولا قانون. لأن التقليد شارح للكتب المقدسة ومكمل لها

(٢٢) الأصوام ، والاستشفاع بالقديسين ، والصلاة من أجل الراقدين ، واكرام الايقونات وتقبيل رفاة القديسين ، والاحتفال بأعيادهم واحياء ذكراهم ، والرهبنة ،

والصلاة الى جهة الشرق ، وعدم الركوع فى أيام الآحاد والخمسين والاعياد السيدية مسائل مصدرها الكتاب المقدس والتقليد الشريف . فيجب مراعاتها وحفظها حسب أمر الكنيسة

(ثانياً) ﴿ الكنيسة السريانية ﴾

(أو اليعقوبية)

ان دستور هذه الكنيسة ومعتقداتها يتفق مع دستور ومعتقدات الكنيسة القبطية ولا تختلف هاتان الكنيستان إلا فى المسائل الطقسية

أما شعب هذه الكنيسة فيقطن فيما بين النهرين وفلسطين وسورية . وبطريركها يلقب ببطريرك انطاكيه . غير أن مقر كرسيه فى (ديار بكر)

وتسمى هذه الكنيسة باليعقوبية نسبة ليعقوب

البرادعى السريانى الذى اهتم بها فى زمن اضطهادها وعين الاكليروس اللازم لسياستها

(ثالثاً) ﴿ الكنيسة الأرمنية ﴾

هذه الكنيسة كالكنيسة السريانية أى أن دستور ايمانها ومعتقداتها كمعتقدات الكنيسة القبطية غير أنها تختلف معها فى أمور أهمها : —

(١) تصنع الميرون المقدس بزيت السيرج عوضاً عن زيت الزيتون

(٢) تستعمل الفطير فى سر الافخارستيا مثل اللاتين

(٣) لا تضع ماء فى الكأس المقدسة

(٤) تحتفل بعيدى الميلاد والغطاس فى يوم واحد .

أما قداسها فمؤلف من بعض أجزاء قداس يعقوب الرسول أخى الرب ومن قداس القديس يوحنا فم الذهب

(رابعاً) ﴿ الكنيسة اليونانية ﴾

تتفق هذه الكنيسة وكنيستنا القبطية فى دستور ايمانها وسائر عقائدها الرئيسيه ولم تختلف معها إلا فى عقيدة طبيعة السيد المسيح المتحدة . وهو اختلاف يغلب أن يكون فى التعبير لا فى العقيدة نفسها (انظر المجلد الأول ص ٤٩٠ — ٥٣٢) و ص ٥٧٩ من هذا المجلد

﴿ الكنيسة النسطورية ﴾

وهناك أيضاً كنيسة أخرى شرقية تدعى الكنيسة النسطورية .

دعيت هذه الكنيسة نسطورية نسبة الى نسطور بطريرك القسطنطينية الذى تبوأ العرش البطريركى سنة ٤٢٨ م . وقد حكم عليه المجمع الثالث المسكونى الذى التأم فى افسس سنة ٤٣١ م بفرزه من الكنيسة كأحد المبتدعين لأنه زعم أن المولود من القديسة مريم هو المسيح الانسان

المجرد وليس المسيح الاله المتأنس وأنه ذو أقنومين وطبيعتين[1] وبعد أن حكم عليه ومات ميتة شنيعة سنة ٤٤٠ م لحق شيعته اضطهاد عنيف حملهم على الهرب الى بلاد فارس والهند والصين وهنالك أسسوا كنائس نسطورية ودعى الذين سكنوا بلاد فارس كلدانيين كما أن الذين سكنوا بلاد الهند لقبوا بتباع توما . وهم فى هذه الأيام منتشرون فى بلاد العجم والعراق العربى وبلاد العرب وبلاد الهند

أما من جهة دستور ايمانهم ومعتقداتهم فيعبرون عنها بأسلوب غير واضح ولا صريح . فيقولون إن المسيح فيه طبيعتان وشخصان . أى أن المسيح هو اله وانسان معاً فى أقنوم واحد وما زالوا يرفضون تسمية السيدة العذراء بوالدة الاله ويشجبون اكرام القديسين ولا يراعون احترام الايقونات ويسمحون بزواج الاكليروس عامة . ويدعى بطريركهم (جاثيليق) أى عمومى

---

(١) ورد تاريخ هذا الرجل المبتدع فى القسم الخاص بلاهوت المسيح (المجلد الاول)

الفصل الثالث

فى

الكنيسة الغربية أو الكاثوليكية أو الرومانية أو البابوية

(والكنيستين المارونية والكاثوليك القدماء)

تتفق هذه الكنيسة والكنيسة القبطية وسائر الكنائس الرسولية فى أهم العقائد والدساتير المسيحية وأشهرها :—

(١) الله واحد فى ثلاثة أقانيم متساوية فى الجوهر والمجد والكرامة والقدرة وهم الآب والابن والروح القدس

(٢) الابن مولود من الآب قبل كل الدهور كولادة شعاع الشمس من جرمها .

(٣) يسوع المسيح إله متجسد وهو مؤنس الدين

المسيحى القويم وبه خلقت السموات والأرض لمجده تعالى وسعادة مخلوقاته

(٤) نفس الانسان خالدة

(٥) الملائكة أخيار وأشرار

(٦) الأموات يقومون فى اليوم الأخير إما للحياة الأبدية أو العذاب الدائم

(٧) الانسان مخلوق على صورة الله

(٨) خطيئة آدم عمت جميع نسله

(٩) المخلص الوحيد للبشر هو ربنا يسوع المسيح الذى تجسد من القديسة مريم والروح القدس

(١٠) الخلاص والتبرير يتوقفان على الايمان والأعمال معاً .

(١١) الدين المسيحى يتضمن حقائق تفوق العقل البشرى ، أعلنها ربنا يسوع المسيح ورسله الكرام فى كتابه الالهى.

(١٢) الكتاب المقدس بجملته موحى به من الله

(١٣) أسرار الكنيسة سبعة وهى المعمودية والميرون والاعتراف والتناول ومسحة المرضى والزيجة والكهنوت

(١٤) التقليد الشريف حفظ فى الكنيسة صحيحاً سالماً

(١٥) الأصوام والاستشفاع بالقديسين والصلاة من أجل الراقدين واكرام الايقونات وتقبيل رفاة القديسين والاحتفال بأعيادهم مسائل مصدرها الكتاب المقدس والتقليد الشريف فيجب مراعاتها وحفظها

هذه هى الموضوعات الرئيسية المتفق عليها بين الكنيستين القبطية والرومانية — أما أهم الموضوعات المختلف فيها بين هاتين الكنيستين فبعضها عقدية وبعضها طقسية وهى : —

(١) انبثاق الروح القدس من الابن

(٢) طبيعتا السيد المسيح اللاهوتية والناسوتية

(٣) المطهر (٤) أوراق الغفران (٥) زوائد فضائل القديسين (٦) رآسة بطرس (٧) رآسة البابا للكنيسة المنظورة ونيابته عن المسيح على الأرض وعصمته من الغلط

(٨) الحبل بالقديسة مريم من غير دنس (٩) ابدال عادة التغطيس فى المعمودية بالرش (١٠) منح المسحة المقدسة «الميرون» للراشدين فقط دون الأطفال وحصر حق اتمام هذه المسحة المقدسة فى الاساقفة دون الكهنة (١١) استبدال الخبز الخمير بالفطير فى سر الشكر ومناولة هذا السر للعامانيين البالغين تحت شكل الخبز فقط . وحرمان الأطفال من هذا السر (١٢) تحريم الزواج على جميع الاكليريكيين (١٣) تحويل معنى «القانون» الذى يفرضه أب الاعتراف فى سر التوبة من دواء روحى لاصلاح حالة الخاطىء الى قصاص وقتى يجب على الخاطىء أن يتكبده لكى يفى به العدل الالهى (١٤) اتمام سر مسحة الزيت المقدس للمرضى عند قرب أجلهم فقط (١٥) نصب التماثيل فى الكنائس عوضاً عن الصور ووضع الأساور والأطواق فى أعناقها ومعاصمها (١٦) منع العامة امتلاك الكتب المقدسة (١٧) تعميد الجنين فى بطن أمه

وغير ذلك كثير تجده مشروحاً فى باب الاختلافات

المقدية ص ٥٢٠ .

هذا وقد انشق من هاته الكنيسة بسبب عصمة البابا التي تقررت سنة ١٨٧٠ م شعب من الألمان دعا نفسه كنيسة الكاثوليك القدماء[1] فرفضوا عقيدة الحبل بلا دنس وأبطلوا عادة التناول من الجسد وحده . كما أنهم شرعوا في الغاء بتولية الاكليروس الاجبارية . وقد نادوا بفساد هذا المعتقد في المجمع الذي عقدوه في مدينة مونيخ سنة ١٨٧١

وكذلك الكنيسة المارونية التي يقطن شعبها جبل لبنان فهي وان كانت خاضعة للكنيسة البابوية منذ سنة ١٥٨٤ إلا أنها تخالفها في أمور دينية كثيرة منها اباحة زواج الكهنة الذين يسكنون القرى . والتناول من الشكلين أي من الجسد والدم الكريمين . ثم يؤدون طقوس

(١) الكاثوليك القدماء أي الحقيقيون الذين يحافظون على عقائد الكنيسة الكاثوليكية القديمة ويرفضون البدع الحديثة كعصمة البابا

عبادتهم باللغتين العربية والسريانية المزوقة بالكرشونية

وقد كان شعب هذه الكنيسة قبل خضوعه للبابا يعتقد بالطبيعتين والمشيئة الواحدة للسيد المسيح ولكنه عاد أخيراً فاعتقد بالطبيعتين والمشيئتين كالكنيسة الكاثوليكية .

ويحسن بنا أخيراً للاحاطة بكل ما هو خاص بالكنيسة الرومانية أن نذكر أيضاً الاحزاب أو الطغمات التى تألفت للدفاع عن سلطة البابا الروحية والزمنية . وأشهر تلك الطغمات هى : —

(١) طغمة الدومنيكيين وقد أسسها الراهب دومنيكيوس الاسبانى سنة ١٢٢١

(٢) طغمة الفرنسكانيين وقد أسسها الراهب فرنسسكوس سنة ١٢٢٦ وقد حازت هاتان الطغمتان من القوة والسيطرة فى الكنيسة الرومانية ما جعل الكثيرين من أعضائها أهلاً لأن يعلوا السدة البابوية ويديروا ديوان التفتيش المشهور الذى أسسه البابا أغريغوريوس التاسع

سنة ١٢٢٩ للتفتيش على الهراطقة واجبار الناس على الاعتراف بالسلطة البابوية

(٣) طغمة الجزويت وقد أسسها الراهب أغناطيوس لويلا وثبتها البابا بولس الثالث سنة ١٥٤٠ وهى الآن من أقوى الطغمات البابوية وأغناها

الفصل الرابع
فى
أشهر الكنائس البروتستانتية

ان أشهر الكنائس البروتستانتية هى اللوثرية (١)

---

(١) الكنائس اللوثرية هى التى اتبعت تعاليم لوثر وملانكتون وتوجد فى جرمانيا وهنكاريا (المجر) وولايات روسيا الواقعة على بحر البلطيق والدنيمارك واسوج ونروج وأمريكا . ويقال لها البروتستانتية أيضاً أى المحتجة لاقامتها الحجة ضد المجمع البابوى الذى انعقد سنة ١٥٢٩

والكافينية[1] والانكايكانية أو الاسقفية .

أولاً ﴿ الكنيسة اللوثرية ﴾

لقد تسمت الكنيسة اللوثرية بهذا الاسم نسبة الى مرتينوس لوثر[2] المشهور الذى ولد فى بلدة اسيلين من مقاطعة ثورنجية فى جرمانيا سنة ١٤٨٣ وتوفى سنة ١٥٤٦ بعد أن أوقف الشطر الأكبر من حياته على مناضلة البابا ومحاجته .

أما خلاصة تعاليمه فهى : —

(١) الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد للتعليم المسيحى أما التقليد فلا يكون صحيحاً إلا اذا كان مطابقاً للكتاب المقدس .

---

(١) الكنائس الكافينية هى التى اتبعت تعاليم كلفينوس وزونيكلوس وتوجد فى امريكا وانكلترا وايرلاندا وسويسرا وفرنسا وهولاندا . ويقال لها المصلحة أيضاً لأنها أصلحت فساد الكنيسة البابوية كما يقولون

(٢) راجع تاريخ لوثر فى الباب الثالث ص ٣٨٦

(٢) التبرير يكون بالايمان بدون احتياج الى الأعمال الخارجية كالاصوام والاعمال النسكية . أو بعبارة أوضح أن بر المسيح الذى نجم عن موته التكفيرى يحسب للانسان . وأن التجديد والتبرير يتمان بمجرد الايمان بيسوع المسيح . وأما الأعمال الصالحة فمع أنها لائقة بالمسيحى كبرهان ونتيجة للايمان الحى فهى غير ضرورية للخلاص « علم اللاهوت البروتستانتى ص ١٠٨ »

(٣) الاسرار اثنان فقط وهما سرا المعمودية والعشاء الربانى .

(٤) الخبز والخمر لا يستحيلان الى جسد المسيح ودمه . بل الخبز يبقى خبزاً والخمر يبقى خمراً ولكن فى داخلهما جسد المسيح ودمه

(٥) درجات الكهنوت اثنتان فقط وهما القسيسية والشماسية . أما الدرجة الأسقفية فهى القسيسية نفسها : وان الكهنوت ليس سراً بل هو بركة إلهية يحصل عليها المنتخب بوضع أيدى القسوس تخوله سلطان الكرازة بكلمة

الله وأنه لا كهنوت خصوصى فى النصرانية بل جميع المسيحيين هم كهنة « علم اللاهوت البروتستانتى ص ١٠٨ »

ملاحظة : (تعتقد الكنائس القبطية والحبشية والأرمنية والسريانية واليونانية والرومانية والمارونية والكاثوليكية القديمة النسطورية والانكليكانية أن خدام الكنيسة يؤلفون طبقة خاصة تختلف جوهرياً عن سائر المسيحيين لان خدام الكنيسة هم رعاة وساسة، وسائر المسيحيين رعايا ومسوسون . وأن هؤلاء الخدام ليسوا متساويين فى الرتبة بل ثلاث درجات متفاوته . أما الكنيسة اللوثرية فتعتقد أن خدام الكنيسة لا يؤلفون طبقة مخصوصة تمتاز عن سائر المسيحيين لأن السلطان الذى لهم لا يخصهم بل يخص المؤمنين الذين اعطوهم اياه . وان هؤلاء الخدام هم متساوون فى الرتبة وليس أحد منهم أعلى من الآخر .

قال القس جمس انس الامريكانى فى كتاب علم اللاهوت.

ص١١٧ (الانجيليون يعتقدون كهنوت كل المؤمنين بالاجمال وحقهم فى الاشتراك فى سياسة الكنيسة).

(٦) عدم زواج الاكليروس منافٍ لتعليم الكتاب

(٧) السجود للايقونات مرفوض

(٨) الصلوات من أجل الأموات باطلة

ثانياً ﴿ الكنيسة الكافينية ﴾

(التى تفرعت منها الكنيسة الانكليكانية)

دعيت الكنيسة الكافينية بهذا الاسم نسبة لكافينوس الذى ولد فى بلدة نوون مقاطعة بيكارديا الفرنسية حوالى سنة ١٥٠٠ م وتوفى سنة ١٥٦١ م بعد أن أسس أكاديمية لاهوتية فى جنوة وصار يفسر فيها الكتب المقدسة.

أما خلاصة تعاليمه فتنحصر فيما يأتى : —

(١) الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد للتعليم المسيحى أما التقليد فرفوض على الاطلاق

(٢) يوجد فى الكنيسة سران فقط هما المعمودية والافخارستيا

(٣) أنه فى سر الافخارستيا لا يستيحل الخبز والخمر الى جسد المسيح ودمه ولكن الذين يأكلون الخبز متى كانوا مؤمنين حقيقيين يشتركون بجسد المسيح ودمه بطريقة سماوية روحية

(٤) لا يوجد إلا عيد واحد فقط وهو يوم الأحد

(٥) أن الله لا يعطى نعمته إلا للذين يشاء أن يجعلهم من أهل الطوبى بحسب ارادته المطلقة الأزلية . وهذه النعمة هى إلزامية أى ان شاء الانسان أو أبى فسيخلص وأما بقية الناس الذين لا تعطى لهم هذه النعمة فهم معينون سلفاً للعذاب الأبدى . ومن ثم فأعمال الانسان ليس لها فائدة بتاتاً لأن النعمة تعمل كل شىء

وتوجد هذه الكنيسة كما قدمنا فى أمريكا وفرنسا

وسويسرا وانكلترا التي تعرف كنيستها بالانكليكانية أو الأسقفية وهي أشهر الكنائس الكلفينية

(ثالثاً) ﴿ الكنيسة الانكليكانية ﴾ أو الأسقفية

كانت هذه الكنيسة تابعة للكنيسة الكاثوليكية وانفصلت عنها نهائياً سنة ١٥٣٤ م والذي مهد الطريق لذلك الانفصال هو يوحنا ويكلف الذي ولد في انجلترا سنة ١٣٢٤ م وكان أستاذ اللاهوت في مدرسة اكسفورد وذلك بسبب ما رآه من الانحطاط الديني وقتئذ في الكنيسة البابوية

أما السبب الذي أدى الى الانفصال النهائي فهو توبيخ البابا للملك هنري الثامن وتهديده اياه بالحرم لعلة طلاق امرأته كترين . ومن ثم غضب هنري على البابا والغى السلطة البابوية في انكلترا وانفصل انفصالاً تاماً عن الكنيسة البابوية ونودي به في مجمع النواب الانكليزي

سنة ١٥٣٤ رأساً للكنيسة الانكليكانيه . ولما مات هنرى الثامن واخلفه ابنه ادوارد السادس تألفت لجنة فى عهده تحت رآسة كرامر رئيس أساقفة كنتربرى سنة ١٥٤٩ ونشرت كتب الصلوات والطقوس وخدمة القداس وأبطلت التتورجية البابوية واللغة اللاتينية من العبادات الآلهية وصرحت بزواج الاساقفة [١] ورؤساء الاساقفة والقسوس والشمامسه . وعلى هذا المنوال تشكلت الكنيسة الجديدة فى بلاد الأنجليز ونشر اعترافها الرسمى فى (٤٢ عقيدة)

وتختلف هذه الكنيسة عن كنيستنا عدا الطقوس فى العقائد الآتيه : —

«١» تعتقد أن انبثاق الروح القدس من الآب والابن كالكنيسة الرومانيه . غير أن علماء هذه الكنيسة اللاهوتيين والكاثوليك القدماء الذين اجتمعوا فى مدينة بون بالمانيا

---

(١) يباح لهم الزواج الاول والثانى والثالث والرابع أسوة بعامة الشعب

سنة ١٨٧٤ صرّحوا أن زيادة « من الابن » فى دستور الايمان غير قانونية ومخالفة لنص الانجيل الصريح وتمنوا أن تمحى من الدستور (راجع كتاب علم اللاهوت البروتستانتى ص ١١٣)

«٢» تعتقد أن الاسرار التى فرضها ربنا يسوع المسيح هى اثنان فقط وهما المعمودية والعشاء الربانى .

أما الخمسة الاخرى فلا تلغيها بل تعتبرها طقوساً كنسية فقط وهى الميرون والتوبة والزيجة ومسحة المرضى والكهنوت غير أن اعتقادها فى الكهنوت كاعتقاد الكنيسة القبطية أى انه ثلاث درجات وهى الشماسية والقسيسية والأسقفية

«٣» تعتقد أن استحالة الخبز والخمر فى العشاء الربانى الى جسد المسيح ودمه لا يمكن ان تتبرهن من الكتاب المقدس وأن جسد المسيح يعطى ويؤخذ ويؤكل فى العشاء الربانى بطريقة سماوية روحية .

هذه هى أشهر معتقدات واعترافات أكبر الكنائس

البروتستانتية الثلاث وهى اللوثرية والكلفينية والاسقفية كما هو مدون فى مؤلفاتهم

أما ما عدا ذلك من العقائد الشاعة والمتفق عليها من عموم المسيحيين كوحى الكتاب المقدس[1] ، ووجود الله فى ثلاثة أقانيم متساوين ، ولاهوت السيد المسيح وتجسده وخلاص البشر بواسطته ، وخلقة السموات والارض ، والملائكة الاخيار والاشرار ، والقيامة الاخيرة والدينونة العامة ، والثواب والعقاب المؤبدين فى الحياة العتيدة الخ فهو موافق لعقائد كنيستنا القبطية ولعامة الكنائس الرسولية

(راجع ما جاء عن الاختلافات العقدية والطقسية)
(بين الكنيسة القبطية والكنائس البروتستانتية)
(الباب الثالث ص ٣٨٥ ـ ٥٢٠)

---

(١) اتفقت الكنائس المسيحية جمعاء على وحى الكتاب المقدس واختلفت فيمن له حق تفسيره . فالكنيسة القبطية وسائر الكنائس الشرقية تعتقد أن تفسير الكتاب المقدس خاص بالمجامع المسكونية . والكنيسة الكاثوليكية تعتقد أنه خاص بالبابا . أما الكنائس البروتستانتية فتعتقد أنه مباح لكل مسيحى يقدر أن يفهمه

الفصل الخامس

في

الكنائس البروتستانتية الثانوية

قد يوجد غير الكنائس البروتستانتية الثلاث الهامة التي سبق التكلم عنها شيع أخرى كثيرة متفرعة منها . وبما أن اعترافات تلك الشيع ومعتقداتها تكاد ان تكون متشابهة فنكتفي بذكر الأشهر منها وهي :—

(اولا) ﴿ كنيسة الدربيين ﴾

أو اخوة بليموث

هذه الشيعة أسسها الواعظ الانكليكاني دربي سنة ١٨٤٠ في مدينة بليموث الانكليزية . وأصحاب هذه الشيعة يظنون أنهم وحدهم أبناء الله المختارون . كما أنهم

يعتقدون أنهم جميعاً كهنة . وأن الروح القدس نازل عليهم ولذلك ليس لهم رعاة.

(ملاحظة) كل الكنائس المسيحية تعتقد أن للكنيسة خداماً معينين يتولون الكرازة بكلمة الله وسياسة الكنيسة واقامة الشعائر الدينية إلاّ شيعتي البليموث والكويكرس فانهما يعتقدان أنه ليس ضرورياً أن يكون للكنيسة خدام معينون لأن جميع المسيحيين كهنة.

(ثانياً) ﴿ كنيسة الكويكرس «المرتعدون» ﴾

أسس هذه الشيعة جاورجيوس فكس سنة ١٦٩٠ وكان يعلّم أن المسيحي يستنير رأساً من الروح القدس الحال عليه.

والكويكرس ليس لهم طقوس مقررة للعبادة ولا قسوس ولا وعاظ . بل يزعمون أنهم عندما يجتمعون للعبادة يصمتون جميعاً الى أن يحل الروح القدس على واحد منهم فيقوم ويعلمهم أو يصلي بهم وبعض الاحيان يتنبأ أيضاً

(ثالثاً) *(كنيسة الادفيتنست)*

أو

الالفيين – السبتيين

أسس هذه الشيعة وليم ميلر من مدينة ماساهوسيت بامريكا سنة ١٨٣١ وتعتقد هذه الشيعة أن مجيء الرب الثاني قد اقترب . وأنه حين حضوره ينشيء على الأرض مملكة ماسيًا ذات الألف السنة . وهم يعمدون بالتغطيس في الماء ويحفظون السبت بدلا من الأحد . ويحتفلون بعيد المظال كاليهود ويحرمون أكل لحم الخنزير ويتبعون العهد القديم أكثر من العهد الجديد

(رابعاً) ﴿ كنيسة المانونيت ﴾

أى

كنيسة معيدى المعمودية

أسس هذه الشيعة (مينون) الكاهن اللاتيني ويُعرف أصحاب هذه الشيعة بمعيدى المعمودية لأنهم

يعيدون معمودية من يعتنق مذهبهم من مسيحى الكنائس الأخرى لزعمهم أن معمودية الأطفال التى تستعملها الكنائس المسيحية منافية لوصية المسيح وغير صحيحة . ومن ثم يعتبرون جميع المسيحيين الآخرين غير معمدين

(خامساً) ﴿كنيسة المثوديست﴾

أو

الطريقة والنظام

أسس شيعة المثوديست رجل اسمه (وسيكى)

ومعنى المثوديست الطريقة والنظام لزعمهم أن كنيستهم مرتبة على نسق قانونى . وهذه الشيعة لها أساقفة وقسوس وشمامسة ، وتشارك الكنيسة الانكليكانية فى طقوس كثيرة . وقد تأسست رسمياً سنة ١٧٢٦ م

(سادساً) ﴿كنيسة الراسكولنك﴾ (المنشقين)

دعيت هذه الشيعة بهذا الاسم لأنه في سنة ١٦٦٦ عندما شرع نيقون بطريرك موسكو الأرثوذكسي في اصلاح كتب العبادة التي أفسدها النساخ الجهال لم يرق هذا الاصلاح في أعين بعض الروسيين المتعصبين بل اعتبروه نوعاً من البدع والاحداث . ومن ثم انفصلوا عن الكنيسة الأرثوذكسية ولقبوا أنفسهم بالراسكولنك أي (المنشقين) وقد اضطهدهم بطرس الأكبر بقساوة بالغة الحد فلم يرجعوا عن رأيهم . ومن عاداتهم أنهم يتممون سر الافخارستيا في هياكل ينصبونها في البراري بسبع خبزات. ويصومون أصواماً في منتهى الصرامة والتقشف ويكرهون الخمر والمسكرات والتبغ والشاي والقهوة . ويعيشون عيشة نسكية . وبعضهم يرفض الزواج ويحسبه عملاً شيطانياً . وبعضهم يعيّد يوم السبت . وبعضهم يتجنب معاشرة الخطاة والصلاة معهم .

وأكثر شعب هذه الشيعة من القوزاق القاطنين بالقرب من نهر الدون وأهالى سيبيريا .

(سابعاً) ﴿ الكنيسة الاسفانكفيلدية ﴾

أسس هذه الشيعة غاباروس اسفانكفيلديوس سنة ١٦٥١ . أما شعب هذه الشيعة فقليل ويقطن أمريكا ويعتقد أن ناسوت المسيح ليس مخلوقاً . وبما أنه حل فى العذراء من كلمة الله فهو مشابه بهذه الصفة لكلمة الله . وأنه بعد القيامة قد اتحد المسيح باللاهوت واندمج فيه فتأله ناسوته أيضاً معه . وأن المسيحى المؤمن يتناول فى سر الافخارستيا جسد الرب ودمه المتألهين فيتأله هو أيضاً

(ثامناً) ﴿ كنيسة الارمينيوسيين ﴾

أسس هذه الشيعة يعقوب أرمينيوس راعى كنيسة هولانده وأحد أساتذة اللاهوت فى مدينة ليدن فى أواخر القرن السادس عشر (١٦٠٠)

وتعتبر هذه الشيعة من أحط الشيع المسيحية رتبة . ولولا أنها تعتقد بلاهوت ربنا يسوع المسيح لما حسبت من جملة الشيع المسيحية ، وذلك لأنها تعتقد أن الله واحد فى ثلاثة أقانيم إلهية . ولكن الآب أعظم من الابن والروح القدس . والابن أعظم من الروح القدس

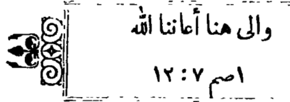
هذه أشهر الكنائس والشيع البروتستانية . وهناك شيع أخرى غيرها تنتحل لنفسها اسم المسيحية وهى فى الواقع ملحدة لأن بعضها ينكر الثالوث الأقدس ويعتقد أنه أقنوم واحد وهو الآب . وبعضها ينكر لاهوت ربنا يسوع المسيح ، كشيعتى السوسينيين والمورمون . وهما منتشرتان فى اوروبا وأمريكا .

﴿ الخاتمة ﴾

وختاماً نضرع بلجاجة الى ربنا والهنا يسوع المسيح رأس الكنيسة الأوحد الذى مات عن جميع العالم لكى

يجعل الاثنين واحداً وينقض حائط السياج المتوسط
(اف ٢ : ٤) أن يرمق كنيسته بعين عطفه ورضاه
ويمن عليها بالوحدة الكاملة المؤسسة على قاعدة الاشتراك
فى الايمان العام المدون فى الدستور الشريف حسبما تفهمه
وتعترف به الكنيسة كلها حتى تتألف من جميع الكنائس ،
الكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية كما كانت قبل
الانشقاق لانه لا ريب فى أن أسعد أيام النصرانية جميعها
هو ذلك اليوم الذى تتحد فيه سائر الكنائس وتصبح
واحدة . لأنه بهذا الاتحاد يتمجد اسم الله ويمتد ظلال
كنيسته الوارف على سائر ربوع العالم حيث انه لنا رب
واحد وايمان واحد ومعمودية واحدة (اف ٤ : ٤)

له المجد فى الكنيسة فى المسيح يسوع الى جميع أجيال
دهر الدهور آمين (اف ٣ : ٢١)

تقاريظ

لقد تفضل كثيرون من حضرات الآباء والاساتذة العلماء الذين اطلعوا على المجلدين الأول والثانى من كتابى (علم اللاهوت) ورفعوا من قدره برسائل كريمة بعثوا بها الىّ وها أنذا مثبت لهم ما قدرته ضمائرهم نحو هذا الكتاب اعترافاً بفضلهم لما حوته تلك الرسائل من الدرر الغوالى

(١)

حضرة صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا كيراس مطران الكنيسة السريانية بمصر . بعث الينا برسالة كريمة قال فيها (وافانا كتابكم الثمين فى علم اللاهوت فوجدناه من أجلّ ما كتب فى بابه . فلكم مزيد الشكر ولله المجد وعلى جميعنا رحمته الى الأبد آمين)

(٢)

حضرة الاستاذ العالم الدكتور (فى اللاهوت) نجيب

ميخائيل (أحد أبناء الكنيسة اليونانية) تفضل علينا برسالة هذا نصها . (ويسرنى اليوم أن افيدكم انى طالعت باهتمام الجزء الأول والثانى من هذه التحفة الثمينة (علم اللاهوت) وكل ما فيهما يدل على بحث عميق وسعة اطلاع . ولما كنت من الذين يحبون الكنيسة القبطية ويحترمونها ويرغبون فى التقرب بين الكنيستين اليونانية والقبطية فاجاهر أن نقطة الاختلاف بين الكنيستين الشقيقتين فى الديار المصرية هى فى التعبير ولا تمس الجوهر . بارك الله فى جهودكم واكثر للكنيسة الشقيقة من أمثالكم)

(٣)

وكتب حضرة الاستاذ العلامة سلامه موسى فى جريدة مصر بتاريخ ٢٩ مارس سنة ١٩٣٧ تحت عنوان « كتاب جديد فى اللاهوت » ما يأتى (اذا قرأنا هذا الكتاب الذى ألفه الايغومانس ميخائيل مينا ناظر المدرسة اللاهوتية يحلو ان تذكرنا مدرسة الاسكندرية المسيحية عندما

صارت هذه المدينة فى عهد الملك المقدونى مركزاً للعلوم والفنون وبخاصة علم اللاهوت . ومن منا لا يذكر الفيلسوفيين القبطيين تيتس اكامينضس ، وآمونيوس السقاص اللذين كانا كالكوكبين المضيئين فى سماء الكنيسة فى القرن الثانى للميلاد . وهل يمكن للمسيحيين فى مصر وغير مصر أن ينسوا أوريجانوس العظيم الذى ألقى اليه ديمتريوس بابا الاسكندرية الثانى عشر مقاليد المدرسة اللاهوتية التى كانت تضىء وقتئذ فى وسط العالم المسيحى بمجد لم يعهد له مثيل حتى فى أيام البير الكبير والقديس توما الاكوينى

ويظهر أن الأب الايغومانس ناظر المدرسة اللاهوتية أراد أن يعيد الى الاذهان ذكرى تلك الايام الذهبية فى تاريخ الكنيسة القبطية فوضع مؤلفه (علم اللاهوت) الذى نحن بصدده فجاء آية فى دقة البحث مع وضوح البيان وحسن التنسيق

وقد ألمّ فيه بكل ما يهم المسيحى الارثوذكسى من تعاليم أصول دينه بما لا يدع فى نفسه مجالا للشك وضعف

اليقين ففيه شرح واف عن لاهوت السيد المسيح وتجسده وطبيعته المتحدة. وفيه بحث فى الرد على الماديين والطبيعيين ومذهب دارون واللاأدريين والى غير ذلك من الابحاث القيمة.

واننا نشكر للأب الايغومانس العالم العامل مجهوده هذا العظيم الذى قدم به أجلّ خدمة لكنيسته راجين أن يتمكن قريباً من اصدار مجلده الثالث فيكون ثالث القمرين)

(٤)

وأرسل الينا حضرة الاب الورع القمص شنوده قزمان راعى كنيسة اسنا القبطية خطاباً قال فيه (أشكر الله الذى أجاب طلبتى وأرانى ما كنت أتمنى أن أراه ألا وهو كتاب « علم اللاهوت » يجمع بين دفتيه تعاليم كنيستنا المحبوبة ، هذه التعاليم الجوهرية السامية المحفوظة بدم أبطال الكنيسة)

..

(٥)

وقال فى خطاب أرسله لنا حضرة الأستاذ حافظ داود وهو من ذوى الآراء المحترمة فى الابحاث الدينية (انى اتقدم اليكم بالشكر المضاعف لهذا المجهود القيم الذى قمتم به نحو وضع هذا الكتاب الذى لم يسبقكم اليه غيركم فخدمتم به كنيستكم اجلّ خدمة .

وانى ابتهل الى القدير أن يزيدكم كل نعمة لكى تزدادوا فى كل عمل صالح ولكى توفقوا فى كل خدماتكم)

وعدا ذلك فقد وردت لنا رسائل عديدة ذات قيمة عظيمة من حضرات الآباء أصحاب النيافة المطارنة نشرنا أكثرها فى الطبعة الثانية المجلد الأول . فلنيافتهم من حقارتى جزيل الشكر والامتنان .

هـذا وانى أقدم عذرى المقرون بشكرى لمن لم تنشر رسائلهم لضيق المقام ؟

جمعية المحبة القبطية الأرثوذكسية

بشارع سمعان بشبرا مصر

ان جمعية المحبة القبطية الارثوذكسية التى أخذت على عاتقها نشر تعاليم الكنيسة القبطية المجيدة وشرح عقائدها يسرها أن تقدم الى الشعب القبطى الكريم المجلد الثالث من كتاب « علم اللاهوت » الذى قام بوضعه جناب الأب الفاضل القمص ميخائيل مينا ناظر المدرسة اللاهوتية للرهبان بحلوان ونطلب الى الله أن يجعل هذا الكتاب بركة لقارئيه حتى يتثبتوا من صحة تعاليم كنيستهم القويمة الرأى ويتفانوا فى خدمتها والذود عنها، وليكون لديهم من قوة الدليل ومتانة الحجة والبرهان السديد ما يتمكنون به من اقناع اولئك الذين انقادوا بسلامة نية وراء التعاليم الغريبة المغايرة لتعاليم الكنيسة المقدسة التى استشهد فى سبيلها آباؤنا وذاقوا كؤوس المرارة لاجلها وثبتوا بدمائهم دعائم بنيانها .

وانتا ننتهز هذه الفرصة لشكر حضرة المؤلف للمجهود الجبار الذى قام به فى وضع هذا الكتاب القيّم لسد فراغ كبير فى عالم المطبوعات الدينية ، واشكر حضرات الآباء الكهنة والوعاظ الافاضل ورؤساء وأعضاء الجمعيات القبطية وسائر افراد الشعب الغيورين الذين لهم الفضل الاكبر فى توزيع الكتب التى تقوم الجمعية بنشرها

وان ما رأته الجمعية من الاقبال الكبير على اقتناء مطبوعاتها لهو أكبر مشجع لها على أن تقدم للشعب من آن لآخر ثمرة من ثمرات مجهوداتها ضارعة اليه تعالى أن يستخدم هذه المجهودات لتقدم كنيسته ومجد اسمه القدوس وخلاص النفوس التى افتداها بدمه الزكى الثمين على عود الصليب م ؟

رئيس الجمعية

يونان نخلة الديرى

١٦ برمهات سنة ١٦٥٤

٢٥ مارس سنة ١٩٣٨

فهرس المجلد الثالث

(الباب الثالث)

(الباب الرابع)

(الباب الخامس)

مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة

بشارع سمعان بشبرا مصر

يطلب هذا الكتاب بمجلداته

الثلاثة من مكتبة المحبة القبطية

الارثوذكسية بالقاهرة